

المعرفة

مجلة ثقافية شهرية

العدد التاسع

قشرب الثاني ١٩٦٢

— المعرفة —

المعرفة

مجلة ثقافية شهرية
تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي

رئيس التحرير

فؤاد الشايب

الكتاب والموضوعات

- هل ضاقت الأرض بسكانها
الدكتور عبدالكريم اليافي
- الفلاسفة .. أعداء الفلسفة !
للدكتور عادل العوا
- حضارتنا هل هي انتحار
للكاتب الفرنسي بيير غاسكار
تعريب أديب اليجمي
- الصداقة والصديق ..
لأي حيان التوحيدي
ظافر القاسمي
- الثقافة بين التحول والضياح
بقلم جان دي ساليس
تعريب ابراهيم الكيلاني



العلوم الاجتماعية

هل ضاقت الأرض بسكانها ؟

رأيان علميان :
للعالم السوفيتي ن . فيدروف
وللعالم الأمريكي هـ . براون
محققان بمطالعة الدكتور عبد الكريم اليافي
استاذ علم السكان في جامعة دمشق

قضايا السكان في الوقت الحاضر تشغل
أفكار الدماء والسياسيين في مختلف ارجاء
الارض . وقد نشرت مجلة (ساتورداي ريفيو)
مقالا اشترك فيه عالم من الاتحاد السوفياتي وعالم
آخر من الولايات المتحدة الامريكية تبادلوا
فيه وجهات النظر المتفاوتة . وقد رأينا ان
نعرض هذين الرأيين كما جاء في المقال لبيان
جوانب المشكلة العالمية ، مع تعليق للاستاذ
عبد الكريم اليافي استاذ علم السكان في جامعة
دمشق ، على رأيي العالمين الكبيرين ، يبرز فيه
وجهة النظر العربية في هذه المشكلة . وفيما يلي
ترجمة موجزة للمقال ، مودفة بالتعليق .

تقديم مجلة « سترداي ريفيو »

كان الناس قبل ثلاثمائة سنة بعدد سكان الهند الآن أوزيريدون عليهم قليلا . وقد أصبحت زيادة السكان بمعدلها الحاضر تنذر ببلوغ سكان الارض بعد اربعين عاما ستة مليارات يكافحون في سبيل القوت ، اذا لم تقع كارثة الحرب الذرية . اما العلماء الغربيون من اوروبيين وامريكيين فأنهم يتخوفون من هذا الازدياد . واما العلماء السوفييات فأنهم لا يخشون تلك الزيادة بل يرون ان الارض قادرة على استيعاب ما لا يحصى من الناس . ولقد طلبت المجلة من الاستاذ فيدروف أمين الاكاديمية السوفياتية للعلوم أن يكتب رأيه في ذلك، وأعلمته انها ستكون للسيد هاريسون براون استاذ الكيمياء الحيوية في معهد التكنولوجيا بكاليفورنيا ان يعلق عليه .

رأي ك . فيدروف

كان الانسان الاول عبد الطبيعة . كان الصيادون الاوائل يبحثون عن الفاكهة والثمار البرية وعن الطرائد دون ان يتدخلوا في تغيير مجرى الحوادث الطبيعية أو ينقضوا توازنها .

ولما برزت الزراعة وغدت الركن الاساسي لنشاط الانسان فعرف كيف يزرع الارض ويرويه ، تحولت علاقته بالطبيعة فدخلت مرحلة جديدة أصبح فيها يحاول التأثير في مجرى حوادثها ، وما زالت تلك المرحلة مستمرة حتى اليوم .

ذلك ان من خصائص عصرنا الحديث ، التأثير الواسع المشتبك المتبادل بين الانسان والطبيعة . لقد سخرت التكنولوجيا في العصر الحديث قشرة الارض للانسان ووضعتها في خدمته ورهن تصرفه . حتى انه اصبح من العسير ان تتصور كيف عاش الانسان في عصر من العصور السالفة دون ان يعتمد على الحديد مثلا ، وأن تتصور كيف كان في عصر آخر قريب يستخرج معدن الراديوم ويرمي باليورانيوم كأنه فضلات لا فائدة فيها .

ومع هذا لا تزال طائفة كبيرة من خيرات الطبيعة المحيطة بنا بكرام يستثمرها الانسان ولم يحسن عطاها . وفي ذلك ما فيه من مغريات التحدي لمهارة الانسان ولعلمه وحيلته .

ازاء هذا الموقف الفكري ، كان فريق من المفكرين ، وفي طليعتهم مالتوس ، يرون ان تطور الانسان يهدده النقص المستمر في ثروات الطبيعة من النفط والحديد والفحم والماء وغيرها من الموارد . حتى إن بعضهم يغزو تخلف طائفة من المجتمعات الى غيض تلك الموارد .

انما أشرت الى نظرية ذلك القسيس الغابر لان اتباعه يلحون في الحاضر على ان ازدياد السكان الشديد انما هو بمثابة « قنبلة » من اكبر الاخطار التي تهدد الانسانية ان لم تكن اكبرها على الاطلاق .

واذا كانت موارد الطبيعة محدودة حقا وكانت حاجات الانسان غير محدودة فما وجه الاعتراض اذن على تلك النظرية ؟

وجه الاعتراض عندنا ان موضوع الاهتمام ينبغي ان يتركز على حاجات المجتمع الانساني الاساسية وعلى وسائل سدها ، لاعلى الامور الطبيعية لذاتهم

كالزيت والفحم والحديد وغيرها وكذلك ينبغي الان نفعل - من حيلة الانسان
وعن سعة تدبيره .

لنضرب الطاقة مثلا : ان انتاج الطاقة واستهلاكها بالجملة ، او بالنسبة للفرد
الواحد ، أمران مستمران ابدا في الازدياد . ثم ان ازدياد انتاج الطاقة يفوق
ازدياد الاستهلاك . ولذلك لا بد - في رأيي - من أن يأتي يوم تراكم فيه الطاقة
الفائضة وتربي على حاجات الانسان .

هذا وان استثمار موارد الطاقة المتوافرة أصبح اكثر دقة ونجوعا . فلقد
اشتد الآن اعتماد الوسائل الحديثة في تحويل الطاقة الحرارية الى الطاقة الكهربائية
عن طريق الوقود الذري وعن طريق القوى المائية المغناطيسية (M . H . D) وهي
وسائل أسهل وأيسر وأنجح من العنفات .

كانت عضلات الانسان قديماً مصدر الطاقة الوحيد ، اما اليوم فقد
ازدادت موارد الطاقة في العالم ازديادا واسعا بالنسبة للفرد ، بسبب الوقود الذري
وأصبح قريبا من ضبط التفاعلات النووية الحرارية ، ومن المعلوم أن مصادر
فائزاتها موفورة في الارض .

وكذلك نأمل في الاستفادة من الطاقة الشمسية ومن قوى حركات
البحر كالمد والجزر والتيارات البحرية .

واذا استمر نمو موارد الطاقة التي هي طوع الانسان ، على هذه السرعة
الكبيرة ، كما نشهدها اليوم ، فلسوف يتهاى مقدار عظيم من الطاقة الحرارية يكون
رهن أمر الانسان يتصرف به كما يشاء ، في مائة السنة المقبلة . وهذا يثير مشكلة
صون توازن الارض الحراري بين الكواكب السيارة ، فلا بد عندئذ من اطلاق

مقادير كبيرة من تلك الطاقة المتجمعة عندنا الى الفضاء . بيد أن تلك المشكلة لن تواجه الانسان بمصاعب لا يستطيع لها حلا .

اما قضية القوت أو الغذاء للسكان المتزايدين فما حلها ؟ كان الصياد القديم يحتاج الى رقعة واسعة من الارض لسد حاجات معاشه المحدودة . ولما انتقل الى طور الزراعة ، نقصت تلك الرقعة ، ثم تحسنت بالتدريج وسائل الزراعة وزادت غلات الحقول فكان من الطبيعي ان يؤدي هذا الأمر الى نمو السكان في العالم .

على اننا لانزال في البداية من مرحلة استثمار خيرات الارض . فلبحار المحيطات تمكن زراعتها على نطاق واسع وبصورة ناجحة . وبالإضافة الى وفرة الاسماك تقدم اعشاب البحار وحيواناتها الصغيرة وأمثالها غذاء سائفاً يكفي آلاف الملايين من الناس .

وكذلك يفتح الغذاء الصناعي المستخرج بالوسائل الكيموية آفاقاً أوسع وهو لا يحتاج إلا الى مقادير محدودة من المواد الأولية كالزيت والفحم مع عدد من الأيدي العاملة أقل مما تستدعيه الوسائل الزراعية القديمة . على أن الخطوة الاولى في هذا السبيل ستكون تغذية الحيوان قبل أن يهيأ تهيئة صالحة سائفة للناس .

واعتقد أن تقدم العلم سوف يحول الانسان أن يحول أية مادة الى أخرى ويقتضي ذلك أمرين : الطاقة ، والمادة الأولى المراد تحويلها .

أما ما يدعيه المفكرون المالتوسيون المعاصرون من ان سكان العالم سوف يزيدون في الوقت القريب حتى تعجز الأرض عن حملهم فالذي أراه ، ان ذلك الوقت القريب الذي قد تتحقق فيه نبوءتهم الخيالية لن تأتي قبل آلاف السنين . وقبل ذلك بكثير أي في غضون عشرات السنين المقبلة سيصبح الانسان قادراً على القيام برحلات منظمة في الفضاء الى كواكب سيارة أخرى غير الأرض . وبهذا

يتحقق حلم بعض المفكرين ، وهو ان الانسان سوف يلتمس الحرارة والضوء في المجموعة الشمسية كلها ، وينشر نوعه فيها عن طريق هذا الالتباس .

أفمضى هذا ان موارد الطبيعة لا تنفذ ؟ أو معناه أنه يجوز لنا ان نسرف في استهلاك تلك الموارد ؟ كلا . ان الموارد الطبيعية محدودة بلاريب ولكن قدرة الانسان على الاستفادة منها غير محدودة .

وعلينا اذن أن نستعمل الثروة في مواضع استعمالها دون اتلاف ولا اسراف.» ثم يذكر فيدروف التقدم الكبير الذي حصل في الاتحاد السوفياتي ، حين انتقل المجتمع من استعمال الموارد الطبيعية استعمالاً لانظام فيه الى التخطيط المعقول ، ويشيد بالمشروعات الضخمة التي غيرت وجه الطبيعة في أحواض نهري الفولغا والدون ، وبالخطة التي تقصد الى التحكم في مستوى سطح بحر الخزر ، وذلك بتحويل مجاري بعض الانهار الشالية الكبيرة امثال « بيكورا » و« سفيرنايادفينا » لترفد مياه ذلك البحر فيعتاض بها عن كثرة التبخر الحاصلة في خزانات مشروعات الفولغا . وثمة خطة أخرى تقصد الى تغيير مجاري نهري « الأوب » و« الينيسي » الى الجنوب الغربي لارواء صحاري آسيا الوسطى الواسعة .

ان كثيراً من البلاد تجهد في صون ثرواتها المختلفة من غابات ومن حيوان البر والبحر ولكن يجدر بنا ان نتجاوز مجرد هذا الصون وان نخطط تخطيطاً شاملاً لتحسين تلك الثروات وتنميتها في مختلف البقاع البرية والبحرية . لنورد مثلاً على ذلك وجود بعض السمك الممتازة النوع في البحار الشمالية ، وهي لن تستطيع الانتقال بانفسها الى لبحج البحار الجنوبية الباردة لحيولة البحار الحارة الوسطى دون وصولها .

واذن تلزم لها معونة الانسان لكي تبلغ الى تلك اللجج ، ولكي تستطيع النمو والتكاثر فيها . وهكذا نجد ان التخطيط العلمي الشامل للاستفادة الكاملة من موارد الطبيعة ضرورة يلمها تقدم الانسان ، وهي ليست إلا سبيلا من سبل التعاون الدولي السلمي .

لقد حان الوقت للتعاون من أجل القضاء على المرض والجوع في شتات انحاء الارض ، ولاشك ان الاستثمار كان ينتقص كثيراً من خيرات بعض البلاد ، وهو مسؤول عن تلك المجاعات والامراض . فاذا زال الاستثمار ، وتم تحسين وسائل الزراعة ، وصح توزيع الغذاء ، تيسر القضاء على تلك المجاعات والامراض التي تفتك بالكثيرين .

ويجدر بالعلماء أيضاً ، أن يضموا جهودهم لمكافحة كثير من الآفات المستعصية كالسرطان ، وتخليص الانسانية من كوارثها .

على ان احلام العلماء لا تقف بهم عند هذا الحد ، بل تدفعهم الى غايات أبعد مدى فهم يفكرون في تغيير شروط الحياة على كوكب الارض وفي تبديل ما يلائم من عناصر مناخها واقاليمها . ومن رأى في هذه الاحلام شططاً فانما يغفل عن قوة الانسان العظيمة المبدلة . ذلك ان جميع الكائنات الحية من وحيدة الخلية حتى الانسان نفسه ، تملك في مراحل تطورها المتعاقبة ، مقدرة على ضبط هذا التطور ، ومثل هذا الضبط الذي يربط بين سلاسل متفاوتة من الظواهر المشتركة جار حتى في الحوادث الطبيعية .

ان وسائل الضبط هذه ليست موجودة على الدوام . بل هي تختفي وتظهر في الحين بعد الحين ، ولكن الاستفادة منها تلوح بآمال كبرى ، حتى ان بعض

جوانب المناخ والاقليم اصبح طوع تحكم الانسان ، فاذا أردنا مثلاً ان نبدد سخاباً في الجو لم نحتاج الآن الى تسخينه واستهلاك ملايين من الكيلو واطات الساعية لكل كيلو متر مكعب من ذلك السحاب ، وانما حسبنا ان نقذف ببضع مئات من الغرامات فقط من ثاني أكسيد الفحم المحمد في سحابة شديدة البرودة لكي تتحول الى حالة متبلورة ، وهي طريقة صناعية تستغل الطاقة التي في اسحاب نفسه .
أوليس في مكنة العلم في المستقبل أيضاً ان يذيب الغلاف الثلجي في البحار القطبية فترتفع عندئذ درجة الحرارة في تلك البقاع وتتفتح سبلها للملاحة ولسكنى الناس ؟ . .

لاشك أن هذا مجرد اعتبار ، اما اذا آن الوقت لتطبيقه فلا بد حينئذ من دراسته دراسة دقيقة ، ولا بد من الاحتراز من مغباته ، فقد ترتفع مياه المحيطات بسبب ذلك ارتفاعاً قد ينذر بالخطر ، ومع هذا فان تذليل مظاهر الطبيعة الواسعة ، بمجهود ضئيل نسبياً من قبل العلم ، اصبح قريب المآخذ من الانسان .
ويلج فيدروف بعد ذلك على التعاون الدولي في هذا المجال ، وفي غيره .
ويقدم مثلاً آخر على امكان هذا التعاون في مجال الفضاء . واذا كان كولومبس قد استعمل سفينة صغيرة حين قام برحلته الى العالم الجديد ، فان تلك السفينة ليست شيئاً يذكر في جانب عابرات المحيط القوية الحديثة .

على ان تحسين تلك البواخر التي تمخر في عروض البحار وأطوالها ، قد اقتضى نحواً من اربعمائة سنة . اما اليوم فان الاقمار الصناعية الاولى ، لم يمض عليها اكثر من ثلاث سنوات حتى امكن اطلاق « فوستوك » سفينة يوري غاغارين العظيمة . فالتقدم التكنيكي اصبح سريعاً جداً في العصر الحاضر بحيث لن يمضي عشرون أو ثلاثون عاماً حتى يصل الانسان الى الكواكب في سفن فضائية عظيمة تبدو سفينة غاغارين بالنسبة اليها كقارب كولومبس .

اننا ، من عصرنا الجديد ، في فجر يشبه ، من بعض الوجوه ، فجر عصر النهضة الأوروبية ، الذي رافقه كشف قارات جديدة . ولكن ذلك الكشف اقترن بمساوئ شنيعة كالاستعمار والاستغلال . والآن في فجرنا هذا يتحدث البعض عن استخدام الفضاء لأغراض حرية ولكن في هذا خروجاً عن غايات العلماء الإنسانية في كشفهم العلمية وفي جهودهم لتعرف الفضاء . أولاً يعتبر الانسان فيستفيد من تجارب الاربعمائة سنة السالفة لكي يصدف عن اقامة القواعد الحربية في القمر أو يتحامي إشعال نيران حروب الاستغلال والاستعمار في كوكبي المريخ والزهرة مثلاً ؟

اننا نرغب ، بدلاً من تلك الحروب ، في ان تفتح تلك الكشوف ، آفاقاً جديدة لسعادة الانسان ، ولتوسعة معرفته عن بنية المادة الدقيقة والطاقة وتحويل كليتها الى الاخرى ، ولاريب في ان تلك المعرفة ستكون حافزاً للانسان على تقدم جديد مستمر .

وزيد هاهنا ان نؤكد ان فرص الابداع للنهوض بحياة الانسان على الارض ، ولقدرته على التأثير في الطبيعة لمنفعته ، تشف عن امكانيات كبيرة آخذة في الازدياد المطرد . وانما يبقى على الدول جميعاً ان تتعاون في هذا السبيل كما حدث فعلاً في السنة الجيوفيزيائية ، وأن تتوزع الاعمال في خدمة الإنسانية الجديدة المقبلة وألا تأذن للحرب الباردة ان تحول دون هذه الغايات النبيلة .

تعليق هـ . براون

يسعدني أن أعلق على مقال الاستاذ فيدروف ، وقد كنت التقيت به مرات ، وتبادلنا وجهات النظر بشأن مشكلات التعاون الدولي في مجال العلم .

فاتفقت آراؤنا أحيانا ، واختلفت أحيانا أخرى ، وإنما يرجع هذا الاختلاف الى
تباين ثقافة بلدنا .

يبدو من مقال الاستاذ فيدروف انه ينظر الى مشكلات السكان وتنمية
موارد الطبيعة نظراً يشبه فيه الذين ندعوم في امريكا ، أصحاب الصور ، ذلك
الصور المترع بالثمرات والخيرات والذي يرمز الى بركات الطبيعة التي لا تنفذ
Cornucopians وكل الخلاف بينه وبينهم أنه يشترط التخطيط العلمي الشامل من
قبل الدولة لتحقيق تلك الخيرات والبركات .

أوافق الاستاذ فيدروف في أننا لانزال في بداية ادراكنا لامكانيات
التكنولوجيا الحديثة وأثق معه أن موارد الطاقة تكاد تكون كثيرة لاحد لها ،
وان قدرة الانسان واسعة . فهو يستطيع ضخ المياه الى آلاف الاميال واستصلاح
طائفة من اراضي البحار للزراعة . ثم ان تناقض الفلزات في المناجم تعوضه قدرة
الانسان على إستحصائها من مختلف الصخور بالتكنولوجيا الحديثة . وقد نتحكم
في المستقبل في تكييف الاقاليم ، وربما استطعنا إذابة الغلاف الثلجي ، وليس
ما يمنع من ان نساfer الى الكواكب الاخرى أو أن نخترع آلات جديدة تكفل
لنا مختلف الحاجات بحيث يقوم العامل بأقل جهد ممكن في المستقبل ، أو تنعدم
الضرورة عند غالبية الناس للقيام بأي عمل ، فانا اذن متفائل ازاء تقدم التكنولوجيا
تفاؤل الاستاذ فيدروف . فأَيَّان يقع الخلاف بيننا اذن !

الخلاف بيننا اني أرى ازدياد السكان في العصر الحاضر مشكلة حتمية
تلززم مجابتهما ، وليست كما يقول الاستاذ ، خيالية لن تقع قبل آلاف السنين . هنا
في رأيي أهم نقاط الخلاف .

ثم أن مضمون كلام الاستاذ فيدروف يدل على ان انتاج السلع المادية الصناعية ، تكفل حاجات البشر ، وان ذلك الانتاج المادي في حد ذاته ، غاية الوجود الانساني ومعناه . وأنا لأوافق على هذا ابداً .

أما من جهة السكان ، فعندي أنه من الخير للانسانية أن يقف ازدياد السكان في الولايات المتحدة وفي كل مكان آخر من الارض . ولست أشك في أن وسائل التكنولوجيا تيسر للانسان سد حاجات عدد أكبر من سكان العالم الحاليين بل قد تمكن تلك الوسائل الارض من استيعاب مائة بليون من السكان ، بدلاً من ثلاثة بليون ، عدد سكان الارض في العصر الحاضر ، وربما تصور فيدروف هذا العدد فوصل به الى الف بليون ، ولكن لا أنظر الى الحياة على أنها سباق مع الطبيعة لتقرير مدى عدد السكان المزدحمين على سطح الارض ، وإنما الى كيفية حياتهم ، على أنها أهم من مجرد الكمية .

لا أدري كيف يتصور فيدروف عالم المستقبل الذي يستمر فيه ازدياد السكان بسرعه الحالية ، ولا مقدار الازدحام ، الذي يرضى للناس أن يعيشوا فيه ، ولا كيف يتخيل عالم المستقبل هذا وقد غطته ، مع البشر المكتظين ، الطرق المعبدة ، والانايب الممددة ، والمصانع اللاهثة ، ومجمعات المساكن الشعبية التي تقام الآن بأعداد كبيرة في معظم البلاد الاشتراكية أو أمثالها في الولايات المتحدة ؟

اذا كان عالم المستقبل على هذه الصورة المكتظة ، فلست أرى بالعيش فيه ، بل لو غدا عالم المستقبل بكامله مكتظاً اكتظاظ اليابان الحديثة ، فليس ذلك عندي جيلاً ولا مغرياً ، لأن الناس ليسوا كائنات ، ذلك أن النفس الانسانية تحتاج الى فضاء ، وإلى فرصة الاتصال بالطبيعة ، كما تحتاج الى التحرر من التوتر

والقيود التي ترافق الازدحام . وأعتقد أن ثمة كثيرين في الاتحاد السوفياتي يرون رأيي هذا .

لقد أتيح لي أن أشاهد قطعاناً بشرية تزدهم على شواطئ « يالطة » و « الدينير » كما يزدهم الاميركان في جزيرة « كوني » . ولقد قضيت مدة حلوة مع الاستاذ فيدروف في بيته الصيفي الجميل في خارج موسكو ، تحيط به الاشجار ، ويهيمن عليه السلام والهدوء ، وهو يحكي في انزاله بيتي الريفي في الولايات المتحدة . ويدل كل من هذين البيتين على رغبة أصيلة في نفوسنا وهي الابتعاد عن جماهير الناس ، وعن ضغط حياة المدن الكبرى .

وأيا كان الامر ، فاني أعتقد ، أن فيدروف يوافق أننا سوف نصل الى حد يجب ان يقف معه ازدياد السكان . ربما نتجادل في مدى ذلك الحد ، ولكن لا بد لزيادة السكان من أن تقف عند حد من الحدود بمشئمة الانسان نفسه ، وإلا فان الطبيعة نفسها سوف ترغمه على ذلك التوقف بزيادة الوفيات على الولادات .

ان موضع التهافت في موقف فيدروف استناده الى بقاء الامور على أحوالها في شأن السكان . ولكننا نعلم أن سكان البلاد المتخلفة تزداد ازدياداً سريعاً فاذا أريد لهم أن يعيشوا في المستوى اللائق في وقت قصير لزم أن يزيدوا تقدمهم الاقتصادي ولا يجوز أن يكون ذلك التقدم الاقتصادي بنفس معدل ازدياد السكان . فلو نمت العوامل الاقتصادية وازدهرت بمعدل خمسة وعشرين في المائة كل عشر سنوات وازداد السكان بنفس المعدل ، فلا شك أن مستوى معيشتهم تبقى هي ذاتها دون تحسن . وكل ما يحدث من تبدل انما هو اكتظاظ أكبر وشقاء أشد . هذا ويبدو نقص معدل الولادات مكافئاً لزيادة الرساميل المستثمرة من جهة النظر الى معدل النمو الاقتصادي للفرد .

يجدر بنا خدمة لقراء المعرفة وقد اطلعوا على رأي الاستاذين الكبيرين أن نعرض أولاً جوانب من تاريخ هذه القضية التي تفرق بين علماء الغرب وبين العلماء الاشرائيين في النظر الى علاقة السكان بالموارد الاقتصادية وان كان كثيرون منهم مطلعين عليها ، فان تاريخ القضية يزيد في جلائها ، ثم نعقب على الرأيين بما نراه مناسباً من الوجهة الفكرية والقومية والانسانية .

١ - أصل المشكلة آثارها القس الانكليزي مالتوس كما ذكر فيدروف حين أصدر كتابه « بحث في مبدأ السكان » سنة ١٧٩٨ وأعاد طبعه موسعاً سنة ١٨٠٣ . ورأيه كان ثمرة وضعه الاجتماعي اذ ذاك .

فلقد كانت انكثرا تشهد انقلاباً اقتصادياً واجتماعياً . كان الريف فيها متأخراً ، والصناعة بدأت تقوم وتتسع وتجذب اليها أفواجا من الريفيين ، كما كانت الفتن والاضطرابات تقع في الارياف وفي المدن . وكان الناس اذ ذاك كثيري الاولاد . كتب مواطن لمالتوس ومعاصر له ، وهو « ارثورينغ » عن مقاطعة لنكنشير : « يزداد السكان هنا ازدياداً سريعاً الى حد أن الأولاد والخنائير يعج بها كل مكان » . وقد وضع اذ ذاك قانون يقضى باعانة الفقراء والمعوزين الذين مضى على سكنهم في منطقة البرشية سنة على الأقل . ويفضي هذا القانون في رأي المحافظين اذ ذاك الى معونة الكسل وقلة التبصر في كثرة النسل . كتب مالتوس : « لقد سنت انكثرا قوانين لاقامة نظام في معونة الفقراء . غير أنه من الممكن حين تنقص آلام الأفراد بعض الشيء أن يزيد في نشر الشقاء فيجعله أكثر شمولاً » .

وخلاصة رأي مالتوس أن الكائنات الحية تجنح الى زيادة لا تتفق مع مقدار

الغذاء المتوافر لها . وإذا لم يمنع ازدياد السكان مانع فانها تتضاعف في خلال خمس وعشرين سنة وتشكّثر في أشكال متوالية هندسية على حين لا تزداد مقادير الغذاء والقوت في أجود الأحوال إلا وفق متوالية عددية . وإذا طبقنا هذه العلاقة على الناس لزم أن يحصل تباين كبير بعد أمد من الزمان بين عددهم وبين مقدار القوت المتوافر لهم .

ثمة في رأي مالتوس نوعان من الحوائل التي تعترض مبدأ زيادة السكان . أحدهما يتفادى ويعيش عيشة عفاف أو يؤخر زواجه فلا يتزوج حتى يضمن لنفسه حسن القيام بنفقة الأسرة ويتكفل بتبعاتها . أما التدابير التي يتخذها بعض الأسر تحامياً للنسل فيعتبرها مخالفة للأخلاق وينكرها .

وثاني نوعي الحوائل الذي يتلافى زيادة السكان هو كثرة الوفيات الواقعة بين الناس بالفقر والمجاعات والأوباء والبؤس والحروب .

كانت آراء مالتوس تمثل طبقة المحافظين في انكلترا . وقد اتهجوا لصدور كتابه اذ يرفع فيه عن الطبقة الحاكمة والغنية تبعه البؤس والفاقة الجائعين بين كثير من سكان البلاد ويلقي بها على كواهل البائسين والفقراء أنفسهم فهم لا يتبصرون قبل الاقدام على الزواج .

ثم جاء بعد مالتوس مفكرون غربيون تجاوزوا آراءه وان استندوا الى أصولها ، فدعوا الى الوقاية من الحمل باستعمال مختلف الوسائل دون التفكير في تأخير الزواج أو في تجنبه . وحركتهم هذه مع ما يعتمدونه من حجج دعيت بالمالتوسية الجديدة .

أما المذاهب الدينية في أمريكا وأوروبا فلقد اتخذت مواقف مختلفة تطورت

بعض الشيء . وكان المذهب البروتستانتي أكثر تسامحاً تجاه ضبط النسل من المذاهب الكاثوليكي فأباح اليوم اتخاذ مختلف الطرق العلمية المانعة من الحمل . ولكن المذهب الكاثوليكي كان موقفه انكار تلك الطرق . ثم تساهل في الوقت الحاضر أزاء اتباع طريقة أوجينو المستندة الى دورة الطمث وعقم الزوجة في أغلب مراحلها (١) .

وأما المذهب الاشتراكي العلمي فسرعان ما اعتبر مالتوس وأتباعه رجعية واتخذ موقفاً معادياً لها . فأزمة اكتظاظهم ان وقعت ليست إلا عاقبة لفساد النظام الرأسمالي .

ثم اعتبر لينين تلك الآراء المالتوسية تعبر عن صيحات الخوف والهلع منبعثة عن طبقات منهارة صائرة الى الزوال والبلل . وهو يقول : « نحن متفائلون حقاً بجمركة العمال واهدافها . اننا نرفع قواعد البناء الجديد الذي سيتممه احفادنا هذا هو السبب الذي يجعلنا الاعداء اللداء للمالتوسية الجديدة » .

هذا هو تاريخ اختلاف الرأي في هذه المشكلة بصورة موجزة بين الغرب والشرق وليست مقالة فيدروف وتعليق براون عليها إلا امتداداً حالياً لتلك المواقف . على انه من وجهة السياسة السكانية العملية ، نجد مواقف المجتمعات الرأسمالية تختلف في النظر الى ضبط النسل . فالبلاد الشمالية تأتي في طليعتها السويد وفنلندا ، فيها مؤسسات اهلية تتلقى اعانات مالية من الدولة تروج للتربية الجنسية ، وتمطي جميع المعلومات حول تحامي النسل لمن أراد وتبيع الوسائل الحديثة المستعملة في ذلك . وفي الولايات المتحدة مؤسسات شبيهة بتلك . وفي بريطانيا ذلك تابع

(١) موقف الدين الاسلامي جلونه باختلاف أشكاله في اثناء بحثنا « الغزالي وتحديد النسل » الذي ألفناه في مهرجان الغزالي بدمشق ربيع سنة ١٩٦١ .

لوزارة الصحة وجاؤ في الاحوال المشروعة الضرورية ، اما في فرنسا فالخطر شديد على من دعا لاستعمال تلك الوسائل .

هذا ونجد من جهة مقابلة ان موقف الاتحاد السوفياتي قد تبدل بعض الشيء . فقد أباح مجلس السوفيات الاعلى الاجهاض سنة ١٩٥٥ اذ اعتبر المرأة السوفياتية أصبحت على درجة من الثقافة والادراك تستطيع فيها ان تقدر واجبها وسلوكها مع بقاء اعتباره النظرية المالتوسية حركة رجعية . فلرأة حرة لها أن تفعل ما تريد ازاء الحمل أو عدمه . ولكن سياسة الدولة في جانب ازدياد السكان .

٢ — بهذا الشرح التاريخي الذي قد تناول بعض الشيء نكون قد القينا ضوءاً كاشفاً عن أصل تلك المشكلة . ولقد أصاب براون حين ذكر ان الاختلاف بينه وبين فيدروف راجع الى الاختلاف بين ثقافة بلديهما . هذا وان غط الاقتصاد الراجح في كل من هذين البلدين يفضي حقاً الى تفاوت الرأي .

ومع ذلك فان أي قارئ للمقالين يفرق بسهولة بين اللحن الجدي الانساني المتفائل في حديث فيدروف وبين نغمة التهمك المتردد في حديث براون . ومن الغريب ان الرأيين مع كونهما في الاصل يستندان الى التفكير المادي يختلفان في النتائج كل الاختلاف . فالولها ينزع تلك النزعة الانسانية العالية ، والآخر يرتطم بتشائم مطبق لا يكاد يعرف له مخرجاً إلا لتحديد النسل أو الحرب . ذلك ان التفكير المادي الأول منظم يفهم تناقضات المادة ويحيط بها علماً ليحلها وليتجاوزها ، وان التفكير المادي الثاني مبهم يمزج بين الكم والكيف ولا يبرز العلاقة بينهما .

٣ — ان براون ينبه على وجوب اعتبار كيفية الحياة الانسانية لا اعتبار كمية الأحياء العائشين في المجتمع فقط . وهذا صحيح . لكن لا يجوز ان نفعل علاقة الكيفية بالكمية منذ ان نوه بها هيغل قبل ماركس . فالتغيرات الكمية

المثراكة تنقلب الى تغييرات كيفية مفاجئة . ولاشك ان ازدياد السكان في الولايات المتحدة نفسها كان عاملاً قوياً في تقدم الحياة الاجتماعية وفي تنمية الموارد الاقتصادية . وربما كانت هذه النقطة من البحث تثير مشكلة الحد الموافق لعدد السكان ، وهي مشكلة وهمية ذات جوانب متعددة اقتصادية وسياسية كثر نقاشها منذ زمن طويل في كتب الجغرافية البشرية وفي كتب علم السكان .

٤ - ان ذلك التفاؤل المتصاعد في مواضع مختلفة من مقالة فيدروف ليس مجرد خيال اذا حيل دون الانسان ودون نشوب الحروب الذرية . ولم يكن حديث امين اكااديمية العلوم السوفياتية الا موجزاً . ولاشك انه ، فوق ما ذكر من موارد الطاقة المقبلة المرتقبة ، من أشد الناس اطلاعاً على محاولات العلماء في البلدان المتقدمة انفسها ان يستفيدوا من حرارة طبقة الصخور المنصهرة في جوف الارض على اعماق نحو من ثلاثين كيلو متراً تحت اليابسة وعلى اعماق أقل من ذلك تحت سطح البحر ، وهي الطبقة التي تدعى ماغما Magma وتصبح ترجمتها بالهل . وهي مورد ضخم جديد للطاقة ربما استغلتها الانسانية لصالحها في المستقبل القريب .

ثم ان حديث فيدروف حول رحلات الفضاء عام لم يقصد فيه الى التفصيل لأنه كلام للعالم . ولو أراد شيئاً من التفصيل لذكر أن جو المريخ اذا لأم للسكنى بعد زيادة مقدار الاوكسجين فيه ومكافحة البرودة على سطحه فان بعض الاقمار ، ومنها قمرنا ، تصح الاستفادة منها في خزن الطاقة الشمسية ونقلها الى الارض نقلاً جيداً . وفي هذا مافيه أيضاً من زيادة الطاقة التي تتوافر عندنا في كوكبنا السباوي .

٥ - ان العلم الصحيح بوصفه قيمة انسانية كبرى لا يمكن فصله عن

التفاؤل الصميم ، وهو قيمة انسانية كبرى خلقية . وبرغم ما اظهره براون من حب الطبيعة وحب الاخلاص الى الهدوء والسكينة فاني اعتقد ان الشعب الامريكي بحملته يحب الحياة الاجتماعية ويحب الاستضافة كحبه احياناً للعزلة بل فوق حبه لها . وماذا نقول ايضاً في السوفيات الذين يعيش قسم منهم أسراً متعددة في بيت واحد صغير ، فان تربيتهم الاشتراكية تقرب بينهم وتقلل المسافات .

٦ — ان العالمين الكبيرين مع كلامها الجيد يفعلان النظر حقاً الى الظواهر الديمغرافية في ذاتها والى تطور تلك الظواهر الذاتي .

فمن المعلوم لدى علماء السكان ان ازدياد السكان عند الشعوب يتبع مجرى خفياً . فهو في البداية يكون شديداً لكثرة المواليد التي ترافقها كثرة الوفيات ، اذا تقدم المجتمع وازدهرت الموارد الاقتصادية واستفاضت العلوم فيه ، ثم يتبع انخفاض الوفيات هذا انخفاض الولادات . وقلة الولادات هذه أمر معروف في البلاد الرأسمالية المتقدمة بالنسبة الى البلاد الناشئة أو المتخلفة . بل ان تلك القلة اصابته معدل الولادات في الاتحاد السوفياتي اذا نظر في تاريخ ذلك المعدل في مختلف المراحل . وعلى هذا يبدو ان الشعوب الناشئة التي يكون فيها ازدياد السكان سريعاً لابد ان يعتدل فيها ذلك الازدياد . وهكذا لا يحولنا علم السكان نفسه النظر إلى ازدياد الناس على انه مطلق ومستمر بنفس السرعة في المستقبل .

ومهما كان الامر فان تنظيم الاقتصاد حسب السكان أفضل وأيسر في

العصر الحاضر من تنظيم السكان حسب الاقتصاد .

٧ — من وجهة النظر العربية الصرف عدد سكان العالم اليوم ثلاثة

مليارات كما سبقت الاشارة اليه . ومساحة الوطن العربي كله عشر مساحة

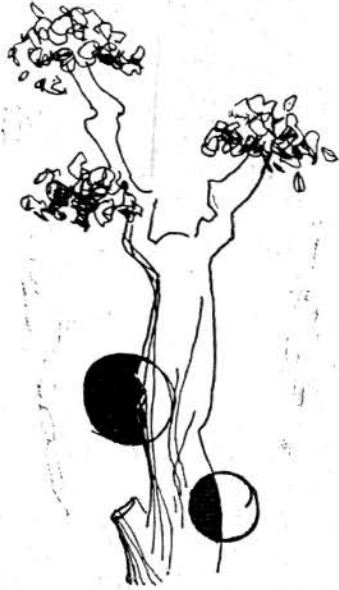
العمورة ، ولكن عدد سكان هذا الوطن أقل من مائة مليون مع انه بالنسبة الى عدد سكان الارض ينبغي ان يكون على الاقل ثلاثمائة مليون . هذا وأن البلاد العربية قائمة في أجود مناطق الارض اعتدالا واكثرها غنى بالنفط وبغيره من خيرات الارض المدفونة . وقد أشار فيدروف الى لعنة الاستعمار بما فيه الكفاية . ونعتقد أن كل زيادة في سكان البلاد العربية من شأنها ان تحفز على التقدم بمختلف صورته ، ولا سيما بعد أن يستصلح الناس الاراضي المقفرة ويتعاونوا على استثمار موارد الطاقة المخزونة في بلادهم استثمارا صحيحاً ، ولاشك ان ذلك متصل بالاوضاع السياسية .

٨ - يفكر براون في تحسين مستوى المعيشة عند البلدان المتخلفة وذلك بتقليل الولادات فيها . ولسنا نخجل من مشاهد الفقر والتخلف والبؤس احيانا في البلاد العربية لاننا نعتقد انها وقتية ، ولا يقلل ذلك من ثقفتنا بانفسنا نحن الذين شاركنا في الماضي مشاركة كبيرة في اقامة صرح الحضارة الانسانية .

وانا على يقين من ان السلم والصدقة مع جميع الشعوب ورفع نـيـر الاستغلال السياسي والاقتصادي عنا سوف يهييء لنا الجو المناسب للتغلب على تلك الامراض الاجتماعية كلها ، وللتقدم مع تلك الشعوب في سبيل انشاء انسانية سوية كريمة .

لذلك كله كنا حريصين أشد الحرص على ترسيخ قواعد السلم في العالم وعلى العمل البناء في جو سلمي صحيح . وكل تسليح نقوم به انما هو من قبيل الدفاع عن النفس تلقاء الاستعمار واشباح الدول التي يصطنعها .

كيف يسوغ لنا في نهاية هذا التعقيب بل في كل مناسبة أيضاً ألا نستنكر
أية محاولة لاشعال نار الحرب ، إن في الشرق وإن في الغرب ؟ .
أم كيف يسوغ لنا أيضاً ألا نستنكر مع كل ضمير حي في العالم تزويد
اسرائيل بالصواريخ التي هي مرصدة للفتك في الشعب العربي ولتقتيل الاطفال
الصغار الابرياء وهم في طريق غنوم ونشوتهم وفي أمل استصلاحهم لبلادهم
المحتاجة اليهم ؟ .



الفلاسفة .. أعداء الفلسفة !

للدكتور عادل بصوا

يتفق النقاد من أعداء الفلسفة على الزعم بأن الفلسفة بحث نافل خيالي خطر، وانها تظل دائماً حيث تبدأ ، فلا تصل البتة الى أي نتيجة ثابتة جازمة ، وانها - لذلك - تقصر عن بلوغ منزلة الاستقرار ، وتعجز عن التحلي بسهات المعرفة الوضعية .

قالوا : إن الفلسفة لا تسير بخطى تقدمية منتظمة كما تسير العلوم وتخطو ، وهي لا تحقق أبداً تقارب العقول والتقاءها حول حصيلة نهائية مستقرة . فما زالت جهود الفلاسفة تبذل ، وما زالت مناقشتهم تجتري ، وما زالت عبقرياتهم تتمخض منذ نيف وثلاثة آلاف سنة ، ولكن مرد ذلك كله لم يسفر عن أية معرفة قاطعة في أية نقطة من النقاط . لم تقل الفلسفة قولاً إلا وهو ينبوع بحث لاحق ، ومناقشة تالية . وقد ظهرت في دنيا الفلسفة صروح منطقية شهاخ تدعي هنا وهناك تمثيل الأشياء كل الأشياء ، وزعم انها تقدم عن الكون الى الفكر صورة يرتضيها ويقنع بها . ولكن هذه الصروح المنيفة لم تتعاقب تعاقب حلقات متسقة ، بل كانت

مذاهب شتى تذخر ، في أحسن افتراض ، بقوة إجماع لولا أنها كانت بذاتها نتائج
وهنٍ واهٍ . إنها تثير فضول الفكر ولكنها لا تطعمه . تراوده سراباً ولا ترويه
ماء ! ولذا نجد لها رؤى متهاقنة تزول كالأحلام يدفع بعضها بعضاً ، وهي كلها تنشد
مثلاً أعلى لا يتناك . وليت الأمر يقف عند مباينة المذاهب الفلسفية بعضها بعضاً .
ولكنها تشترك جميعاً بأنها باهظة الثمن ، وبأنها تبعث القنوط واليأس في نفس
إنسان اليوم الذي يمر بها مرور الكرام ، ويخص متحفها التاريخي بزيارة عابرة
لاهثة ، فينظر الى أطلالها ويعجب للجهد الذي أنفق في سبيلها ، ولكنه لا يطيل
المكث في أية غرفة من غرف هذا المتحف ، ليتخلص من جولاته وقد عادت به
الريح الى محل البدء ، ونقطة الانطلاق .

يقول الشاعر المعروف (بول فاليري) : « ان مهنة الفيلسوف تتميز ،
أفضل ما تتميز ، بعدم الفهم » . و « ان الفلسفة لا وجود لها ، لأن الذي يوجد
إنما هو تنويع معاني القلم » . ويعلم قارئاً : « ليس الرهيب ألا نفهم الفلاسفة ، بل
الرهيب كل الرهيب هو أن نفهمهم » . وقديماً سفه (جمال الدين ابو بكر بن العباس
الخوارزمي) الفلاسفة لأنهم « قوم من اليونانيين تحذلقوا في المعقولات حتى وقعوا
في وادي الخيرة والخطأ ، وتحيروا في الالهيات ، وبنوا مقالاتهم على التشبهى المحض ،
والدعوى الصرف ، ويزعمون انهم اكيس خلق الله ، وسياق مذهبهم على أنهم
أجهل خلق الله ، واحق الناس ، وأساس الاتحاد والزندقة مبني على مذهبهم ،
والكفر كله شعبة من شعبهم » . ويحدد (ابن الصلاح) رأيه في الفلسفة بقوله
« الفلسفة أس السفه والانحلال ، ومادة الخيرة والضلال ، ومثار الزيف والزندقة ...
والمنطق مدخل الفلسفة ، ومدخل الشر شر ... ومن زعم أنه يشتغل مع نفسه
بالمناطق والفلسفة لفائدة يزعمها فقد خدعه الشيطان ... »

وليس من شأننا في هذا المقال أن نخفي في عرض الاتهامات والانتقادات التي يوردها ضد الفلاسفة أعداؤها من غير الفلاسفة ، وإنما نجاوز هنا خصومة الاختصاص لأن الفلسفة لا تنكر إلا بالفلسفة ، ونقتصر على الإشارة إلى بعض انتقادات « عميقة » يوجهها فلاسفة إلى الفلسفة ، وكأن في موقفهم سلاحاً ماضياً وسيفاً باتراً يحسم ما اختلف الناس حوله في كل حين .

لقد أخذ الفلاسفة الربيون في (يونان) على الفلسفة كثرة مذاهبها وتعارض هذه المذاهب . وعابوا ، بوجه خاص ، وثوقية (افلاطون) وموسوعية (ارسطو) على السواء . وشنع (الغزالي) على فلاسفة بيثته اتباعهم رأي القدامى من غير تمحيص ولا تدقيق ، فبدّع الفلاسفة المسلمين في مسائل ، وكفّروهم في مسائل أخرى ، ولم يسمح للعامة بولوج قصر الفلسفة ، وقصر السماح على الخاصة بعمقها . فبعض من العلوم الفلسفية النافعة دون سواها . وهاجم (ديكارت) الفكر الوسيط وانتقد روح السلطة وندّد بعار الخنوع والاستسلام . أما (كانت) فإنه ينكر (الميتافيزياء) كلها وينعتها بأنها اخفاق ذريع لدعوى عريضة متبجحة . ويسعى (اوغست كونت) إلى استبدال الحال الوضعية بالحال اللاهوتية والحال الميتافيزيائية منادياً بفلسفة علمية هي علم العلوم . وقد رسم (هوسرل) في مطلع كتابه « التأملات الديكارتية » لوحة قائمة عن الفلسفة الحديثة ، وأبان خصومتها الداخلية وأظهر عمقها وتشبّثها . يقول : « إن حال الانقسام التي نجد عليها الفلسفة في الوقت الحاضر ، والنشاط الذي تبذله إنما يدعواننا إلى التفكير . فمن وجهة النظر المتعلقة بوحدة العلم ، لا تزال الفلسفة الغربية ، منذ منتصف القرن الأخير ، في حالة الانحطاط الظاهر ، بالنسبة إلى العهود السابقة . إن الوحدة قد اختفت في كل مكان ، سواء في تحديد الغاية ، أم في طرح المسائل ، ووضع المنهج . لقد تحول

الايان الديني اكثر فاكثر الى مواضعة خارجية في بدء العصر الحديث . ثم مالبت ايمان جديد ان امسك بالانسانية العاقلة ورفعها . وهذا هو الايمان بالفلسفة وبالعلم المستقلين ، ومنذ ذلك الحين ، وجب على الثقافة الانسانية بأسرها ان تقاد وان توضح بنظرات علمية ، وجب ان تصلح وتحول من جراء ذلك الى ثقافة جديدة مستقلة » .

* * *

والحق ان النقد الذي يوجه الى الفلسفة اعداؤها من غير الفلاسفة إنما يستند في الواقع الى نظرة سطحية ، وتجربة منحلة ، وفكر ناقص . ذلك أن في الفلسفة نقاط ثبوت تفوق مايتصورون . وهذه النقاط راسخة رسوخاً تغشي شدته الابصار ، وتصرف قوته عن الانتباه له فتبدو حقائق الفلسفة في بدايات مألوفة مقررة حتى يكاد المرء لا يلفظ لها ، فيحيها ، وهو يحيلها جهل تركيب ، وهي ذاتها تؤلف القاع الأعمق في جبلة الحس المشترك الذي يستمد منه « اوليات » معرفته ، ومبادئ علمه ، وقد ثبتت هذه النقاط والحقائق في « الاشعور الجمعي » ان صح التعبير ، وتوارثها الخلف عن السلف ، فانتقلت من جيل الى جيل ، حتى اصبحت بمثابة « مسلمات » اولية مبتدلة أو بدئية . ولكنها كانت في أصلها نتائج غزو فلسفي اصيل مالبت بالتكرار ان أمسى تقليداً عقلياً متوارثاً يمارسه الفكر من غير ان يتحقق من أمره . لنضرب على ذلك مثلاً هذا الفكر العربي التقليدي الذائع الذي يؤلف في امتنا مانسميه بالرأي العام . ألسنا نجد في تضاعيفه الموروثة بقايا « السيوف » الفلسفية ، وتنف « المذاهب » و « النظريات » التي عرفها تاريخنا في عصره الاموي فالعباسي فسائر العصور ؟ ان اتهام الفلاسفة بالاحاد ، وتكفيرهم في نقاط ، وتبديهم في أخرى ، هو بذاته « فلسفة » اجاد الاعراب عنها حجة

الاسلام (الغزالي) ، ثم ردها (ابن رشد) في «تهافت التهافت» ، ثم جاء المدعو بالخواجه زاده ، ووضع لارضاء الخليفة العثماني ، وتلبية لأمره ، كتاب «تهافت تهافت التهافت» ليرد أيضاً على الفلاسفة ، ويتهم الفلسفة ، وهو يعتنق في خصوصته فلسفة من نوع جديد ، ثم عصفت الريح بالأفكار ، وجفت نضارة النقاش ، وذبل نسغ التأمل ، ولم يبق سوى اوراق «ميتة» من خريف انحطاطنا الثقافي ، نلقاها هنا وهناك ، وهي تكتمني بان تعلن الحرب على الفلسفة ، من غير فهمها ، أو بدون تعمق الاتهام ، وتكتمني آتئذ بحجة قديمة ، موروثه وتقليدية ، شعارها : من تمنطق شهراً فقد ترندق دهرأ ! . .

اننا اذا عمدنا الى تشبيه الفلسفة بالجرة الفينا ان انفصال العلوم عن الفلسفة من جهة ، وتمايز الفكر الديني والفكر الصوفي عن النشاط الفلسفي من جهة اخرى ، كل ذلك لا يضير الفلسفة في شيء ، بل انه ييسر لهذه النواة الفلسفية مزيد التمرکز ، وزيادة حرارة ونور . ويظل من الثابت ان الشمس ، او النواة المركزية أو الفلسفة ، هي التي تبعث في ثقافة الانسان الدفء والحياة . وهي التي تنتظم مجاري هذه الثقافة وترعى نماء فروعها باتساق وانسجام .

اضف الى ذلك ان مما يخرج عن الفطنة ان نحسب ان عهد «الاستسلام» وزمن «الاستطلاع» ، و «التطلع» ، و «الفضول» قد مضى وانقضى . بل الحق ان باب المعرفة مازال مفتوحاً ، وسيبقى مفتوحاً الى الابد . وليس بجائر ان نفسير وقائع التاريخ التاريخ الثقافي تفسيراً مشوهاً مغرضاً لتيسير تقدها وتسهيل دحضها . نعم ان فيلسوفاً لا يحل بعض المشكلات حلاً نهائياً ، ومثلاً مشكلة الحرية في دنيا المثل الاعلى وفي واقع الناس ، او مشكلة المال ، او مشكلة الحكم ، او مشكلة الموت والحكم عليه وعلى مايليه بانه معقول او غير معقول . ولكن هل يستطيع

أي عالم في الفيزياء او الميكروفيزياء ان يحل مشكلة المادة ، ومعضلة النواة ،
وصيرورة الطاقة هي بالذات ؟ ألسنا نؤمن اليوم بأن الحلول الرياضية ذاتها حلول
مسائل لم تحظ بحل نهائي مطلق ، بل ان حلها هو حل تقريبي الى حد
كبير او صغير ؟

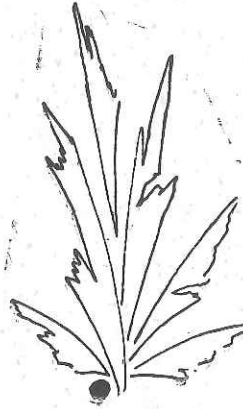
ألا ان مطلب « الحل النهائي » في الفلسفة ، شأنه شأن « المطلب النهائي »
في العلم ، اوفي الادب ، اوفي الفن والسياسة ... كل اولئك ينم عن موقف ساذج
عتيق ، بل ان مفهوم الثقافة نفسه ينفي معنى الوقوف عند حل « نهائي » في أي
مجال تطاله فاعلية الانسان .

اما الفلاسفة ... اعداء الفلسفة الذين عابوا على الفلسفة ما عابوا فان انتقاداتهم
لم تمنعهم — في الحق — من المضي في طريق الفلسفة ، ولم تحملهم على التوقف عن
السير في معراجها ، والانصراف عن تلبية ندائها . والانجذاب الى سحر فتنتها
وغوايتها . ومن اليسير ان نلاحظ في التعقيب على اراءهم انهم لم يستهدفوا في الواقع
القضاء على الفلسفة ، وتحجيف معيها ، وانما أملوا ، خير ما أملوا ، ان تكلل
جهودهم بنجاح لم يعرفه اسلافهم من قبل ، فكان غرضهم الاساسي ، وحافزهم
العميق ، الاقتراب من مفهوم « الفلسفة النهائية » ، « الفلسفة الذروة » ، وهو
ملتقى طامح الفلاسفة القبارين . ألم يحسب (ديكارت) ان فلسفته ستقضي قضاء
مبرماً على فلسفة المدرسين ؟ ألم يسبقه (الغزالي) بدعوى القضاء على فلسفات
الفلاسفة ليحل محلها فلسفة اخرى هي فلسفته المتصوفة بالذات ؟ لقد ذهب (كانت)
الى ان مذهب « نقد العقل المحض » خير من مذهب (ولف) ، ووثق (هوسرل)
نفسه بجودة طريقته وصحة نهجه أعظم وثوق .

فالفلاسفة اعداء الفلسفة اذن لا يستغنون هدم الفلسفة ، ولا رقد اعدائهم

بسلاح قد يخيل اليهم انه يدين الفلسفة واصحابها كما قد يتبادر الى الازهان الحاقدة الكسلى . وانما يرجو الفلاسفة النقاد ، آخر مايرجون ، اصلاح الفلسفة وتقويم اعوجاجها وتنمية تجربتها وشد ازرنائها واكل ثروتها . وان تقدم نقد ايجابى بناء ، يفتر عن امنية متفائلة تجعل كل صاحب فلسفة يحسب انه يملك الفلسفة النهائية ، والحقيقة الاخيرة ، والذروة القصوى ... ثم يمضي الفكر الفلسفى قدماً بمضي حياة الانسان !..

ان نقد الفلاسفة للفلسفة تعبير عن ايمانهم الضمني او الصريح باطراد نمو الفلسفة وتقدمها وازدهارها وتكاملها عبر العصور والعقريات . ولا نغلو اذا قلنا ان هذا الايمان بالفلسفة يعظم اليوم عنه في أي وقت مضى ، وان ثقة الفلاسفة بالفلسفة تجاوز الآن كل تحديد . ولعل في وسعنا ان نقبس اخيراً قول صورة مأثورة : من كان بغير فلسفة ... فليلق اذا شاء الحجر !..



حضارتنا هل هي انتحار؟

للكاتب الفرنسي بيير غاسكار

PIERRE GASCAR

تقريب : أديب البحري

أبكون عصر الصواريخ العابرة
الى الكواكب ، والسرعة التي تفوق
سرعة الصوت ، والانفجارات النووية
المتنوعة ، أبكون عصرنا هذا عصر
تكاثر متزايد الاتساع لأمراض الجسم
وامراض النفس أيضاً ؟ كثيرون من
رجال العلم يرون أسباباً جديدة تجعلهم
يخشون ذلك . ان بيير غاسكار ،
الأديب الفرنسي ، الذي عني منذ
سنوات بمشكلة « جوع البشر » ،
يحاول في مقاله اليوم ان يلقي ضوءاً
على هذا التهديد المريع .

ضجيج ، وتسارع في الحياة ، واجهاد ، وذوبان للفرد في الجمهور : أنرانا تنكر على حضارتنا ، وهي في مرحلتها الراهنة ، أن تكون سامية ؟ إني أعلم أن هناك من يجادلون بالأمر ، ويلاحظون ، أمام ازدياد الاضطرابات العصبية (إذ يوجد في المدن شخص من أصل ثلاثة ، مصاب بهذه الاضطرابات) أن الناس ، وقد أصبحوا أكثر اهتماماً بتوازنهم مما كانوا في الماضي ، يهرعون اليوم الى الطبيب ، ولأقل إشارة ، يحكون له همومهم . فهم اليوم مسجلون ، بينما كانوا ، من قبل ، نكرات .

ان تعريف العصاب (١) ذاته مازال عرضة لخصومات لانهاية لها ، كما ظل غامضاً . إنه مرض ال « أنا » . ولكن ، ماهو الأنا السوي ، ماهو الأنا السليم ؟ في هذا المجال ، أصبح المرض في كثير من الاحيان ، خلا بعض الاعراض المسماة بالأعراض السيكوسوماتية (النفسية - الجسمية) Manifestations Psychosomatiques ، أشبه بمفهوم جديد للحياة ، بنظرة جديدة عن الدنيا ؛ وأصبح يصعب الكشف عن الاضطراب أو عن تفسير آخر للحقيقة في أفكار الرجل المضطرب أو أفكار المرأة الواهنة . ان العصاب يمكن أن يعرف تعريفاً اجالياً ، بأنه اختيار الفرد اختياراً محتوماً لمنطق بائس . يجب أن نلج على الشنوذ في هذا المنطق ، على التحيز في تفسير الحوادث . ولكن ، كيف لا نرى أن هذه الحوادث هي ، في أكثر الاحيان ، أبعد ما تكون عن « البراءة » وأنها تمنع في إذكاء مخاوف الفرد بصورة مشروعة ، بل في إذكاء اليأس عنده . ان القضية تقوم على بيان النقطة التي لا يعود فيها الكائن الانساني بالنتيجة مصيباً ، ويشرع بالانزلاق الذي يقوده الى حالة عقلية ، تأخذ فيها مشاعره المبررة في الظاهر ، شكلاً مرضياً .

الواقع الخارجي يلعب اذن دوراً حاسماً . على أنه ليس باليسير أن نحدد هذا الدور تحديداً دقيقاً . فلنحسب حساباً للتسلسل الطبيعي لأسباب اتفاق الحاضر ، يجبر بنا أن ندرس أولاً الأثر الذي يتركه في فكرنا ما يحدد النوع ذاته ويعرض مصير الانسانية للخطر .

ان ما يمتلكه الدول العظمى في هذه الايام من وسائل الدمار

(كالتقابل الحرارية النووية التي تربو قوة الواحدة منها على عشرات ملايين الاطنان من المتفجرات ، وكأشعة الموت - ترى ، هل تم اكتشاف هذه الأشعة؟ - وكالاسلحة المسماة بالجرثومية ، وسواها)

(١) العصاب Névrose . مرض نفسي يتجلى بتوقف نمو الوظائف العليا عند الفرد ، ويحجز عن التكيف مع الواقع . من أنواعه : المستريا وهي مرض يصيب بنية الشخصية ذاتها ، واضطراب عابر في الذكاء والحساسية والحركة ، والوهن النفسي : ويتصف بضعف عقلي وبنقص أو فقدان للشعور بالواقع (المترجم) .

تجعل من الحرب ، كما نعلم ، ضرباً من الانتحار الجماعي . وقد غدا حقاً علينا أن نتوقع بعد اليوم نهاية الكوكب الذي نعيش فوقه ، أو نتوقع على الأقل نكسة في الزمان الى الخلف ، تزيل لدى الاحياء كل رغبة في البقاء . ان الانسان يسك ، لأول مرة في تاريخه الطويل ، بمفتاح العدم الذي لن يطبق عليه وحده فقط ، بل يطبق على النوع الذي ينتمي اليه ، وعلى سائر الانواع الحية الاخرى على الارجح .

كان الموت الافرادي ، بل كان الموت الارادي ذاته ، بالنسبة للشخص الذي يموت ، يحدث حتى الآن داخل خلق أبدي . كان الشخص يموت ، بينما يظل الآخرون أحياء ، يكررون عملية الحياة . كان الانسان يموت أمام مرآة لاتزول منها صورته زوالاً كاملاً . كان الانسان يخلف وراءه سلالة طويلة ، سلالة من الشهود والمكلمين لآثاره ؛ وكان الموت ، بأشكاله المختلفة ، بل وفي حالات الانتحار الانائي ، يأخذ قيمته بوصفه حادثاً اجتماعياً .

ان الامر لم يعد كذلك في حال نشوب حرب حديثة شاملة . كل شيء يمكن ان يموت معنا اليوم . « صبيحة الغد » يمكن أن تموت معنا أيضاً ، ان هذه الفكرة خائفة للانسان بكل معنى الكلمة . كنا قبل اليوم غوت ونحن نعرف أننا نترك الدنيا ، أو كنا ، حين ننتحر ، غوت لأننا لا نريد أن نبقى في هذه الدنيا . أما بعد اليوم ، وفي نزاع مسلح كالذي أشرت اليه ، فسوف غوت ونحن نعلم أننا نسوق الى الموت المكان الذي أخليناه أيضاً . ذلك هو العدم المطبق : لم يعد موجوداً حتى المكان الذي أخليناه ، لم يبق بعدنا شيء يتحدث عنا ، ان هذا هو الفراغ .

ويبدو مع ذلك أن هذا التهديد الخيف ، الذي مافتتت الخصومات السياسية الفائرة في العالم تغذيه ، لايزيد الاضطراب الذي يشكو منه المجتمع زيادة ملحوظة . فثلاً لم يتمكن تحليل الأحلام الذي نجريه على عشرات الألوف من الأفراد في مستشفيات الأمراض العقلية أن يفصح حتى الآن مرة واحدة عن « خوف ذري » . ورغم حقائق هيروشيا ، ورغم الدعاية التي أحيطت بها التجارب الذرية ، ظل الموت الذري فكرة مجردة . طبعاً ان القنبلة الذرية بقيت من حيث نتائجها أمراً « لا يمكن ادراكه » ان صبح التعبير ، بسبب سعة الدمار وكثرة المقابر التي تخلفها . وكونها يمكن أن تبديد مدينة بمساحة باريس وضواحيها ، أمر يفوق قوانين الحركة التي ألفناها ، حتى لو تمكنا أن نتخيل امتداد هذه القوانين بصورة فائقة ، بحيث أن أمراً كهذا يابأه شعورنا ، أي

أنا نعرفه، ولكننا لا نريد أن نعترف به في الواقع . وقد لوحظ بهذه المناسبة أن الفكر البشري يتمرد على فكرة التقدم بنسبة هندسية . ان الواقع يفر منا حين يتخطى حدود الجمع والضرب البسيط .

ولكن الأمر يختلف عن ذلك حين يتعلق بالتهديدات الناجمة عن زيادة الاشعاع الذري . ان تأثير هذه التهديدات على الفكر البشري أمر واقع ، رغم كونه لم يبلغ حداً يثير ردود فعل جماعية واسعة النطاق . كل ذلك طبيعي جداً . فتلوث الجو بالاشعاع الذري يفقدنا جميعاً كل سند، بينما يأمل كل واحد منا أن يتخلص ولو بأعجوبة خارقة من الأذى المباشر للقنابل الحرارية النووية . يضاف الى ذلك ، استناداً الى خاصة في تكويننا العقلي ، ان حادثة أو ظاهرة ذات طابع خارق (والاشعاع الذري ، بوصفه غير مرئي ، غير مادي ، يتمتع بجميع خصائص اللغة الالهية ، بينما تظل القنبلة الذرية على العكس ، سطحية تافهة) تستحوذ على الفكر أكثر مما يفعله أي واقع . ثم ان غموض هذا التهديد — إذ مامن انسان يعلم يقيناً بالموقف الذي ينبغي اتخاذه تجاه الاشعاع الذري — وسعته التي تذكرنا بسعة الارادة السماوية، هما بالطبع ميسران للذهيان ، أو لاضطرابات الفكر بدرجات متفاوتة على أقل تقدير .

على أنه ليس لدينا دليل في الوقت الحاضر يشفع لمثل هذا الخوف . فزيادة نسبة الاشعاع الذري المنبعث من سلسلة التفجيرات التجريبية الأخيرة — التي كانت تكفي وحدها لانهاء نزاع مسلح في حال وقوعه ، لو أنها استخدمت في المجال العسكري — مازالت ضئيلة على وجه العموم . وحتى في شروط كهذه ، يلاحظ بعض الناس أن ثمة خطراً من تجمع الغبار الذري ، ومن تشكل « سحب » مميت — وقد تعمدنا استعمال هذه الكلمة المدوية « سحب » كأنها نبوءة عن قرب فناء العالم ، ولأن الجمهور يستعملها أيضاً — . وأخيراً إن أي اخصائي بالأجنة عاجز عن التأكيد بأن نسبة الاشعاع الذري الذي تتعرض له الانسانية ، سواء تشكل سحب ذري أم لم يتشكل ، لا يمكن ان تحدث لدى الفرد تبدلات في الصبغيات Chromosomes تؤدي بالتالي الى تشوهات وشذوذ فطري لدى من سيولدون غداً ، لأن التأثير الذري يستمر ثلاثين سنة .

هذه الافتراضات التي تسهب الصحافة في شرحها ، لاتخلو من اثارة قلق الجماهير . ان هذه الجماهير تعلم ، وتردد كل يوم علماً ، بأن ثمة اشعاعاً ذرياً متأتياً من المنشآت الصناعية والطبية المتكاثرة ، يضاف الى الاشعاع الذري الطبيعي والى الاشعاع الناتج عن القنابل النووية التجريبية . وهذا هو مبعث التحذير من أخطار التعرض على الفحص بالأشعة لأنها تطلق كمية كبيرة من أشعة رونتجن .

وكان رد الفعل سريعاً ، مطلقاً ، وبالتالي عصياً . فالأمهات في الولايات المتحدة الامريكية يرفضن اليوم عرض أطفالهن على الفحص الشعاعي . وباستطاعتنا أن نقدر نتائج مثل هذا التصرف . فلئن نجح هؤلاء الأطفال من ويلات الاشعاع الذري ، فلكي يتعرضوا الى أخطار التهابات رئوية لم يتم كشفها في الوقت المناسب .

لم يعد لدينا أعداء خارج أنفسنا :

ذلكم مثال لواحد من المآزق التي أدت اليها أحياناً حضارتنا . إذ مامن شيء أبعث على الحيرة ، بل أكثر إثارة لمختلف ضروب العصاب ، كإقلاب بعض الفوائد التي أبدعتها عبقرية الانسان وضعفه ، الى تقيضها . اتنا هنا أمام اللامعقول ، السبب الرئيسي لشوش الفرد في الوقت الحاضر . فهو يشعر بأن الواقع الذي صنعه بنفسه ، ووجهه لفائدته ، يخونه . ان ابداعه يودي به ، كما جاء في الأساطير (أسطورة الساحر المتمرن L'apprenti Sorcier) . انه ينظر الى ماحوله بحذر ؟ وأي شيء لا يؤدي بالنتيجة الى فئائه ؟

والجدير بالإشارة هنا ، ان خوف الفرد أصبح ينبعث من الاشياء ، من اشياءه ذاتها ، لامن أقرانه . فلم يعد الخوف من حرب ذرية ، قليلة الهمية كما رأينا ، ولا الخوف الناشئ من تزايد الاشعاع الذري ، يجعلنا نوجه التهمة الى أشخاص . ونحن اذا تجاوزنا العواطف المنبثقة من المبادئ ، نجد اجمالاً ان ممثلي الكتلتين المتنازعتين يتقاسمون سوية مسؤولية الدمار المقبل ، وانهم عاجزون عن الحد من سعة شموله .

على انهم وان يكونوا رؤساء دول متمتعين بأعلى السلطات ، يظنون مقيدين (حين ينشب نزاع مسلح) بالتهديد الموجه اليهم او بانقلات قوة مبيدة لا يقدرّون على ضبطها ، فينجرون الى الاتحار الجماعي عن طريق « الشيء » الذي هو هنا القنبلة النووية ، انهم ايضاً سحرة متمنون سرعان مايبلغون عتبة يأخذ القدر بعدها يتقدم ويكبر وحده ، عتبة يستقل بعدها الشيء المزود بقوة تفوق كل تقدير (كان جديراً بنا أن نتحدث هنا عن « هذيان الشيء ») ويأبى هذا الشيء ان يكون احد مسؤولاً عن آثامه .

وفي الميدان السياسي تتجلى الصورة الكبرى لفقدان الشخصية ، اذ نجد الرجل السياسي يتلاشى (هذا ما يسمى عندنا خدر الجماهير) بقدر ما تنفصل الافكار عن الاشخاص ويصبح

قوامها الواقع الاجتماعي والاقتصادي . هناك اذن فقدان العنصر السياسي في مجتمعنا ، وألح على فكرة انه فقدان يتسم بالتخلي عن الرموز الشخصية ، الرموز الانسانية ، لقد حلت فكرة القدر الآلي محل السياسة التقليدية . كان باستطاعتنا فيما مضى ان نؤثر في الناس ، غير ان «الاشياء» اخذت اليوم تخرج على ارادتنا وتستعبدنا .

فلا عجب أن نشهد اختفاء الموضوعات السياسية التقليدية من هذيانات الامراض العقلية . لم تعدمة اساطير . لقد تمكن أحد أطباء الامراض العقلية من تتبع تاريخ فرنسا ، في مدى خمسين سنة ، من خلال الهذيانات الكبرى التي أصيب بها مرضاها ، فاليسوعي والماسوني احتلا في البدء مكانين أساسيين في هذا الهذيان . ثم تلاهما الألماني ، ثم جاء في اثره البلشي احياناً . لم يكن الهذيان في الغالب سافراً ، بل كان يتستر بقناع التجسس ، اذ ان الجنون يتغذى بالشك حين يواجه واقعاً يريد ان يكذبه باستمرار . وقد ابتعد اليوم القلق أو الهذيان عن الرموز السياسية ، ولئن ظهر موضوع ابن الشمال الافريقي في الهوس الذي أصاب بعض المرضى الفرنسيين ، وأخذ صورة شيطانية ، فهو لم يكن سوى ذريعة لتجلي خوف عرقي غامض ، أو لم يكن سوى وسيلة تذكر بالصدمات الانفعالية الناشئة عن الحياة اليومية اثناء حرب الجزائر .

هكذا نرى من خلال هذه الصورة الخاطفة للامراض النفسية ، أن عصرنا لم يعد يحتوي على تلك المخاوف الكبيرة « المقروءة » بشكل واضح ، تلك المخاوف التي كانت تحدد على مر التاريخ نماذج من أمراض العصاب الجماعية . كما أننا لم نعد نعرف تجسيدات الشر ، تلك التي كان أجدادنا يغدون منها أحقادهم ووساوسهم . لقد حل « الشيء » مكان الانسان . فأني ربح حققنا ، مادمننا لم نفعل شيئاً سوى ان عرينا قلقنا ، وظل هذا القلق على حاله دون ان يتجسد في وجه ، كما ظل الشر معنا ، وما ربجناه هو أننا لم نعد نعرف أسماء شياطيننا ؟

لم يعد لنا أعداء خارج أنفسنا . اننا في قلقنا لانجد سوى الساء ، سماء خاوية لأن الآلهة ذاتها قد تلاشت منها ، وهانحن أولاء هنا ، لاوجه تتجه اليه ، ونصرخ فيه ، هانحن أولاء في عالم جديد ، ليس فيه سوى « أشياء » تعض . ووضع الانسان هذا ، وهو سبب الأزمة النفسية الراهنة ، نجده ابداً في الحياة اليومية .

منذ حين قال جان روستان Jean Rostand : « الا تعتقد ان امراض العصاب الخفيفة ، والاضطرابات « الصغرى » كما تقول ، لا تنطبق عليها قاعدة الاطراد ؟ هل صحيح حقاً ان هذه الاضطرابات زاد عددها بنسبة تدعو الى القلق ؟ يخيّل لي ان كثيرين من الناس قد اتجه انتباههم اليها بنتيجة دعاية لطيفة حفلت بها الصحف خاصة . وما ان يكون احد من هؤلاء الناس غير راض كل الرضى عن وضعه ، حتى تسمعه يقول : « انني اشكو عصاباً ، ينبغي ان اذهب الى الطبيب » ثمّة اذن تحريض على زيادة العصاب المصغر لدى الناس . »

ليس من حقنا أن نشك في صحة هذا القول شكاً مطلقاً . فتقدم علوم الفكر من جهة ، والدعاية ، بل الدعاية المتذلة التي أحاطت بهذه العلوم من جهة أخرى ، أدت بنا الى الشعور ببعض المبادئ السيكولوجية ، والى عدم اعتبار سلوكنا ظاهرة طبيعية لشخصيتنا . وهكذا ضعف مفهوم « الطبع » ، وأصبحنا نرى في فيما تعودنا على تسميته في الماضي « خاصة وراثية » أو « رغبة من رغبات الخالق » ينبغي أن نتقبلها ، أصبحنا نرى في ذلك تشوهاً يمكن أن نشفى منه . وما إفراطنا في استعمال تعبير « العقدة النفسية Complexe » في أحاديثنا الا دليل على صحة ما ذكرناه .

ويرأى لنا ، مع ذلك ، أنه ليس لهذا المفهوم الجديد عن الصحة العقلية النتائج الخطيرة التي نعزوها له .

وقد قال لي جان روستان فيما بعد : « كان علي أن أبدي هذا الاعتراض . ولكنني أعرف أن ثمّة زيادة في الاضطرابات التي تتحدث عنها . وليس في ذلك غرابة شديدة اذا نظرنا الى المجتمع الراهن . »

فالواقع ان الاضطرابات الجليلة وحدها هي التي تحمل الافراد على الذهاب الى الطبيب أو الى مستوصفات الصحة العقلية . ولسنا بمغالين اذا قلنا ان هذه المستوصفات تتيح لنا مراقبة الصحة العقلية العامة بصورة مستمرة ، كما تتيح لنا رؤية الاضطرابات الحالية بصورة جليلة . ومن حقنا أن نستنتج بأن هذه المستوصفات ، حين يتزايد عددها ، وتزداد سعتها تصبح تآكيداً لدلائل وجود المرض النفسي في مجتمعاتنا في فترة من الفترات .

ان الاضطرابات التي استتبعها حرب الجزائر ، والصراع بين رجال الشرطة وأبناء الشمال الأفريقي في باريس ، قد تجلّت آثارها بصورة مباشرة في تلك المستوصفات . فقد زاد عدد رجال الأمن الذين جاءوا الى هذه المستوصفات زيادة لامتثل لها من قبل ، بينما كان الجزائريون في تلك الآونة ، بل قبل ذلك الحين أيضاً ، يتراجعون على هذه المستوصفات ذاتها ، فهل تظفر بلوحة أكثر صدقاً وأسى في تعبيرها عن المأساة من هذه اللوحة ؟

أكان ينبغي شفاء دوستويفسكي وفان غوغ ؟

ان هذا الطب النفسي الموجه ، النبيء عن المجتمع القبل الذي سنجد فيه حتماً ، في مدته خاصة ، مستويات للصحة العقلية منتثرة في كل زاوية من زوايا الشوارع ، ان هذا الطب النفسي لم ينتشر بعد انتشاراً كافياً يفينا عن اللجوء في كثير من الاحيان الى الحلول المشكوك بجدواها .
إنني أفكر بصورة خاصة بمختلف المستحضرات الكيائية التي يطلق عليها اسم « المواد المهدئة » (وهي تسمية تدعو الى الطمأنينة ، رغم كونها تخفي أحياناً مواد ذات مفعول لم تنبئ به بعد) ، كما أفكر ببعض أشكال التحليل النفسي .

حدثني مؤخراً أحد الكتاب عن زميل له أمريكي . ان هذا الزميل الذي يتمتع بموهبة قائمة وعنيفة ، جعلت الأدب الأمريكي المعاصر يعقد عليه أكبر الآمال ، كان يشكو من القلق ، كما يشكو من آلام معنوية ربما كانت هي الدية المشروعة لطاقته الفنية الرائعة . واكتشف ذات يوم « العلاج المهدئ » الذي يطرد شياطينه فأخذ يكثر من تعاطيه . واصبح اليوم هذا الكاتب انساناً ضاحكاً ، يكتب في المجلات الكبرى الصورة قصصاً بهيجة تعود عليه بالربح الوفير . لقد اختفت موهبته القائمة . وكان باستطاعته أن يعود اليها ، مافي ذلك ريب . إلا أنه غير راغب قط بالعودة مع جوقة من الآلام المعنوية . تلك هي المشكلة .

وبتعبير آخر ، أينبغي لنا أن نشفي بودلير Baudelaire ودوستويفسكي Dostoievsky وفان غوغ Van Gogh ؟ من منا لايميل الى الاجابة للوهلة الاولى « بنعم » آخذاً بين الاعتبار آلامهم ؟ ولو طرح هذا السؤال على مجتمع قبل قرن ، لأجاب « بنعم » أيضاً ، ولكن المجتمع كان عاجزاً عن شفائهم في ذلك الحين . لم يستطع شفاءهم ، بل عاقبهم . غير أن هذا العقاب ، على مافية من قسوة وشراسة ، قد أدى الى زيادة شقاء هؤلاء الذين ذكرت أسمائهم ، والذين عاشوا من شقائهم ، ونقلوا لنا عنه عبرة رائعة . إنني أعرف مدى الخطر والاستنكار لهذه الفكرة التي أرسم الآن ملامحها . ومع ذلك ، ألا نصل أحياناً ، أمام ما أحرزته علوم النفس وبعض أنواع الصحة العقلية من تقدم مذهل ، الى أن نفضل أسوأ أنواع الظلم على نماء الشفاء ؟

قد يجيبون بأن الألم المعنوي ليس بالضرورة أسمى أنواع التعبير عن الصفاء الذهني ، وبأننا قياساً على مانسميه اليوم (العلم - الوهم) نستطيع أن نتخيل عالماً تعموره كائنات متحررة من القلق ، متكيفة تكيفاً كاملاً ، عالماً متحرراً من النشاز أو القسوة التي تسببها بعض العبقریات الفردية ، عالماً

ينهم بقسط واحد أو بمزيد من قوة الانسجام والسعادة ، فهل من حاجة
اذن لبودلير ودوستويفسكي وفان غوغ ؟ أليست هذه نظرة رومانتيكية للانسان
لم تعد مناسبة في هذه الايام ؟ ألا تستطيع طاقات أخرى ، أكثر هدوءاً ، أن تتفتح ، وتعطي
ثمراً لم توقعها ، ثمراً قد تكون أقل جمالاً من تلك ، بالقياس الى أسس البديع القديمة ، ولكنها
ثمرة دسمة على أية حال ، تبشر باتساق وانتظام ؟

مأساة الابتسام

إنني لا أثير هنا عبثاً هذه المناقشة العقيمة . فنحن الآن في مرحلة اختيار الى حد ما . ان
ثمة علماء في النفس والاجتماع ، أقل سداجة مما يبدو لنا ، تمكنوا في بعض البلدان من أن يفكروا
برد الفرد الى نوع من النموذج العقلي المتسق ، بفضل العقاقير التي أشرت اليها ، أو بفضل التحليل
النفسي الموجه . إنهم لم يحددوا هذا النموذج تحديداً واضحاً ، ولكنهم تصوروا بأنه سيصف
على أية حال بسعادة الرضى ، انهم يفكرون بالنتيجة بعملية جراحية للدماغ .

ومن المعلوم أن هذه العملية تقوم على قطع بعض الالياف الدماغية التي تصل الفصوص
الجبهية بالتلاموس . ونتائج هذه العملية الجراحية باهرة عند كبار المصابين بالهيموم ، فحين نزع
الستار الذي يخفي المريض المعالج (لا أزال أذكر هذا المشهد الذي رأيته بنفسى ذات يوم) فأننا
نكتشف وجهاً مرتاحاً مبتسماً . فالمأساة هي أن هذا الوجه سيظل أبداً مبتسماً . أقول: المأساة ،
لأن هذه الطلاقة الابدية لا يرافقها نقصان حقيقي في الذكاء بل يرافقها عجز تام عن الابداع ،
عجز عن التخيل ، عجز عما نسميه بحياة الفكر الصاخبة . وهكذا نكون قد حولنا الفرد الى
كائن حيادي ، وهكذا تصبح السعادة شللاً أو تصبح ان شئت غيبوبة .

وسأعرض بهذه المناسبة لحالة راهبة شابة كانت تشكو من قلق صوفي . كانت تعتقد بأن
الله قد نبذها ، فكانت تقضي وقتها في البكاء . اجريت لها عملية جراحية ، وهي الآن في الدير
الذي عادت إليه ، تبدو عليها ملامح بنت مبتدئة طروبة شديدة الرشاقة . وقد فوجئت ذات يوم
وهي في الصلاة ، وفي فترة تقديم القران ، قططر الراهبات بكرات من الورق . أرجو ألا نرى
في ذلك علامة جنون . فالقوى العقلية لدى هذه الفتاة ظلت سليمة . غير أن الرضى الفكري يمكن
ان يحملها على بعض الأعمال النائية (تلك الأعمال التي لا ترتدع عنها لجرد التأنيب ، لأن ارادتها
قد تجربت) كما يعدها عن مفهوم القداسة على أية حال . وها نحن الآن مرة أخرى أمام المشكلة
التي طرحناها منذ حين : أينبغي ان نفضل نزعة التصوف وما يرافقها من عذاب على طمأنينة معرأة

من أي سبب على هدوء لا مسوغ له ؟ أينبغي أن تفضل الحرية المؤلمة في كثير من الأحيان على سعادة الأذعان ؟

ما من إنسان يفكر بالبدهاة في أن ينشر الطريقة الجراحية التي اشترت إليها على جماعة بكاملها . ولكننا لا تنكر بأن النتائج التي تؤدي إليها هذه الطريقة تجعل كثيرين ممن يزعجهم نزق مجتمعاتنا يحملون بهذه الطريقة . إنهم متأهبون للتبشير بأسلوب من أساليب الصحة العقلية ، يذكرونا بالرغبات الماضية في تطهير جماهير الناس (ونحن نعلم ماذا كانت تخفي كلمة « التطهير » وراءها) وبالتشجيع على تعاطي العلاجات الكاذبة (العقاقير أو التحليل النفسي الرخيص) بغية الوصول إلى أخلاق النقيض : ان الدعاية البارة التي تتجه الى تصوير الطرافة وعدم الخضوع لدى الفرد على شكل حالات شذوذ أو حالات مرضية يمكن ان تؤدي بالفرد الى ان يفرض على نفسه نوعاً من الرقابة الذاتية ، وإلى ان يرفض كل ما تحفل به شخصيته من أشياء خاصة او فريدة ، معتبراً إياها أموراً غير سوية . فإذا حدث ذلك فإن الكائن البشري لا يكون قد تخلص من الخطيئة إلا ليقع تحت سوط التشخيص والعلاج الكاذب .

ولا يعني ذلك بأن علينا ان نقبل انفسنا كما نحن وان نحافظ بعناية على ألامنا خشية ألا ننتقص من كيانتنا . ان ما نريده فقط هو ان نوضح حدود رفضنا . اننا بالتجائنا الى كيمياء السعادة ، وبالتجائنا الى التحليل النفسي الذي يسالغ بالتعرض الى قدسية الأنا ، وبالتجائنا الى أخلاق الصحة المفرطة نكون قد تخليصنا عن الرفض . وهذا التخلي يبعدنا عن الواقع ، بينما أرى شخصياً أن سلامتنا تقوم على مجابهتنا ، بصورة دائمة ومتزايدة الشدة والقوة ، للعالم الذي يحيط بنا .



الصدقات والصديق ..

لأبي حيان التوحيدي

بقلم : طاهر القاسمي

القسم الأخير من دراسة

الصدقة والصديق . .

— التي نشرت في اعداد المعرفة السابقة —

الاجتماع والصدقة

نظر التوحيدي الى الصداقة نظرة اجتماعية ، ما نعتد أنه سبق اليها ، بين المؤلفين العرب . ولقد كانت هذه النظرة أسس الفلسفة الاجتماعية ، التي بنى عليها من جاء بعده من فلاسفة الاسلام ، الذين تناولوا الفلسفة الاجتماعية في أبحاثهم ، وأخص منهم بالذكر : ابن خلدون .

فلقد نشأنا وألقي اليها أن هذا الفيلسوف العظيم — ابن خلدون — هو أول من قال بلغة العرب : « الإنسان مدني بالطبع » ، وإن هذه الجملة قد سارت مثلاً ، وأن أبا عذرتها ، وفاسح بردها ، هو صاحب المقدمة . هكذا علمنا أساتذتنا الأولون ، وهكذا قرر الباحثون .

والذي يثبت التحقيق ، أن التوحيدي ، وقد توفي عام ٤٠٠ هجرية ، قد
قلمها قبل ابن خلدون ، المتوفي عام ٨٠٨ هجرية . أي قبله بأربعة قرون ونصف .

واليك النصوص لتقارن بينها . قال التوحيدي (١) :

« لا يخلو أحد من جار ، أو معامل ، أو حميم ، أو صاحب ،
أو رفيق ، أو سكن ، أو حبيب ، أو صديق ، أو أليف ،
أو قريب ، أو بعيد ، أو ولي أو خليط ، كما لا يخلو أيضا
من عدو ، أو كاشح ، أو مداح ، أو مكشف ،
أو حاسد ، أو شامت ، أو منافق ، أو مؤذ ، أو متابذ ،
أو معاند ، أو مزل ، أو مضل ، أو منغل . وقد قال
الأوائل : الانسان مدني بالطبع . وبيان هذا أنه
لا بد من الاعانة والاستغاثة ، لأنه لا يكمل وحده
لجميع مصالحه ، ولا يستقل بجميع حوائجه . وهذا
ظاهر . وإذا كان مدنيا بالطبع — كما قيل —
فبالواجب ما يعرض في أضعاف ذلك ، من الأخذ
والمطاء ، والمجاورة والمحاورة ، والمخالطة والمعاشرة ،
ما يكون سببا لنظام الحال ، أو يكون سببا لانتشار
الأمر . ولا محالة أن هذه وأشباهاها مفضية بالناس الى
جملة مانعته هؤلاء الذين رويانا نظمهم وثرهم .. »

وقال في موضع آخر (٢) :

« الانسان لا يمكنه أن يعيش وحده ، ولا يستوي له أن

(١) ص ٧٩ (٢) ص ٥٠

يأوي الى المقابر ، ولا بد له من أسباب بهما يحيى ،
وبأعمالها يعيش . فبالضرورة يلزمه أن يعاشر الناس ،
ثم بالضرورة يصير له بهذه المعاشرة بعضهم صديقا ،
وبعضهم عدوا ، وبعضهم منافقا ، وبعضهم نافعا ، وبعضهم
ضارا . ثم بالضرورة يجب عليه ان يقابل كل واحد
منهم بما يكون له من دين أو عقل ، أو فتوة ، أو نجدة .
ويستفيد من ذلك كله ما يكون خاصا به ، وعائدا
بحسن العقبي عليه ، اما في العاجل ، واما في الآجل . »

هذا كلام التوحيدى قبل عام ٤٠٠ للهجرة . فانظر الى كلام ابن خلدون
الذي جاء بعده بأربعة قرون (١) :

« ان الاجتماع الانساني ضروري ، ويمبر الحكماء عن
هذا بقولهم : الانسان مدني بالطبع . أي : لا بد
له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم . وهو
معنى العمران . وبيانه : أن الله سبحانه خلق الازمان
وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها الا بالغذاء ،
وهده الى التماسه بفطرته ، وبما ركب فيه من القدرة
على تحصيله . الا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن
تحصيل حاجته من ذلك الغذاء ، غير موفية له بمادة
حياته منه . ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه ، وهو
قوت يوم من الحنطة مثلا ، فلا يحصل الا بعلاج كثير

من الطحن والعجن والطبخ . وكل واحد من هذه
الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين وآلات لاتم الا
بصناعات متعددة ، من حداد ونجار وفاخوري . هـ
أنه يأكله جبا من غير علاج ، فهو أيضا يحتاج في
تحصيله جبا الى أعمال أخرى أكثر من هذه ، من
الحصاد والدراس الذي يخرج الحب من غلاف السنبل
ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعددة ، وصنائع
كثيرة أكثر من الاولى بكثير ..»

ثم قال (١) :

« فاذن هذا الاجتماع ضروري للنوع الانساني ، وإلا لم
يسكمل وجودهم ، وما أراده الله من اعتبار هذا العالم
بهم ، واستخلافه اياهم . وهذا هو معنى العمران الذي
جعلناه موضوعا لهذا العلم ..»

فالتوحيد قد أفاض ، على عادته ، وكما يفرض عليه موضوع كتابه ،
في وصف العلاقات العاطفية بين الناس ، وبين أنواعها ودرجاتها ، بعد أن قسمها
الى قسمين كبيرين ، طغى على الاول منها معنى الحب والود ، وطفى على الثاني منها
معنى البغض والكراهة . وعقب على هذا كله بقوله : وقد قال الاوائل : الانسان
مدني بالطبع . وأوجز في شرحه ايجازا بليغا فقال : وبيان هذا أنه لابد من
الاعانة والاستعانة ، لأنه لا يكمل وحده لجميع مصالحه ، ولا يستقل بجميع
حوائجه . وختم هذه الفلسفة الاجتماعية بقوله : وهذا ظاهر . ثم أخذ في

الإشارة إلى الأخذ والعطاء ، والمجاورة والمجاورة ، والمخالطة والمعاشرة ، فاعتبرها أسباباً لنظام الحال ، وانتشار الأمر ، وأنها مفضية إلى جملة ما قال الشعراء والكتاب الذين روى شعرهم ونثرهم في الصداقة والصدق .

أما ابن خلدون فقد أخذ المبدأ العام الذي قرره التوحيدي ، وهو قوله : **الإنسان مدني بالطبع** وأفاض في إيضاحه أفاضة مادية ، لا تخرج عن العلاقات الطبيعية التي فرضها نظام الكون بين الناس ، وضرب صفحا عن العلاقات العاطفية ، فلم يشر إليها من قريب ولا من بعيد . على أن ابن خلدون لم يخرج في فكرته التي شرحها في المقدمة عن المبادئ التي قررها التوحيدي وأوجزها في كلمتي « الأخذ والعطاء » . وهذا يحيز لنا أن نحكم بأن كتاب الصداقة والصدق ، أو الكتب التي أخذت عنه ، قد وقعت في يد ابن خلدون ، وأنه انتفع منها ، واقتبس عنها هذا الموضوع الجليل .

ولنعد إلى تحليل رأي التوحيدي في الصداقة من الناحية الاجتماعية : واضح أن التوحيدي قد افترض لقيام الصداقة مجتمعاً ، وعلى هذا فإن فكرة الصداقة غير ممكنة الوجود ، لو فقد المجتمع . وبمعنى آخر : أن الصداقة وليدة المجتمع . والناس في ظل النظام الاجتماعي تتفاعل عواطفهم ، وتتضارب مصالحهم ، أو تتقارب ، أو تتعاون ، فتنشأ الصداقة عن ذلك بالضرورة ، على أنها نتيجة لنوع من أنواع العلاقات التي يمكن أن تنشأ بين الناس كالجوار والتعامل والصحبة والرفقة والحب والألفة و...

ولست أعود إلى ما هو مقرر في كتب علم الاجتماع ، من نشوء المجتمع ، وابتدائه من الفرد إلى الأسرة إلى القبيلة إلى الحي إلى المدينة ... وإنما أكتفي هنا بأن أشيد بعقيدة التوحيدي ، الذي ولد وعاش ومات قبل أن يرى علم الاجتماع

النور ، وقبل أن توضع فيه الكتب ، وقبل أن يكون مادة للتدريس في الجامعات ، وزاه مع هذا يقدم لنا في كتاب ألفه قبل الف عام ، مبادئ سليمة ، صحيحة ، واضحة ، في الأسباب الاجتماعية التي تدعو لولادة الصداقة ونشوءها ، ان لم نقل ان هذه المبادئ هي نفسها التي اعتمدها علماء الاجتماع المعاصرون ، فاننا لا نتردد في أن نقول أنهم لم ينقصوها ولم يدحضوها ، بل أيدوها وزادوا عليها إيضاحاً وتعليلاً . ولعمري أن رجلاً يستطيع أن يقرأ فلسفة الاغريق وغيرهم ، وأن يفرع عنها مثل هذا البحث ، لجدير في أن يكون في صف الخالدين من المفكرين .

الصوفية والصداقة

الصوفية قوم أحدثوا في الاسلام سلوكا ولغة واصطلاحا . ولهم عالم خاص يعيشون فيه . وانما تقوم حياتهم على ما يسمونه (الحال) و (الذوق) . وقد عبر الغزالي في المنقذ من الضلال عن هذا بقوله : « انهم أصحاب أحوال ، لأصحاب أقوال » . ولم يكن يعني الغزالي بهذا أنهم لا يتكلمون ! بل على العكس ، ان لهم أقوالاً خاصة ، قد يفهمها الناس عنهم وقد لا يفهمون . وقد تجري مجرى أساليب الخطاب المألوفة عند العرب ، فتكون واضحة لدى الخاصة والعامة ، وقد تخرج عن هذه الأساليب ، فلا يفهمها أحد إلا خاصة الصوفية ، وأكبر ظني أنهم قد لا يفهمون عن بعضهم أيضاً .

وقد عرض التوحيدي في كتابه الى رأي الصوفية في الصداقة والصدق في مواضع عدة تقتبس منها مقتطفات بعضها واضح ، وبعضها غامض ، واليك نماذج منها :

« سمعت برهان الدين الصوفي الدينوري يقول :

سمعت الحنيد يقول : لو صحبتني فاجر ، حسن الخلق ،

كان أحب إلي من أن يصحني عابد سيء الخلق . قال :
لأن الفاجر الحسن الخلق يصلحني بحسن خلقه ، ولا
يضرني فجوره ، والعابد السيء الخلق يفسدني بسوء
خلقه ، ولا ينفعني بعبادته ، لأن عبادة العابد له ، وسوء
خلقه عليّ ، وفجور الفاجر عليه ، وحسن خلقه لي (١) .

هذا مثل من أقوالهم الواضحة ، القائمة على المنطق السليم ، وعلى التعليل
المقبول ، وليس في الأسلوب ما يدعو الى التفكير ، ولا الى الغوص على المعنى
الاصطلاحي ، ولا فيه شيء من ألفاظهم الخاصة . وواضح أن الجنيد قد تحدث عن
(الصاحب) ، وإن لم نبعده عن الصديق .

وهناك نموذجاً آخر :

« قيل لصوفي : من الصديق ؟ قال : من لم يجدك
سواه ، ولم يفقدك هواه (٢) » . ألا ترى أن هذا الكلام
بكلام الفلاسفة أشبه ، واليه أقرب ؟
وقيل للشبلي : من الرفيق ؟ قال : من أنت غاية
شغله ، وأؤكد فرضه ونفله قيل له : فمن الشفيق ؟ قال :
من ان دهمتك محنة قذيت عينه لك ، وان شملتك منحة
قرت عينه بك . قيل له : فمن الوافي ؟ قال : من يحكي
بلفظه كمالك ، ويرعى بلحظه جمالك . قيل له : فمن
الصاحب ؟ قال : من أن غاب تشوقت اليه الأجباب ،
وان حضر تلقحت به الألباب . قيل : فمن النديم ؟

قال : من إن نأى ذكر ك عند الكاس ، وإن دنا
ملك الاستثناس ؛ (١) .

ولو سألت صوفيا عن معنى هذه الأقوال ، لذهب في تفسيرها غير
ماتصور . فالجمال والكمال والكاس والاستثناس والهوى والحبيب واللب ، ألفاظ
اصطلاحية لها عند مدلول خاص ، لا يتفق مع المدلول اللغوي المؤلف .
وهكذا نرى أن التوحيدي قد خاض مع الصوفية في شؤونهم الخاصة ،
التي لا يعقلها سواهم ، أو هكذا يعتقدون . ولكننا نلاحظ أن الذوق الأدبي قد
غلب على التوحيدي ، فلم ينقل من أقوالهم ما ينبو عنه ذوق القارئ العادي ، ولم
يقتبس عنهم إلا ما يتفق مع الطابع العام الذي رسم به كتابه .

التوحيدي والأخلاق وتعدر القوت

ولقد عرفت أن التوحيدي قد عاش بائساً . وقد عقب كلام الجنيد الذي
سقناه قبل ، بكلام عن الأخلاق ، وأشار فيه إلى ما يجد من حرمان ، كما أكد
فيه أن من بحث في الأخلاق قد انحرف عن المنهج المؤلف ، وعوّص المرام ، ووعد
بأن يحزر في الأخلاق رسالة واسطة بين الطويلة والقصيرة . قال : (٢)

«وفي الاخلاق كلام واسع نفيس ، على غير ما وجدت
كثيراً من الحكماء ، يطيلون الخوض فيه ، ويعوصون
المرام منه ، بتأليف محرف عن المنهج المؤلف .
ولو ساعد نشاط ، والتأم عتاد ، وقبض معين ، وزال
الهم بتعدر القوت ، لعلنا كنا نحزر في الأخلاق رسالة
واسطة بين الطويلة والقصيرة ، يستفاد منها ما وضع لنا

بالمشاهدة ، والعيان ، وبالنظر ، وبالاستنباط ، ولكن
دون ذلك أَوْق^(١) ثقيل ، وعوق طويل ، والله
المستعان . »

كم كان التوحيدي يتألم وهو يرسم هذه الكلمات ؟! ان كتب الاخلاق التي
اطلع عليها لم يجدها وافية بالفرض ، ويرى نفسه قادراً على أن يضع كتاباً مفيداً ،
ولكنه مهموم ، وهمه ناشيء عن العلة الكبرى التي تغلق العقول ، وتوصد النفوس
وتعقل الأقدام ، وتغجو العبقریات ، انها « تعذر القوت » ! ان رجلاً كالتوحيدي
يتعذر عليه القوت ، ويعلن ذلك في كتاب موضوعه (الصداقة والصديق) ،
خليق في أن يدير ظهره للناس جميعاً ، ولو فعل لكان معذوراً ، وأظنه قد فعل .
ان حرمان العلماء والمفكرين ، مما هو ميسور لبعض الحيوان ، وهو القوت ، هو
أعظم ما منيت به الانسانية منذ فجرها الى يوم القيامة .
ولقد مات التوحيدي ، ولم نعرف له رسالة في الاخلاق .

العلم والفن :

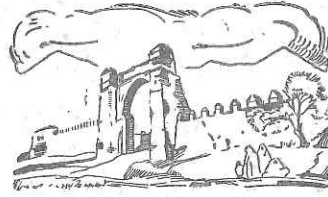
ولقد جاءت في كلام التوحيدي عبارات ، لم تعرف معانيها إلا في هذا
القرن الأخير ، وما أدري اذا كان التوحيدي قد قالها ، وهو يعني مفهومها في هذا
العصر ، أم أنها كانت زينة لفظية ، أعجبه جرسها ، وراقه تركيبها . فالتأيت أن
التفريق بين العلم والفن ، على النحو الذي أدركناه من بحوث الفلسفة الحديثة ،
أمر لم يعرفه الاقدمون . إلا أن التوحيدي قد أشار في مقدمته بجملة معترضة ،
واهية الارتباط بما قبلها وبما بعدها ، الى هذا البحث الهام ، الذي يتلقفه طلياب

(١) الأوق : الثقل (اللسان) .

الفلسفة الحديثة ، على أنه من المبادئ الأصلية. قال التوحيدي (١) : فجمعنا المشاكلة على العلم ، وفرقنا الاختلاف بالفن . وأيا ما كان الأمر ، فإن انتباه التوحيدي الى المشاكلة والاختلاف ، واسناد المشاكلة الى العلم ، واسناد الاختلاف الى الفن مدعاة لأن يدخل في تاريخ الفلسفة الاسلامية ، عند الذين يلقبونها للطلاب .



لست أزعم أنني قد وفيت الكتاب حقه ، وإني لأخط هذه الأسطر ، وأنا أشعر بأن في الكتاب مئات من المواضيع ، كلها خليق بأن يدرس ويبحث ويحلل ، وبأن يكون بعض الوسيلة للكشف عن عبقریات مازالت مخبوءة ، وفلسفات تكاد تكون منسية ، وكنوز نستطيع ان نزهو بها على الناس ، في المشرق والمغرب ، وفي جميع العصور والدهور .



الثقافة بين التحول والضياء

بقلم: هان دي سليس

مريب الدكتور ابراهيم الكيلاني

اتجه الباحثون والمفكرون في النصف الثاني من القرن الحالي نحو تعريف الثقافة ، والرجل المثقف ، واحتمال انخراط الثقافة عن غاياتها المثلى ، وأثر الوسائل التقنية الحديثة Techniques لنشر الافكار ، والصور ، والأصوات ؛ في زيادة هذا الانخراط .

ويجدر بي في مطلع مقالتي الاشارة الى ان تعديلات هامة في التقنية الثقافية قد تدخلت مرات عديدة في تطور حياتنا . وقد نهني احد اصدقائي الى نادرة رواها المؤرخون وهي ان العجب والاستنكار استوليا على القديس اوغوسطين عندما رأى زميله القديس امبرواز

يقراً بعينه ، ذلك أن **المطالعة الصامتة** كانت نقطة تحول تنبئ عن **أزمة** في الحضارة القديمة زمن القديس أوغوسطين ، إذا كان الناس يومئذ يتلون أو يقرأون النصوص بصوت عال ، وإذا كانوا يسمعون الآثار ، النثرية منها والشعرية ، أول مرة بانصاتهم الى التالي أو القارىء كما نستمع اليوم أول مرة الى الممثلين يتلون اثرأ مسرحياً . فانهلم يتج للطباعة ، الا في عطفة جديدة لتاريخ حضارتنا ، أي بعد ان خرجت هذه من القرون الوسطى ، أن تنشر اثرأ ادبياً او علمياً في نسخ عديدة ، وتضمن العالم كله دفني كتاب .

ان مطالعة نص بصوت عال ، وقراءة صامتة لمخطوط ، وقراءة كتاب مطبوع ، **مراحل ثلاث** في تاريخ الحضارة الغربية ، كما أنها وسائل تقنية ثلاث مختلفة في **تمثل ثقافة** ما وهذا ما يهودنا الى التساؤل عما اذا كان لكلمتي حضارة وثقافة ذات المعنى في كل مرحلة من هذه المراحل الثلاث ، المنفصلة عن بعضها ابعاداً طويلة .

فاذا كان **العالم والفكر** المعاصران في النصف الثاني للقرن الماضي قد حققا **تقدماً ملحوظاً** ، فيجدر في نظري البحث عن هذا التقدم في اطار الانتقال من نظرة الانسان الى عالم مستقر وثابت ، الى نظريته لعالم حراكي ونسي ، اكثر من البحث عن هذا التقدم في **تكمال تقني** لجمل ادواتنا . وليس أساس الأشياء بالنسبة للفكر العلمي الحديث **نواة غير قابلة للتبديل** ، بل هو الطاقة التي تظهر من الصلات الكائنة بين القوى المختلفة . إن **ظواهر العالمين المادي والمعنوي** لم تكن لتوجد هكذا في حد ذاتها ، بل وجدت **بالنسبة لظواهر مماثلة او متضادة** ، وفي امتنع عن التدقيق ، لأن هذا يؤدي الى استطرادات نظرية وفلسفية تهودنا بعيداً ويخفى بعدها ان تحولنا عن موضوعنا ، ولكني اشير ببساطة الى أن مهمة **الجيل المعاصر الانفكاك عن بعض العادات العقلية وبعض الافكار المتعارف عليها** التي تعوق الى الآن نظرتنا الى عالم كشف العلم منذ خمسين سنة عن حقيقته التي تختلف جداً عن تلك التي علمها العلم الوضعي في القرن التاسع عشر ، ولندكر في سبيل موضوعنا أن بعض المدركات التي كانت تبدو مطابقة لحقيقة مادية ودائمة قد **أعيد النظر فيها** من جراء ظهور معرفة عميقة اعادت النظر في موضوعية هذه الحقيقة بالذات وديمومتها ، ان هذه الحقيقة تتغير تبعاً لوجهة النظر التي اعتنقناها ، لانه يستحيل معرفتها الا من خلال منظور الوضع الذي اتخذناه ، والمهم اذن هو ان نعي وضعنا بالذات عن طريق

التحليل ؛ وأن قيم بعدها الصلات الموجودة بين هذا الوضع والفرض المدروس . ان هذا الاسلوب يبعثنا بالضرورة عن القيم الثابتة في الظاهر ، والتي هي في الحقيقة قيم متعارف عليها ، كما يبعثنا ايضاً عن الصور الموضوعية مقدماً ، والافكار المحددة ، علماً بأن هذه الافكار والصور والقيم تتعلق بظواهر الطبيعة والمجتمع او علم الجمال . وهكذا تقوم المعرفة على اكتشاف الصلات الكائنة بين مختلف الظواهر التي ليست واحدة منها ثابتة ودائمة لأن فيها جميعاً خاصية قوة ذات علاقة بمعنى يجب كشفه ايضاً .

ان ظواهر الحضارة والثقافة خاضعة لهذا القانون النفسي الذي

يحكم العالم ، حتى اذا دخلت هذه الظواهر في حياة المجتمع حلت بها التعديلات التي تحمل بالمجتمع ذاته ، ونحن واجدون دوماً في تاريخ الجماعات البشرية قوى مختلفة تتصارع ، قوى واعية ، وقوى لاواعية تفسح بصورة متواصلة مادة التاريخ المتغيرة ، **وما التاريخ إلا نتيجة** ، يعاد النظر فيها دوماً ، لحركات وصراع هذه القوى المختلفة التي تتساند بصورة متبادلة تارة ، وتتصارع فيما بينها تارة أخرى ، لأن هذه القوى التي هي متباعدة الاتجاه ومتضادة ، متشاركة الوجود في المكان والزمان ، على أنه **وان كان التغير الدائم هو قانون الحياة** ، فان القوى التي تحكمه تسنزع احياناً الى الدخول في مبدأ واضح التعريف والتحديد تمثله سلطة معترف بها كونياً سواء من قبل **العقيدة الدينية او البنية السياسية والاجتماعية** ، او **اشكال حضارة** ، او **قانون جمالي** . وقد جرت العادة ، تجاه هذه الظواهر التكاملية التي تبقى الى حد ما ، محدودة بمساحة جغرافية متعلقة احياناً بحكم سلطة سياسية والتي هي دوماً في صراع مع قوى الانحلال Désintégration ، اقول جرت العادة باطلاق تسمية **كنيسة** عندما يكون المقصود الدين ، **ونظام حكم** عندما يكون المقصود التركيب الاجتماعي والسياسي ، **وثقافة** عندما يكون المقصود وعي **حضارة** ، **وأسلوب** عندما يكون المقصود الفن . ان الحضارة القرية التي نحن مدينون لها ، والتي لاتزال مرة اخرى اثناء تاريخها الطويل في دور تحول عام ، قد انتجت نوعاً من ثقافة كان يمثلها ، قبل ظهور القوى الجديدة ، **الرجل المثقف** L'homme Cultivé . فليسمح لي القارئ بان استحضر بسرعة الذكرى الباقية عن هذا النموذج من الانسان .

لقد عرفنا جميعاً **الرجل المثقف** ، وينبغي أن تتكلم عنه كما تتكلم عن قريب
لنا من كنا شاهدناه في شبابنا ، والذي أصبح وسط الاسرة غرضاً للتندر والتسلية في
بعض الاحيان .

كان للرجل المثقف **فكر غني** ، **قراءة كثيرة** ، وعرف **بسهولة العلم** ، يعبر عن
افكاره **بلغته** لا تنسينا بساطتها وتقديسه صفاءها وتقاوتها . وكان المثقف في نظره غاية في حد
ذاتها ، ولم يكن يقبل من المعارف أو العلوم إلا **الجوهر** منها عن الغايات ، وكان مظهره ينبئ
عن عدم عنايته بالرياضة البدنية أو قواعد حفظ الصحة ، بالرغم من أنه لم يكن بنجوة من حب
النظر ، اذ كان يحلو له أن يشكل صورته بنفسه . كان هذا يتناسب والحياة الحضرية التي يحياها
ويتناسب أيضاً وشيئاً من ازدرائه للحوادث الممكنة الوقوع في الحياة ؛ وهكذا كنا نراه يتنزه
في حديقة اللوكسمبرج وعلى كتفيه معطف عريض ، وعلى رأسه قبعة ذات حرف واسع ،
ممسكاً بكتاب يقرأه ، وهو يمشي بخطى وثيدة ، لقد كان رجلاً جذاباً بكل تأكيد ، شريطة ألا
تقطع عليه تنابع افكاره ، وألا تحمله على تغيير عاداته ، ذلك أن له عادات ، مقدسة في نظره ،
وفكره يحول أحياناً في **أفلاك بعيدة** جداً عن ضجيج هذا العالم ، انه يجلس وراء طاولة
المقهى يتناول مشروبه ، ويقرأ صحيفته دون أن يتزعزع قبضته عن رأسه ، وقد يظهر في المجتمع
لمدة وجيزة حيث يقدره الناس لثقافته وحسن حديثه ، انه يجيد مخاطبة النساء ببراعة وكياسة ،
وكان الناس يعرفون له **شذوذ** لأن من امتيازات الرجل المثقف مخالفة المألوف ، وكانت
الرجل المثقف يعتبر أن من عدم اللياقة **الكلام عن مشاغله المهنية** التي هي مورد عيشه ،
وقد لا يكون له أحياناً مورد رزق ، يعيش من ايراد متواضع ، أو تناسج مشروع ، أو أرض
ترك امر ادارتها الى من يفوقه كفاءة ، وعندما كان يستحيل عليه الخلاص من ضرورة مزاوله
مهنة ، أو شغل وظيفة ما ، اظهر بكل طيبة خاطر ، وبدون فخر ، الزهد الذي يخامره تجاه هذه
الحقارات ، ذلك لأنه يذكر بأن الرجل المثقف لا يستثير غضبه شيء .

كان حديث الرجل المثقف ممتعاً ، وكان **يجيد الكلام في كل شيء دون**
ان يتعمق شيئاً ، ولذا كان ذهنه النقاد على غاية من الغناء ، وبما أنه كان لا يقوم بنفسه
إلا بالاعمال المجردة ، وذلك بتمثلة كمية من الاشياء متحاشياً **الخروج فيما اذا تعمقها** ،
وكان سهلاً عليه من جراء ذلك **نقد الآخرين** ، وكان يصل أحياناً الى نوع من الكمال في هذا

النقد الكلاسيكي تبعاً لانتساع معارفه وتنوعها ، فإذا أنصت الناس له شعروا أحياناً بالاعجاب نحو الرجل المثقف لأنه عندما يكون قادراً على الاسترسال مع السجية والسخاء الفكري شعرنا بالانجذاب قليلاً إلى مذهبه ، على أنه يشعر أحياناً بشيء من **الحياء في الإفصاح عن صميم فكره** فيعبد إلى **تضليل** محدثه بأحداث مذهشة محيرة ، فما أقل الأصدقاء الذين كان يطلعهم على **حاسمته الخفية للأشياء** ، وقد يكون مصدر هذه الحماسة **مدرسة للتصوير** لم يقدرها الناس حق قدرها ، أو تجاهلها تقاد الفن ، أو **أدب** بجسته كتب الأدب حقّه ، أو **شخصية تاريخية** لم يفتن المؤرخون لأهميتها وعبقريتها ، وعندئذ تفاجئنا الدهشة لاكتشافنا أن الرجل المثقف قد وقف **عبادته على صنم من الأصنام !**

إلا أن لهذا الرجل من **المزايا** ما ليست للشبان ، وهكذا كان **يقرأ دون موازنة** الآثار الكلاسيكية ، من لاتينية ويونانية ، ويحفظ غيباً مقاطع طويلة من كورنيل وراسين ، وهو شديد اللفة لموتين ولاروشفوكولد ، عليم بمختلف طبقات آثار الفيلسوف الفلاني الذي عرفه في شبابه ، يتكلم بفزارة عن وقائع قضية دريفوس . إن هذا الحديث البليغ لا يخلو طبعاً من فائدة ، فقد يبلغ الذروة أحياناً بعبارات مكثفة تبعث على الدهشة ، أو يلعب **بملاحظات** تند عن أشياء تفوق التجارب الـ **الكتمية** ، وقد يقع أن نحتفظ بحملة ، وبالتالي بعبارة مفيدة ، على أنك تصاب بالارتباك عندما يصير **فيلسوف المقهى أو الصالونات** على أن يملك على قبول رأي مخالف للرأي السائد لا يمكن الدفاع عنه كحقيقة ، أو عندما يصدر أحكاماً جازمة على الناس وحوادث الساعة فنشعر عندئذ فجأة أنه **مجانِب للقضية** ، وسائر على هامش الحياة الواقعية .

إن النوع الانساني يبدو دوماً في شغل اختلافات فردية متعددة ، فقد كان الرجل المثقف نصيراً للآداب والفنون ، وكان جماعاً للتحف ، شغوفاً بالكتب ، ولوعاً بالموسيقى ، محباً للأطعمة الفاخرة ، شديد الحوص على سلامة اللغة ، عاشقاً للأدب والمسرح والتصوير ، وهو في كل ذلك **يسلك مسلك الهواة** ، ولا تحتقر كثيراً كلمة الهواة Amateurisme ذلك لأنه قد يحب شيئاً ويتعلق به ، ولا كلمة غاو Dilettante لأن اشتقاق هذه الكلمة من الإيطالية ذو معنى **يشرف** من هو قادر على تذوق أمور العقل والفن ، ويفضل الرجل المثقف أحياناً أن

يُخفي ، بدافع من خجل أو أنانية - غرض هو الذي جعل منه مادة لذاته ، إنه يذكر دون ريب الآلي التي ينبغي ألا يقذف بها إلى الخنازير ، وإن من تثقف على هذه الشاكلة يشعر أنه أعلى مستوى من العوام وأني للعوام أن يقدروا حق قدره تتاجاً ، **تشكل الطافة ، ودقة الفكر** ، إذا لم تكن **الروقة المترفة** ، جزءاً كبيراً منه ؟ على أنه قد يبعد ألا يكون الرجل المثقف عديم التأثير **بالافكار السخيمة الحرة** ، فهو حريص بصورة خاصة على الحرية الفردية التي تتيح له أن يقول ويعمل كل ما يخطر بباله شريطة أن يحترم **قواعد اللياقة** ، وأن يحافظ على المظاهر ، لأنه بالرغم من زهده الظاهريها، واعتزاله بمحض ارادته العالم الذي يحيط به فإن الافكار المسبقة - التي لم تحطه بالرغم من محاولته التغلب عليها ودفعها - لتعكس صفوحياته وانسجامها ، وهذا بالنسبة للفكرة التي كونها عن ثقافته التي تبعده عن الثقافة ، وتسبب له مشاكل ، غير أن الرجل المثقف يكره المشاكل ، ويحرص على ألا ينزل **الساحة** ، وهو وإن حمل على الأقل بخلاف ارادته ، على الدخول في نقاش علمي ، فقد يتجنب اشتباكاً قد ترهق فيه روحه .

وهكذا فإن الآراء المسبقة عند الرجل المثقف تختلف تبعاً للوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه ، فهو في فرنسا ، بجلء ارادته ، عدو للاكاديمية مما يزيد في حرية فكره التي اعتاد ان يعالج بها المسائل المتنوعة ، ويزيد في الامكانيات التي تعرض لمزاج كلف بالحرية ، وإذا كان من انصار اليمين ، فإن نقص نوع من التحرر الفكري ، تعوضه أناقة الحركات واللهاجة التي تضفي ملامح النفوذ على أحديثه .

إن الرجل المثقف يجيد **فن السفر** حول غرفته ، فسواء أكانت هذه متواضعة أم متألفة فهي مركز وجوده لا يبعد عنها مطلقاً حتى ولو كان في مكان آخر ، وهو يعود إليها بسرور مشوب أحياناً بالكآبة ، إذ يجسدر القول انه بالرغم من **فكره المزيّن** ، وثقافته الحقيقية فانه ، كما كان يبدو في الماضي ، ينقصه قليل من الجرأة ، كما ان حب الاستطلاع الفكري عنده يكتفي بكل طيبة خاطر بمجلدات يكدها في بيته ، ونجد منها دوماً كومة على طاولة الى جانب سريريه . وقال لي يوماً : ما فائدة السفر إذا كان معجم لاروس او الصحف تنبئنا بما هو كائن وجار ؟ ولم السفر إذا كان اصداقاً أو العائدون من الخارج يقصون علينا اخبار رحلاتهم تاركين لنا المجال لطرح أسئلة دقيقة عن البلاد التي شاهدوها ، أما بلاده ذاتها فهو لا يحبها فحسب ، بل هو واثق بأنه يعرفها جيداً ، وليس هناك داع للاهتمام أكثر مما يجب بالنقد الذي يوجهه الى بلاده أناس قلقون ، لاخلق لهم ، وأحياناً ، اجانب لا يفهمون هذه البلاد . وليس الرجل المثقف بالضرورة

ذا دُمن وفاد ، ونفاذ الى صميم الأشياء ، وهو لا يخلو دوماً من قوة اللسان ، وقد يقع له أحيانا ان يصوغ اراء جريئة ، إلا اذا كانت هذه الآراء نكات بسيطة ، وكان من المتفق عليه ان العالم الذي تعيش فيه عالم ثابت عملياً ، وغير قابل للتغير ، وإن بدع التقنية الحديثة Technique Moderne لم تفعل سوى إضافة أشياء الى ما هو كائن دون ان تعدل من مغناه . وفي يوم من الايام سألتنا الرجل المثقف عما يعتقد في الماهيات Attributs الدائمة التي يمكن من خلالها معرفة فيما اذا كان بلد من البلدان مثقفاً حقيقة فأجاب قائلاً : « إني أرى ثلاثة موازين لذلك ، الأول : اجادة الكلام ، لأن الحضارة تعرف بفن المحادثة ، والثاني : اجادة الاكل لأن بلداً يحيد اهله الطهي يتم بالضرورة عن مستوى حضاري جدير بالتقدير . والثالث اجادة النوم لأن بلاداً تحيد القروية فيها ترتيب السرير بنفسها ، ويستطيع سكانها أن يشبعوا حاجتهم الى الراحة على فراش ممد لهي بدون ريب بلاد متمدنة » .

واصبحنا على أثر هذا الحديث نحب الرجل المثقف أكثر من ذي قبل ، ولم نكن نخرجو على الجزم بأنه لم يكن على صواب ، ولكن شعورنا كان قوياً بأنه من أهل زمان قدولسى . ولا ريب في أن هناك طريقتين لتقييم هذا النموذج من الناس الذي نشعر بأنه آخذ في الانقراض . الاولى : قولنا ان حضارتنا آخذة في التدهور ، وأن ليس هناك مكان للرجل المثقف حقيقة ، المستمد ثقافته من التقاليد الانسانية Humanisme اليونانية اللاتينية في عالم طبعته التقنيات الجديدة في الدور الصناعي بطابع الهمجية . والثانية التأكيد بأن اذا كان هذا النموذج الانساني قد أخنى عليه الدهر ، وأصبح في حكم التاريخ فان مرد ذلك الى أنه كان يمثل نوعاً من الحضارة الزائلة ، وهما أصل الى تساؤلي الاصيل وغرض مقالي وهو : هل تزول الثقافة أم تتحول ؟

ان هناك فلسفة تاريخ فيها شيء من الكآبة اعتادت استعمال اصطلاحات مثل : انحطاط ، فساد ، زوال ... الخ واذا صدقنا ما قاله اوسوالد شبنكلر Oswald Spengler الذي أحدث كتابه « انحطاط الغرب » ضجة كبرى في ألمانيا بعد حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ فان حضارة ما قد تغرق وبالتالي تختفي بين أمواج الماضي ؛ أما بول فاليري Paul Valéry فكان يقول يومئذ : اننا تعلمنا أن الحضارات بائدة ، وفي تاريخ الفن كان يعقوب بور خاردت Jacob Burckhardt يعجب كثيراً بصفاة تصوير روفائيل

والفن البديعي الذي يمثله ، وكانت آثار ميكلانج وجماليتها تسبب له انزعاجاً ، وكان الأسلوب الغريب Baroque يعبر في نظره عن انحطاط الفن وفساده ، ومن السهل إيجاد تسلسل مماثل للقيم الجمالية بين أسلوب موزارت Mozart الموسيقي والأسلوب الجديد الذي أدخله بيتهوفن Beethoven ، والذي انحط بدوره أو أفسدته الموسيقى الرومانتيكية حتى عهد واغنر Wagner ومريداه .

وحتى هذا النيق من الأفكار حدث انحطاط أو فساد عندما انتهى الزمان بالضرورة ، بعد اختراع الطباعة ، المخطوطات الرائعة التي زينها وكتبها وصورها رهبان علماء وفنانون ، والتي فسحت مكاناً لوسائل طباعة آلية للنصوص الدينية والدنيوية .

وهناك طبعاً انحطاط وفساد في النتاج المطبوع ، كالكتب والصحف بالنسبة للنتاج الطباعي في القرنين السادس عشر والثامن عشر ، واني لا أجادل في أن زوال الثقافة الكلاسيكية البطيئة والمحكوم والاستعاضة عنها بتعليم اللغات الحية والمواد العلمية والتقنية والاجتماعية يدخل في تيار فساد مثل ثقافي أعلى ، هو بقي بلا ريب ولكنه عتيق بال . على أننا ندرك أن هناك أشياء أخرى ، فسواء أكان الأسلوب الهندسي غوطياً Gothique أرنهضوا Renaissance أو غربياً Baroque أو كلاسيكياً جديداً Neo - Classique في عصور عديدة في الغرب ، فقد كانت الهندسة ، ومن خلفها الحضارة تعبر عن ذاتها ببناء الكنائس والقصور والمنازل الأرستقراطية والمدن المستندة تنظيمها من المثال البورجوازي ، الذي يبدأ في ترتيب مخططاته ، وتنظيم أبنيته وشوارعه . إن فن البناء يمارس منذ قرن على الأقل في ميادين مختلفة ، ذلك أن العصر الحديث يمثل بالمخططات ، والمواقيف ، والمعامل ، والأحياء التجارية والعائلية ، والمطارات ... الخ ومن السخف في أيامنا أن نحاول بناء قصر من قطع مافقة ، أو بناء منزل أرستقراطي ، وفي الواقع فإنه لم يعد أحد يفعل ذلك . هذا ولم يقطع الناس طبعاً عن بناء الكنائس ، ولكن بناءها ظل يمكن طوال عشرات السنين بحيرة المهندس وارثها . ويبدو أن هندسة الأبنية الدينية لم تهتد إلى طراز موافق إلا منذ عشرين عاماً أي بعد أن استحوذت الطويقة الهندسية الحديثة واستعملت الاسم في البناء .

وهل أنا بحاجة إلى الكلام عن انحطاط تنظيم عمران المدن Urbanisme منذ

السنين الاربعين من القرن التاسع عشر ، والنصف الأول تقريباً من القرن العشرين ، فقد كانت الاصطفائية الجمالية *Eléctisme Esthétique* ، وهي تعبير عن تكامل حضارة ومجتمع في جميع المجالات ، مهيمنة حتى حوالي سنة ١٩١٤ ، في الهندسة وتنظيم المدن ، والفنون الجميلة ، والموسيقى والأدب ... الخ ولم يشعر الناس أنهم ضلوا الطريق إلا بعد أن فهموا ، وأحسوا أن ذلك قد حدث حين أرادوا انقاذ كل شيء بالمثابرة على استعمال هذه الطرائق التعبيرية .

أن فن التقليد أراح عن مكانه لفن بديعي يجيد الاختيار ، ويتقيد بقاعدة ومذهب ، ويخضع لنظام ، وقد رأينا أن التشذيب . والاقطاع ، وهجر طرائق التعبير العتيقة ، والتضحية بفن جمالي قديم ، واستيحاء مواد جديدة ، وتقنيات حديثة ، والعودة الى السطح والخطي ، وعدم التمس التأثير لمجرد التأثير ، والبناء تبعاً لقواعد موافقة ، والانتاج حسب شعور هو شعور زماننا ، ان كل هذا هو الطريق الوحيدة للخلاص .

لقد حان الآن التوفيق بين هذا التفكير المفرط في الدقة والنظرة الاجمالية لفلسفة تاريخ قائمة على أساس النسبية والطاقة ، تلك النظرة التي استندنا اليها في كتابة هذا البحث .

ويجوز لي اني ينبغي الانطلاق من الفكرة القائلة ان مدركات الحضارة والثقافة لاتتعلق بحقيقة ثابتة او تصور ساكن ، او قانون بديعي ، او نظام فكري زعم انها صحيحة وحقيقية ، ونحن بحاجة ايضا في هذا المجال الى التخلص من الاقوال الوهمية المتعارف عليها ، ومن الرواسم (الكليشيات) واني لاأتردد عن التأكيد بأن الحضارة اليونانية اللاتينية التي كان من المحتمل ان يظل العصر الوسيط وعصر النهضة امتداداً لها ، والتي كان من الجائز ان تظل حضارتنا حتى تتعرض للخطر بفعل قوى مناوئة ، ان هذه الحضارة اذا ما فسرت على هذا الشكل ليست سوى رسم (كليشة) غير معقول ، نعم ان هناك حضارة غربية ، ومن الجدير ألا تستعمل كلمة غرب بمعناها الجغرافي لأن اشعاعها خلق افقاً وراء البحار ، وفي قارات اخرى مواكز حضارية تتصل جميعاً بمصدر مشترك مشكلة مع مواكزنا الحضارية الخاصة بشبكة تغطي الكرة الارضية ، ولكن المهم هنا هو اذا كانت بعض اساليب التعبير في الحضارة ، وأعني بذلك بعض اشكال الثقافة قد بليت وبطلت

فليست مهمة الرجل المفكر ذي الارادة الحازمة أن يندب هذا الانحطاط ويرثي لحال هذا الحسر ان بل عليه ان يبحث عن الطرق والوسائل التي تتيح له أن يسهل ما هو في الحقيقة تحول في الحضارة والثقافة ، ذلك التحول الذي يبشر بإمكانيات مقبلة .

واني أقر بأن هذه النظرة الى ثقافة يتغير اتجاهها ومحتواها ووظيفتها الاجتماعية هي على قبح كل عقيدية Dogmatisme تعتبر هذا المدرك الحضاري او الثقافي عادلا وحقيقاً ، وهي على قبح فلسفة سياسية واجتماعية تعتبر هذا الشكل الحكومي ، او ذاك التركيب الاجتماعي عادلين وحقيقين ، وتقيم في هذا السياق من الافكار ، الظواهر التاريخية والاجتماعية تبعاً لسلم قيم زعم انها غير متغيرة .

ان طريقة تعبير جمالية ، وثقافة ، وشكل حكومة ، ومجتمعاً ، ليس هذا كله في نظري حقيقي وعادل من خلال منظور التاريخ الا اذا كان نقطة توازن بين مختلف القوى النفسية الواعية واللاوعية ، تلك القوى الآتية من اعماق الماضي ، والناجمة من الحاجات الجديدة ، وتظهر هذه الحاجات الجديدة في عصر معين ، ومكان وزمان معينين داخل مجموعة بشرية هي في طور التحول ، فتضع — اي الحاجات الجديدة — تحت تصرفها هذه الأداة التقنية ، وتستخدم مواد البناء ، وتلك الآلة ، وتختار الطريقة التعبيرية المناسبة لشعورها .

وانه لمن العسير — في رأيي — ان نعرض بصورة منتظمة نظرة مناقضة للعقل المنظم الذي شوه — على تعدد المدارس التي ينتسب اليها — النظرة الصحيحة الى الاشياء . ولكن من منا يدعي ان نظرة الى الاشياء هي صحيحة ؟ اني اعتقد شخصياً ان كل شي في مجال بحثنا تقريبي ، وان علوم الانسان التي تدخل في نطاقها نظراتنا الى الحضارة ، والثقافة ، والادب والفن هي علوم تقريبية ، وليس في مكنيتها ألا تكون غير ذلك ، وهذا ما يحدونا الى الاقتراب على قدر الامكان من الحقيقة ، وربما دون ان نستطيع الوصول اليها ابداً ، إن المدركات التي تفيدنا ايضاً احسن من سواها في هذا النسق من الافكار هي المدركات التي تبدو اكثر صلاحاً لتسهيل هذا السير ، واقصد بذلك تلك التي هي كائنة او التي تبدو لنا انها موافقة في هذا الموضوع ، ولذا فاني لا اعتقد انه بإمكاننا أن نشيد ، كعقيدة ، صورة ما ، تنخلها عن الحضارة ، او مثلاً ما عن الثقافة ، او قانوناً جمالياً عزيز علينا ، او طريقة تعبيرية او اسلوبية تفصلنا على سواها . اني موافق على ان هناك اعمالاً فنية

هي تعبير عن هذه الحضارة او تلك ، والتي كانت لغتها ، والتي طفا كالمها وصفائها على
صفحة البقاء ، والتي تسحرنا بنضارتها التي لا يكدر لونها مرور الايام .

وهنا يحتل - بكل تأكيد - المعبد اليوناني ، والكاتدرائية القوطية ،
وروفائيل ، وموزارت أمكنة ممتازة تسهم في زيادة ثروات الثقافة الانسانية ،
وحسبنا التذکر بأن تقليد الآثار الادبية وانتحالها لم يحولا دون نظم مبدعي الثقافة الشعر على
طريقة هوراس ، وأن يضعوا لوحة على غرار هولبين ، أو يؤلفوا قطعة موسيقية شبيهة بقطع
شوبرت ، وكذلك تأخذ الحقيقة على عاتقها أن تمنع رجلا سياسياً أن يحكم كما كان لويس الرابع
عشر يحكم شعبه ، أو أن يخوض جنرال حرباً على شاكلة فريدريك الكبير ، وليس العسير في الموضوع
ألا يعمل كما عملوا في هذه الفترة التاريخية أو تلك وإنما العسير ان نعمل حسب مقتضيات
زماننا وشعوره ، أي ان نعمل عملاً مناسباً وموافقاً .

وهل هذا يعني أنه لم يعد هناك خطر يهدد الحضارة والثقافة ، وهل خطأ هؤلاء الذين
ذكروا الانحطاط والفساد وضياع الثقافة ؟ اني أوضح ما عنيت . إن كل أثر انساني يواجه
قبل كل شيء ، خطراً ، وليس هناك أمان في مجال الثقافة أو سواء من المجالات ، ثم أن
التشويشات والتعديلات ، العميقة أحياناً ، التي تمثي بها الفنون — والمقصود بالفن معناه
الاكثر انساعاً — ذات مظهر انحطاطي أو فسادى بالنسبة لحالتها السابقة . واني أفهم
دون صعوبة ان الفن الغريب Baroque يبدو انحطاطياً بالنسبة لمؤرخ الفن الذي يمثل تصوير
روفائيل في نظره قانوناً جمالياً ذا قيمة مطلقة . فان الذوق يتدخل في هذا النوع من الاحكام
اما أنا فاني لا أتردد لحظة في تفضيل لغة موزارت الموسيقية على لغة الرومانتيكيين الموسيقية ؛
على أن دراسة عميقة لهذه الظواهر تحرم علينا اعتبار كل واحدة منها على حدة ، فهي تفرض علينا
دراستها — اذا صح التعبير — في اطار مضمونها ، فلماذا اتخذ الفنانون المبدعون
بعد فترة قليلة من عهد كلاسيكية النهضة لغة أخرى ؟ ولماذا اختاروا وسيلة أخرى للتعبير وخلقوا
اسلوباً جديداً ؟ وهكذا نتوصل الى فهم أسباب هجر ما كان تاماً في نوعه . في غداة ١٩١٨
أخذ بعض المنكرين المذمومين أمثال اشنيكر في المانيا ، وفاليري في فرنسا بما كان بأسباب
وتشاؤم ظاهرة امكان زوال الحضارات وتعرضها للموت ، وقد قاسوا هذه
الحوادث — تجاه الدمار الذي خلفته حرب كبرى — بمقياس تقليدي (أكاديمي) لان العالم

الذي ولدوا فيه ، وتلقوا ثقافتهم منه فد عودهم على الاستقرار والأمان وسكون الاشياء جميعاً ، الى حد اصبـح فيه **قانون التغير في نظرم** — الذي هو مع ذلك **قانون الحياة والتاريخ** — اكشافا سبب لهم دواراً ! ثم جاء بعدهم أناس لم يعودوا مرتبطين بعالم ما قبل ١٩١٤ لأنهم لم يعرفوه ، فلم يحملوا على تسريح انظار كثيفة على العالم الحالي ، حتى ولا بعد ان عجلت حرب جديدة وهائلة في تطور كان يوحى بأقوال تشاؤمية للذين وعوا فجأة منذ ثلاثين عاماً المخاطر التي تهدد الحضارة والثقافة ، واعني بذلك **مدرك حضارة وثقافة** كان لا يحسب حساباً كافياً للاعتبار الفائل : **ان هذه الظواهر تبنى بالتعديلات التي يبنى بها العالم الذي تظهر فيه حضارة او ثقافة .**

ولكن أمن المقول ان غيل الى النقيض المعاكس ، وأن نعارض التشاؤم الذي حاکمت من خلاله بعض **العقول الكبيرة** الخطر المهدد للحضارة والثقافة ، بتفاؤل هادى شأننا في ذلك **شأن الذي يؤكد بأن تاريخ الانسانية يسير في خط تقدمي لا ينقطع ؟** واسمح لي أيها القاريء أولاً بملاحظة أن تعبيرى تشاؤم وتفاؤل غير صالحين في نظري عندما يكون **المراد المعرفة والفهم** إذ من المؤكد ان **الفهم** يفوق في اهميته تقيماً يتم أحياناً بـجعة ، وعندما نلاحظ مثلاً ان استخدام الطاقة الذرية لغايات عسكرية يشكل خطراً هائلاً ، في حين أن استخدامها لغايات سلمية ينشر خيراً عيماً فالتا لا نصدر على امكانيات تطبيق الطاقة الذرية حكماً متفائلاً ، بل **نقرر بكل بساطة انه يمكن استخدام الطاقة الذرية بشكلين مختلفين** ، وان وسيلة جديدة ، وقوية بصورة خاصة قد وضعت في خدمة التقنية الصناعية ، وان على الناس وإراداتهم تتوقف معرفه كيفية استخدام هذه الوسيلة التقنية الحديثة ، لقد كان عصر آلة البخار ما كان ، أي ما اراده الناس أن يكون ، وكذلك الأمر في عصر الطاقة الكهربائية والمحرك الانفجاري ، وهذا ماسيكون من أمر عصر الطاقة الذرية .

اني أعتبر عن هذه الدورة التي قت بها قبل الوصول الى موضوعي الا وهو معرفة ما اذا كانت الوسائل التقنية في إعادة طبع ونشر وتوزيع الصور والكلام والاصوات **تشكل خطراً على الثقافة** . وكان يستحيل علي أن أسلك غير هذا المسلك ، لأن علي الاجابة على هذه المسألة : ضياع الثقافة أم تحولها ؟ وقد قلت : علينا ألا نعالج طرائق التعبير ووعي الحضارة أي الثقافة كل واحدة منها **على حدة** ، فان التقنيات الصناعية ظهرت في ميدان الثقافة ،

وهذا هو الواقع ، ولكنها لم تظهر في هذا الميدان إلا في برهة حوات فيها التقنيات الحديثة شرائط حياة الانسانية الحديثة فقد خلقت هذه التقنيات الحديثة مجتمعاً صناعياً يسكن افراده في تجمعات حضرية كبيرة ، فهي اذن قلبت أوضاع المجتمع ، وخلقت جماهير العهد المعاصر الغفيرة ، وأوجدت مهناً وحرفاً جديدة وبالتالي تعليماً وتكويناً مهنيين غير معروفين في الماضي ، كما هيأت العدد الكبير من الناس لتلقي تعليم كان موقوفاً في السابق على أقلية ممتازة ، فأسمت اذن بقوة في خلق حاجة للاعلام والتعليم لم يصل شعور الطبقات العليا في المجتمع بها ، قبل عهد الآلية ، الى هذه الدرجة فقد يكون الانسان نبيلاً وقليل النصيب من العلم ، أو غنياً وكثير النصيب من الجهل . وليس في الامكان اليوم ان يكون الانسان فقيراً ومحروماً من العلم . اني لا أدخل في هذا البيان الحجة الاجتماعية من أجل ذاتها ، بل أدخلها حتى دون الرجوع الى انواع الحكم التي يمكن ان توجد اليوم في العالم ، وبصرف النظر عن المذاهب الاجتماعية التي تتجابه ، وذلك لسبب بسيط هو أنه لا بد عند ذكرنا الثقافة في هذا النصف الثاني من القرن العشرين من معرفة الذي يجب ، توجه اليه هذه الثقافة . وإني لا أتردد عن القول : إنه بالرغم من اختلافات النظامين الاجتماعي والسياسي فلا بد للثقافة بحكم الضرورة الحتمية من التوجه نحو مجتمع صناعي يقطن افراده في تجمعات حضرية كبيرة ، وهو في حاجة الى الاعلام والتعليم لأن بلداً مصنعاً لا يستطيع أن يعيش بصورة سوية بدون إعلام وتعليم الجماهير ، ولن يستطيع أحد في هذا المجتمع أن يكسب عيشه لأن كسب العيش أصبح غير قابل للانفصال عن حد معين من التعليم واعلام غير منقطع عن التجديد . إن هذا القول ينطبق على أميركا كما ينطبق على الاتحاد السوفيتي أو فرنسا ، وتظل هذه البلدان تحت طائلة الانحطاط اذا لم تفعل ذلك؟ أي تحت تهديد العجز عن متابعة الحركة التي تفرضها ، دون رحمة ، الصناعة وقانون الاتاج ، على الانسانية الحديثة .

وبعبارة اخرى فان دراسة موضوعي لن تتم بصورة مرضية اذا لم نعترف اجمالاً بأن هناك علم اجتماع حضاري ، وآخر علمي وفني وآخر - وهو ما بينهما - ثقافي . كما ان هذه الدراسة لا تتم اذا لم تدرس الوسائل التقنية الموضوعية تحت تصرف الثقافة في زمن معين ومجتمع محدد .

ومن هذه الوسائل في الأدب الطريقة التقنية في الالتقاء ، والقراءة بصوت عالٍ في الأزمنة القديمة ، وتقنية القراءة الصامتة وتقنية الكتاب المطبوع منذ عصر النهضة ، وتقنية الصحيفة ذات السحب الواسع منذ القرن التاسع عشر ، وتقنية الإذاعة (ومعهام سمع النصوص المسجلة الذي بدأ يغزو البيوت) منذ القرن العشرين . ومن المحتم ، اي من الطبيعي أن تؤثر فوارق الوسط الاجتماعي ، وفوارق الوسائل التقنية بشدة على شكل حضارة ما ، وبالتالي على ثقافتنا ، ومن المحتم ان يوجه تحول مجتمع ما. الثقافة وجهة جديدة ، وأن يعد لها ، وان يذهب حتى الى تغيير المعنى الذي يليق اطلاقه على كلمة الثقافة .

إن هذه الحتمية تساوى والتأثير العميق الذي تحدته الوسائل التقنية والمواد البنائية والآلية على الثقافة . حتى اذا اردنا عزل الثقافة وردها الى مذهب جمالي ، او تلاعب بالافكار وقننا في الأكاديمية والجدل الاسكندري العقيم ، ومن الخطأ الظن اننا نستطيع ببساطة تنضيد الوسائل التقنية الحديثة فوق اسس مفروض فيها عدم التبدل والتغير ؛ حتى اذا عملنا بهذا الشكل وقننا ايضاً في الانتخابية التي ليست سوى علامة تفكك المجتمع والثقافة والفنون .

إن جهد التكامل ، واعني بذلك البحث عن نقطة توازن بين القوى الفاعلة في مجتمع ما ، في بلد معين ودور معين من تاريخه . إن هذا الجهد يفترض بالضرورة اختياراً مناسباً ، وعندما تكف ثقافة عن أن تكون مطابقة تهدد بالانسحاب من الحياة والبطان والزوال ، وهناك دوماً خسائر في ادوار الازمات ولكن الموضوع هو معرفة فيما اذا كانت حضارة وهي وسط تحولها الكامل تطلق الكفاية من الطاقات الجديدة والقوى المبدعة لكي تستطيع تعويض هذه الخسارة . ان الحضارة تضيع عندما لا يكون هناك ما يعوض فقدان ما كان ، وعندئذ يكون فاليري على حق عندما قال : إن الحضارة مائتة كالشجر ، واما اذا كانت الازمات على العكس مولدة للقوى الفاعلة فان الخسارة تعوض بالتحول القائم المؤدي الى امكانيات جديدة عند مبدعي الثقافة ، ولهذا السبب ايضاً احجم والحالة هذه عن الحكم على تحولات العالم الحالي في اتجاه تشاؤمي او تفاؤلي . اني لا ابعد الفرضية بان الخطر بالرغم من ثقل القوى المدمرة ، ونظراً لعجزنا عن التغلب عليه ، سوف يتحول الى كارثة ، وعندئذ يحدث فقدان الثقافة . ولكني لا استطيع تجاه الامكانيات الموضوعه امام

الإنسانية اليوم ، والقوى الفاعلة التي تنبعث من حضارة هي وسط ازمة كاملة ، لا يستطيع الزهد بالأمل بأن الحسائر سوف تعوض بتحول سلامي للثقافة . وجل ما يستطيع قوله : إن تلك الحضارة والثقافة هما ابعد من ان يصلا الى نقطة توازنهما والى حالة التكامل التي تسترد فيها حضارة ما وثقافة ما ، اذا صح التعبير ، ملاحظهما المعروفة . ويجدر بنا على العكس العمل رديحاً من الزمن ، ولعله لمدة طويلة وسط حالة من فقدان التوازن وعدم الاستقرار التي تقتضيها كل ازمة مجتمع او حضارة .

لنعترف - جملة - بأن لوسائل التقنية الحديثة والحاجات الجديدة في المجتمعات المصنعة اثراً عميقاً في الثقافة اليوم ، ذلك لأن الانسان الحديث بحاجة الى تمثل طائفة من المعارف كان العقل الانساني في الماضي لا يشعر بضرورة الارتباك بها ، ولا ريب في انه من الصحيح القول : إنه ينبغي ألا نخزع بين التعليم والثقافة ، وأنه يجدر التمييز بين الاعلام والثقافة ، فليس للاعلام من معنى سوى المواد التي تزود بها معرفة الانسان ، على انه يجدر بنا الاعتراف بأن الرجل الحديث لا يمكنه الاستغناء عن إعلام متجدد دوماً ، وبأن هذا الاعلام يزحم فكره باشياء كثيرة ، فعلى الرجل الحديث إذن ان يبذل جهداً متواصلًا في عملية التمثيل ، وقد انقضت عهد كانت تنعم فيه الثقافة بنوع من القرار والسكينة ، وان ما ينبغي ان نترع اليه فهو الكفاية من الفراغ لكي تتعلم وتتأمل ، حتى يستطيع هذا التمثل المتجدد دوماً من الاسهام في اغناء ثقافة الرجل الحديث وتعميقها . إن الرجل الحديث مجبر إذن على أن يتمثل غذاء فكورياً لم يعد في الامكان أن يظل انسانياً بحتاً او تاريخياً او أدبياً ، وإن المثقف البحت يترع الى ازدياد الحضارة اليدوية والعملية ، وإلى عدم الاعتراف بحضارة إلا اذا كانت كلامية وكتبية . وليس من المصادفات إلا ينتج عصرنا عباقرة ادباء يضاؤون غوته ، وبلزاك ، وهوغو ، وتولستوي ، ودوستوفسكي ، فقد فضلت العبقرية الانسانية في القرون العشرين الظهور في ميادين أخرى من المعرفة والايجاد ؛ فان رجالاً وهبوا ذكاءً خارقاً ، وخيالاً مديداً ، فوققوا حيواتهم على علوم الفيزياء ، والكيمياء ، وعلم الأحياء ، وعلم النفس ، والتقنية ، ويجدر بنا التسليم بأنهم بتوسيعهم الى مالا نهاية ميدان المعرفة الانسانية قد طبعوا الثقافة بطابع توجيه جديد ، فان اعمالهم ومكتشفاتهم شغلت - على الأرجح - الانسانية الحديثة أكثر مما شغلتها المبتدعات الادبية البحتة .

وهناك رجال آخرون حملهم نبوغهم على مزاوله نوع من الفعالية الفنية ، فاختاروا أن يطبقوها على الهندسة ، وتنظيم عمران المدن ، والتصوير الشمسي ، والفنون التطبيقية ، السينما والاذاعة الى غير ذلك من المشاغل التي يلقي فيها فكر ميال الى الابداع امكانية اشباع ميول التحقيق المادي . وهناك اخيرا رجال دخلوا غمار السياسة لان هذه في زماننا تستدعي المواهب الانسانية المتنوعة ، ويخطيء كل من يظن أن الجهد القائم على تكيف تنظيم المجتمع وفعاليات الدولة مع حاجات عالم في طور التحول لهو جهد بعيد عن الثقافة ، وقد رأينا — مكتفين هنا بمثال واحد دون امثلة اقل شهرة — رأينا في مطلع هذا العصر اديباً رقيقاً هو ليون بلوم Léon Blum كان في شبابه ناقد اديباً ، معنياً بعلم الجمال ، لطيفاً ، هجر صنعة الأدب لأن موهبته الاستعدادية وحس الواجب الاجتماعي امليا عليه مزاوله السياسة ، حتى اذا غدا رجلاً سياسياً ، وخطيباً ، ورئيس حكومة ، ظل الرجل ذا الثقافة الواسعة ، كما ان ثقافته غنيت بالتجارب الجديدة التي حصل عليها في ميدان العمل .

ان محاولة حصر الرجل المثقف ضمن اطار فعالية الأديب وفعالية السياسي تؤدي الى الفصل بين الأدباء من جهة وبين ارباب التقنيات والمنجزين والسياسيين من جهة اخرى ، في حين ان من واجب الرجل المثقف في القرن العشرين ان يظهر فعاليته ايضاً في المحابر والمراسم Ateliers والمشاغل « ورشات » Chantiers والمعامل وقاعات المداولات وحتى في مكاتب الادارة الكبيرة . ان الثقافة التي يمكن ان يزود بها ، والتي يجب ان يزود بها رجل علمي ، او تقني ، او بناء ، او مهندس ، او رجل الجماهير ، او مدير كبير ، واعني بذلك كله ، الباحثين والمخترعين وقواد المشاريع والرجال . ان هذه الثقافة اقل تشرباً للتقاليد الانسانية والادبية ، واقل نعومة من ثقافة المتعلم المحض ، ولكنها ستكون اقرب الى الحياة ، واكثر حسية ، واقل تجوداً عن المنافع ، ولعلها اكثر نفعاً من ثقافة هؤلاء الذين يفيدون مجداً من معرفتهم الكبيرة ، وعلمهم الواسع الذي لا يخطيء الا نادراً ، ومن عقولهم المزينة ، ومطالعاتهم التي لا تحصى . ويخشى ما دمنا نحافظ على مدرك ثقافي ، وهو دوام عفاة الزمان ، ألا تسيطر هذه الثقافة على الانسانية الحية كما تعمل وتناضل في عصر محفوف بالمصاعب ، وليس أبعد عن ذهني وأنا اين هذه النظرات ، ازدراء التراث الثقافي

الكبير الثمين الذي نحن مؤمنون عليه ، ولكن يجدر ان نعلم ان **المواد ذات الصفة العالمية الواسعة** ، وكذلك ايضاً **المشاغل ذات الطابع المشدد الجمالي والادبي** قد اصبحت جميعاً **اختصاصاً** في جملة بقية الاختصاصات ، فهي لم تعد تمثل الثقافة بل ستظل عنصراً هاماً فيها ، هذا اذا لم ترتكب خطأ بمطالبتها بحصر الثقافة فيها ، لان من **واجب الثقافة النزوع ليس الى التكامل بادخال معارف من انواع مختلفة** فحسب ، بل يجب ان تكون في **متناول** عدد متزايد من الناس ينتمون الى اوساط اجتماعية ومهنية مختلفة . وليست الثقافة غاية في ذاتها كسرار المبدع ، بل يجب ان تلي اكثر فاكثر حاجة معممة للمعرفة وامكانيات متزايدة دون انقطاع للذيع والانتشار .

اما فيما له علاقة بتعليم الثقافة ونشرها - فليس لي أن أزيد على ماسبق ان قلته . إن **دور المربي** اولى بالبداهة ، كما ان دور هؤلاء الذين يستعملون الادوات في خدمة نشر الثقافة يزداد اهمية اكثر فاكثر . ولا بد لي من الاشارة الى خطورة مقاله ايليا اهرنبورغ Jlya Ehrenbourg عن استعمال هذه الأدوات ، ان هذه ليست صالحة اوسيلة في حد ذاتها ، فان المعلن اذن على **الاستعمال** الذي يخصها به الرجل ، فان التبعات الملقاة على الناس في هذا المجال لكبيرة جداً ، وينبغي السعي دوماً الى ابعاد الخطر الذي يمكن أن ينجم عن **سوء استعمال المطبوع والسينما والاذاعة** ... الخ ومهما تكن معتقداتنا السياسية فن المحسوس ان للمجتمع والسلطات القائمة حق مراقبة استعمال التقنيات الحديثة لنشر الكلام والصور والأصوات ، وليس بوسع الحريص على التمسك بفكرة الحرية الموافقة على اساءة استعمال الحرية . وسيبذل جهده في البحث عن الوسائل المشروعة التي تتيح له التخفيف ما امكن من اثر هذه الاساءة . اما القول إن هذا مما يثير مشاكل صعبة جداً فهذا شيء مؤكد ، ولكن يجدر بنا ان نثق بمجتمع تكون بلء الحرية ، فيه **شعور الجماعة وارادة حمايتها** من التأثير السام التي قد يحدثه استعمال سيء للتقنيات الجديدة او القوية ، انه سيجد مناهج كفيلة بابطال مفعول هذا الاستعمال السيء او حذفه .

وأخيراً بقيت كلمة عن **التحويلات** التي يمكن للوسائل التقنية لنشر الصورة والكلام والاصوات ان تحدثها أو التي أحدثتها في الثقافة الانسانية . وعندما قال فاليري : ان الثقافة مائنة لم يكن يفكر في الظاهر بأن حضارتنا قد بعثت بفضل تقنياتها حضارات زائلة أو بعيدة ،

ان علم الآثار جعلنا نهي بفضل الصور كنوز الفن والهندسات المنتزعة من باطن الارض أو الغابات المندراء ، أو المكتشفة في انحاء القارات البعيدة ، وإنها لظاهرة جديرة بالاهتمام تلك العناية التي تبديها الجماهير نحو الحفريات الأثرية . ومن نحو آخر فان النسخ Reproduction الفوتوغرافي والشريط الوثائقي Documentaire وحتى الصحف المصورة والمجلات ذات الانتشار الواسع والتي نعلم مساوئها ، قد وسعت بصورة خارقة للعادة معرفتنا بتراث الانسانية الفني . وهناك ناشرون فيون ذوو فضل عميم في مجال ثقافتنا الفنية . وهكذا فان اسلافنا لم يحفظوا بهذه الوسائل العجيبة لتوسيع نظراتهم الى العالم ، وبكلمة موجزة لدفع ثقافتهم الفنية دفعة متجددة دوماً ، بل لتوجيهها وجهة جديدة .

إني لا أطيل الكلام ، لأنني أنسكلم عن اشياء معروفة ، وتكفي أخيراً اشارة الى متحف اندره مالرو André Malraux الخيالي (١) .

ولست هناك فائدة ترجى من توسيع الافكار حول مجلوب الصور المتحركة الى ميدان الثقافة الانسانية ، ولعل الفيلم الوثائقي قد اسهم أكثر من التصوير الشمسي . في ولادة رؤية جديدة للعالم ، ثم ان تأثير تقنية الفيلم اخذ يثبت وجوده في مجالات مختلفة من العرفان وشعور الانسان الحديث ، فقد أحدث ، كالتصوير الشمسي ، تعديلات هامة في جمالية القرن العشرين . وأخذ الفن المسرحي يتأثر بذلك بصورة دائمة ، لأن الفيلم كسر الاطار المسرحي ، وقلب جميع الوحدات Unités ، كما ان قدرته على تحقيق مطابقة الوقوع (المعية) Simultaneité وتعميم الوجود المكاني Omniprésence تكاد ان تكون غير محدودة . وقد أنشينا بحق على الفيلم الايطالي في السنين الاخيرة لطرحة جانباً - وهذا دون النظر الى بقية مزاياء - المعالم الاخيرة لتخلف فن الفيلم تجاه الفن الدرامي .

واذا أجز لنا الكلام عن ثقافة درامية أو مسرحية . فن المؤكد أن السينما قد غيرت كلياً شروط هذه الثقافة . وهذا من الأمثلة الجليلة التي تعزز الفكرة القائلة بأن التقنيات الجديدة قابلة لاعطاء وجهة جديدة ، وإلى حد ما ، معنى جديد للثقافة .

وفي مجال اعادة نشر الاصوات فقد كان للحاكي « الفونوغراف » والمذياع أثر

(١) يشير صاحب المقالة الى كتاب اندره مالرو : المتحف الخيالي للنحت العالمي

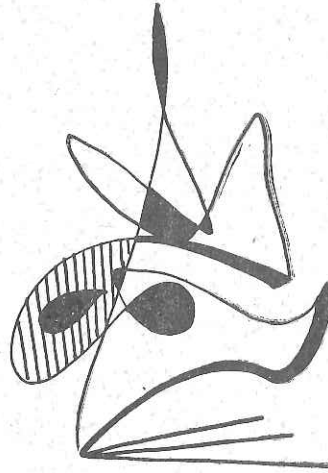
Musée Imaginaire de la sculpture mondiale (1953)

عميق على ثقافة الرجل المعاصر الموسيقية ، ولما يمض زمن طويل على ظهور مقال عن موزارت كتبه العالم اللاهوتي كارل بارت ، الذي يملك آثار موزارت كلها مسجلة ، قد وصف الحاكي بأنه « اختراع مبارك » وفي امكاني تقييم اسهام الاسطوانات الخارق للعادة في تعليم الشبية الموسيقى . فقد أصبح في مكتبة الطالب ان يكتب ، بفضل الاسطوانة ، معرفة عميقة ذات شيات وصفات عالية للآثار الموسيقية الفذة وعازفها ، إن الهواة والمحترفين مدينون لها . فهل أثرت الاسطوانة ايضاً على جمالية الموسيقى في أيامنا ؟ هذا محتمل . ان العازف غير مرئي ، والموسيقى مسموعة في تحريردها أي في صفاتها . ان الاسطوانة تتم بلطافة عن عيوب الأثر الموسيقى وعازفيه ، فهي تمي نوعاً من الجمالية الموسيقية ، كما انها تضر بنوع آخر ، فان نوعاً من قواد الجوقات الموسيقية ، وعازفي الآلات - ولندكر نموذج العازف الرومانتيكي الذي يؤثر بوجوده المرئي والمغناطيسية المنبعثة من شخصه على جماهير المستمعين - ان هؤلاء جميعاً ينكشف ضعفهم اثناء التسجيل ، حتى اذا عزم العازف على مجابهة هذه المغامرة اقضى ذلك منه الخضوع لنظام في وجالي لم يبرز الجميع مثيله في الحفلات الموسيقية . وهكذا فلم تعد الموسيقى مشهده مسرحياً ، وأعتقد ان هذا لمصلحتها .

إن المذيع بالذات يوفر لجمالية الصوت والكلام الانساني امكانيات جديدة ، فهناك مؤلفات موسيقية تتباين في جدتها وقدمها يظهر عليها بشكل محسوس تأثير الاسطوانة والمذيع ، وإنا علمون بذلك المزيج المدهش بين التأليف الموسيقى والتعليق الشفهي في قطعة Pierre et le Loup للموسيقار بروكوفييف (١٨٩١ - ١٩٥٣) تلك القطعة التي تسحر اطفالنا وكذلك ذويمهم . واذا أردت أن تسمع هؤلاء الصغار والكبار احدى القطع الكبرى في الفهرست الموسيقى Repertoire للقرن التاسع عشر كالكوميديا الموسيقية لفاجر Maitres chanteurs رأيت رد الفعل الذي تحدثه فيهم وبخاصة اذا كانوا حديثي السن فهناك عوامل عديدة ومتنوعة جداً اسهمت منذ ثلاثين عاماً تقريباً ، في تدشين جمالية جديدة في مجال التأليف الموسيقى . ونبغي ألا ننسب ذلك إلى وسائل نشر الصوت الآلية ، وليس من جدال في ان ذبوع هذه الجمالية الجديدة افادت من هذه الوسائل ، ولكن هناك اكثر من هذا ، فقد عقد مؤخراً في مدينة بال بسويسرا مؤتمر دولي للموسيقى الالكترونية ، وهكذا نرى ان التقنية لم تعد تكفي باعادة نشر اصوات الادوات الموسيقية التقليدية ، بل تتمتع بذاتها اصواتاً . وليس ادعى للاهتمام من متابعة البيان المشروح في الاذاعة عن هذا المؤتمر وحفلاته . وليس لدينا اليوم مثال واشد وقعاً

على تعديل خارق للعادة **لمدرجات الثقافة الموسيقية** أكثر من ظهور التقنية الالكترونية في مجال التأليف والعزف الموسيقيين .

وخلاصتي الشخصية في موضوع معرفة ما اذا كانت الثقافة في خطر ، فليست كما قلت تشاؤمية ولا تفاؤلية ، حتى اذا ما تركت مزاجي على غاربه ، وذهي في منحدره الطبيعي فأنما تكون على الأرجح **تفاؤلية** ، إذ ينبغي ان نثق بالانسان وبالناس ، لأن ذلك على وجه التقريب ضرورة حيوية في عالم برزت فيه امام اعيُننا النزعات السيئة وقوى التدمير بصورة مقلقة وخارقة للعادة ، وإني اعتقد ان ليست الحاجة الملحة لتلافي الاخطار فحسب بل الأمل المتعددة والبدئية تنادي جميعاً لصالح فكرة تستند الى **ملاحظة القوى الخيرة والجديدة** الآخذة في تعويض الحسائر التي تمّني بها حضارتنا وثقافتنا ؛ انها لقوى **مهووسة** ، قادرة على تحويل الثقافة وتغييرها . لنشعر أيضاً بأنه يجوز لنا كثير من الارادة الطيبة والجهود المتجددة دوماً لبلوغ هذا الهدف . إن هذه المهمة كونية ، وينبغي أن تؤدبها الإنسانية الحديثة جمعاء ، ولديها شرط اولي وهو **استقرار السلام بين الشعوب** .



الكتاب والموضوعات

● خمسون دقيقة انتظار

مسرحية حوارية

ذات فصل واحد

من طرائف

الأدب الافرنسي الحديث

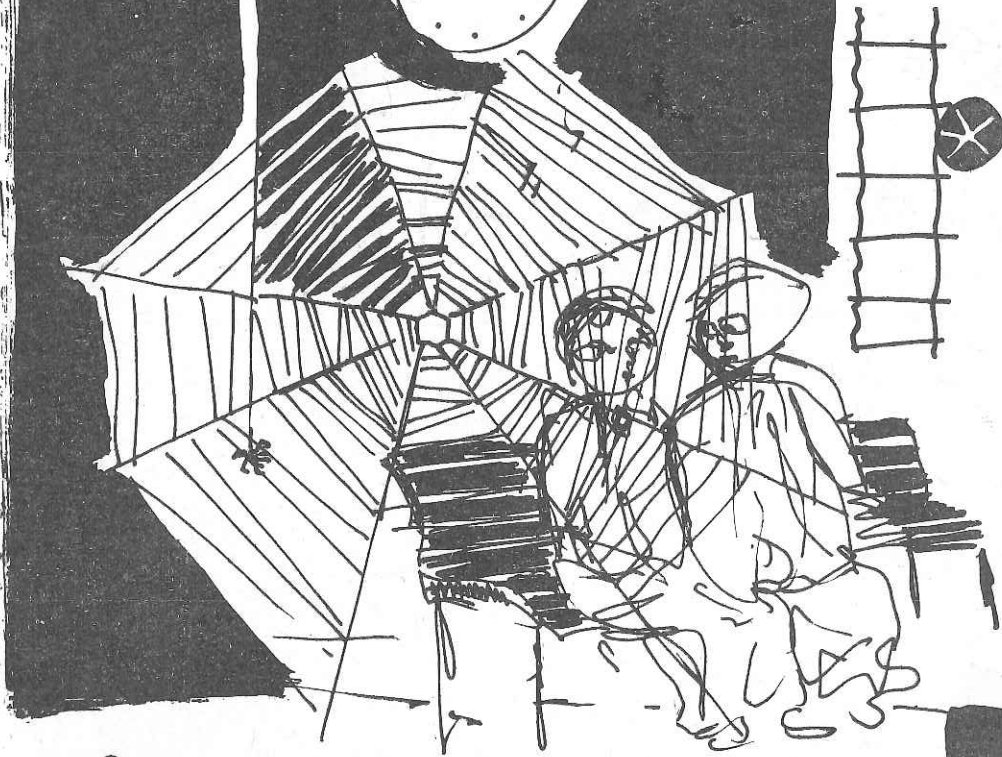
للكاتب المسرحي :

شارل شاربا



الآداب

من أدب الخنسي الحرث



خمسون دقيقة انتظار

مسرحية حوارية ذات فصل واحد

رأى في الكاتبة الفرنسية: ساراك سارا
ترجمة: سعيد القضاة

خمسون دقيقة انتظار
حائزة على الجائزة الأولى المسرحية لعام ١٩٥٥

الاشخاص : لويس ، ارمان .

المدة : خمسون دقيقة.

المسرح : رصيف محطة صغيرة تقع على خط
حديددي طويل ، الجرس يعلن قدوم قطار . يقف
على المسرح ، شخصان ، هما موظفان في مكتب
واحد وقد عاد احدهما الى منزله بعد ان قضى
يوماً عند زميله .

لويس - إن حطنا كبير فالقطار متأخر عن مواعده ثلاثين دقيقة .

ارمان - آه لا بأس .

لويس - وقد جئنا قبل الموعد أيضاً بعشرين دقيقة .

ارمان - عشرون دقيقة؟ وهذا يعني ان علينا ان ننتظر اكثر من ثلاثة اربع الساعة .

لويس - تقريباً .

ارمان - أي ما يقرب من الساعة .

لويس - وهذا صحيح .

ارمان - انه انتظار طويل .

لويس - كان في مقدورنا البقاء عشر دقائق اخرى في المنزل .

ارمان - نعم وهذا ينقص مدة الانتظار عشر دقائق .

لويس - عشر دقائق لها أهميتها بالنسبة الى حمسين دقيقة .

ارمان - نعم ، إذ تصبح عندئذ أربعين .

لويس - أي أكثر من نصف ساعة بقليل .

ارمان - وعندها يختلف الامر .

لويس - وهذه يا صديقي عادة متأصلة في نفس زوجتي ، فهي كلما ذهبت الى مكان ما ،

كان عليها أن تصل اليه قبل الموعد بزمان طويل . وهي لو جاءت معنا

لرأيت كيف كنّا نصل قبل الموعد بساعة بدلا من عشرين دقيقة .

ارمان - وعندها يبلغ بنا الانتظار ساعة ونصف الساعة ، وهذا وقت طويل .

لويس - والشئ المضحك انها جاءت مرة الى المحطة ولم تلتفت ابداً الى القطار .

ارمان - وماذا صنعت ؟

لويس - كلا ، لم تلتفت الى القطار بل جلست وأخذت تغز بالصوف .

ارمان - يا للفرابة ؟

لويس - وعندئذ لم نكن لنلحق بالقطار الا را كضين وفي اللحظة الاخيرة .

ارمان - لقد رأيتهما كثيراً تخرج بنا من المنزل قبل الموعد بكثير .

لويس - انت لاحظت هذا الامر منها ، اليس كذلك ؟

ارمان - ولكن كنت أقول في نفسي ، لعلها ملت حضوري ، لذلك لم أطلب اليها البقاء .

لويس - ليس الامر كما تظن ، لقد قلت لك ان ذلك عادة متأصلة فيها . حتى في

الجنائز ، فلها كانت تصل قبل موعد تشييع الجثمان الى المقبرة بوقت

طويل . وعندها تنتظر وتنتظر .

ارمان - وفي هذه الحالة لم تكن لتستطيع ان تغز بالصوف .

لويس - كلا ، بالطبع .

ارمان - هذه حالة لا تقبل المناقشة شأنها شأن الذين يصلون دوماً متأخرين . ثم

انها عادة خير من غيرها من العادات . قل لي يا صديقي . الا تذهب

لشرب شيئاً نقطع به هذا الانتظار ؟

لويس - آه ؟ انت تعلم ان المشرب بعيد من هنا ، ومن الجائز ان يسبق القطار

موعد تأخره .

ارمان - ربما كنت على حق .

لويس - ثم اذا فاتك القطار ، فلديك قطار آخر يصل خلال ساعتين او ثلاث .

ارمان - وعندها يطول الانتظار .

لويس - نعم ، هنالك حالات كثيرة الانتظار .

ارمان - ذلك انه خلال ساعتين او ثلاث ، لا يستطيع المرء مباشرة أي عمل من الاعمال ، وليس امامه الا الانتظار .

لويس - سنعود عندئذ ثانية الى المنزل .

ارمان - كلا يا صديقي ستركني هنا انتظر لوحدي .

لويس - هل تريد المزاح ؟

ارمان - آه ! كلا ، فانا لا أريد ان أضايق امرأتك مرة أخرى .

لويس - وهل انت واثق مما تقول .

ارمان - نعم ، نعم أنا اعرف انه عندما ينصرف الضيوف ، فان النساء يرغبن في اصلاح المنزل بهدوء ، وعودتي الى المنزل مرة اخرى تضايق امرأتك ولا شك .

لويس - ماذا تعني بقولك هذا ؟

ارمان - لا اعني شيئاً ، الامر جد طبيعي — فهي قد استقبلتني كما يستقبل الامراء . ولكن المرء يستقبل اليوم صديقاً ، وغداً يباشر عملاً آخر . وللنساء برامج خاصة صغيرة ، وهن حريصات على تنفيذها .

لويس - هذا صحيح ، ولكن عودتك لا تفسد برنامجها ، فليس الامر كما لو عدت للبقاء يوماً كاملاً آخر .

ارمان - على التأكيد !

لويس - آه ! انظر هنالك الى ذلك الثقب في الشجرة .

ارمان - ماذا هنالك !

لويس - لاشيء ، ثقب فحسب . لم تشأ الشجرة ان تمتد في هذا الاتجاه ، وعندما قلمت حدث هذا الثقب . هناك دوما ضحايا في هذه الحياة .

ارمان - شيء مؤكد .

لويس - انا نفسي تسببت يوماً في ازال الشقاء . وانا أدرك الآن سوء ماصتعت .

ارمان - آه ! وكيف كان ذلك ؟

لويس - تصور اني عتد ما كنت اعود الى دارى مساء كنت أبول دوما ، ولا ادري ما السبب ، في مكان صعين في الطريق .

ارمان - ثم ماذا ؟

لويس - هذا كل شيء . خبعض الحشائش كانت ضحية لهذه العادة التي لا استطيع لها دفعا حتى اليوم الذي شعرت فيه بفداحة الظلم الذي كنت ارتكبه .

ارمان - وهل اخترت مكانا آخر ؟

لويس - نعم ، وعندها صرت ابدل المكان في كل مرة وهذا شيء يدعوا للتأمل .

ارمان - آه ها قد انقضت ثلاث دقائق .

لويس - حتى واكثر من ذلك بقليل . ثلاث دقائق ونصف .

ارمان - هو الوقت اللازم لاعداد بيضة مسلوقة .

لويس - بالضبط .

ارمان - الساعة تقارب ١ لتاسعة . واما متاسبع واربعون دقيقة .

لويس - كنا نتحدث عن السرعة التي تتغير فيها الاشياء في هذا الزمان ، وهناك شيء ، على النقيض من ذلك ثابت لا يتغير .

ارمان - اي شيء ؟

لويس - الوقت الذي يلزم لاعداد بيضة مسلوقة .

ارمان - ولكن هذا يتبدل حسب حجم البيضة ،

لويس - اوه ، كلا .

ارمان - ثم ألا يتبدل ايضا بين بيضة حمامة وبيضة نعامة ؟

لويس - آه . هذا مؤكده . . . أنا اتحدث عن بيضة دجاجة من انتاج بلدنا .

ارمان - الآن نحن على اتصاف .

لويس - الذي اريد قوله انه في آية بقعة من بقاع العالم تحتاج بيضة دجاجة من بلدنا للبقاء

ثلاث دقائق ونص في الماء الغالي لتصبح مسلوقة . وهذا مبدأ من مبادئ

الاستقرار ولكن ليس له قيمة في عصر مسرع - متبدل كمصرنا .

ارمان - الحق ما تقول .

لويس - ثم ان رجلاً كأنشتين يريد ان يخلع النسبية على كل شيء فتأتي البيضة
المسلوقة لتصبح في وجهه : كلا .

ارمان - نعم .

لويس - ان البيضة شيء مدهش .

ارمان - واعتقد ان شهرة كريستوف كلومب مرتبطة بشهرة البيضة .

لويس - نعم ان البيضة متصلة باكتشافات كبرى البيضة تحوي كل شيء .. والظاهر ان
الانسان ينام مرتاحاً جداً اذا حاول أن يجمع جسمه كأنه داخل بيضة ،
وقد سمعت يوماً محاضراً في الاذاعة دعا المستمعين للتفكير في البيضة ،
وقال : « البيضة هي الوحيدة دون سائر المخلوقات ، التي لها شكل
البيضة » .

ارمان - هل نجلس يا صديقي؟

لويس - نعم .

ارمان - غريب أمر هذا الزمان لقد انتظرت القطار مرات كثيرة وأنا وحيد .

لويس - الحق ما تقول .

ارمان - نعم ، اني انتظر القطار دوماً بصحبة رفاق .

لويس - يا للغرابة !

ارمان - الحياة لا تجري أحياناً كما يشتهي المرء ، فلم يحدث لي ابداً أن صحبتني
امرأة الى المحطة أو اني صحبتها .

لويس - أبداً ؟

ارمان - إذ عندها يحلو الانتظار ساعة أو حتى ساعتين . فكلما تأخر القطار
سارت الامور سيراً حسناً .

لويس - الحق ما تقول .

ارمان - فأنت تستطيع بصحبة امرأة ان تجد لذة في أي شيء من الاشياء .
تستطيع أن تتلمهى في المحطة باللعب بزهرة ، بالنظر الى رأس المستخدم ،
بسماع الجرس يدق . وتستطيع ان تشرح للمرأة كيف تسير القطارات
وكيف ترقم العربات ولماذا يترك فاصل في نهاية الخطوط الحديدية ...
وأن تمنع في شرح كل هذه الاشياء الصغيرة التي تجهلها المرأة ، ثم ان الذي
يسرع بالوقت وأنت في صحبة امرأة هو تلك المحاورة الصامتة : فمن تبادل في
النظرات والابتسامات ، الى ضغط على الأيدي ، الى قبلات خاطفة وأخرى طويلة .
لويس - نعم . بينما يشعر الانسان اذا كان في صحبة رجل انه مدفوع الى الخوض
في الاحاديث الجدية .

ارمان - آه عندما نفكر بذلك نشعر بأن الحياة لا تحتمل بدون النساء .

لويس - كلا لا تحتمل .

ارمان - يجب أن نحب النساء . اذ ستجد من يقول لك : «النساء هن النساء» .

لويس - نعم لاحظ جيداً ان اصطحاب امرأة الى المحطة قد يكون في بعض
الاحيان شيئاً شاقاً متعباً .

ارمان - عند الخصام وقطع العلاقات .

لويس - كلا لقد اصطحبت حماتي ممي يوماً الى هنا . لأن امرأتي كانت متعبة
ولم تستطع الحجيء .

ارمان - آه هذا شيء آخر .

لويس - ثم انك تعلم انها كانت تمنع في زواجي . كانت فكرة العظمة مستأثرة
بها ، فكانت ترغب ان يكون زوج ابنتها دركياً من رجال الامن .

ارمان - نعم نعم اني اعلم ذلك .

لويس - ولكن موقف مرغريت كان موقفاً حازماً . واستطعنا الزواج . على
أن جفوة ظلت بيني وبين حماتي بسبب هذا الحادث .

ارمان - ياللمسكين !

لويس - وفي ذلك اليوم وصلنا الى المحطة قبل الموعد بثلاثة ارباع الساعة .
فجهاتي تستأثر بها هذه العادة أيضاً .وعنها اخذتها زوجتي .

ارمان - وهل كان القطار متأخراً ؟

لويس - اوه أنت قاسي القلب لا ترحمني . وأرجوك أن تتأكد أن البقاء معها
كان عذاباً نفسانياً طويلاً بالنسبة لي . فالأمر معك الآن شيء هين يسير .
اذ لم اكن ادري ماذا اقول لها . حاولت أن احدثها وفكرت طويلاً
بما اتحدث اليها وعندها لم اقل شيئاً ولا اعلم اذا كانت ، هي ايضاً قد
حاولت وفكرت . وعلى كل حال لم تقل شيئاً ايضاً وكان الحال خلال
الطريق ايسر بعض الشيء فكانت ضجة وقع الاقدام تخفف من وطأة
الصمت . ولكن لو تعلم كيف كان الامر عسيراً في المحطة .

ارمان - اصدق بسهولة ما تقول .

لويس - ثم اني لا اعلم اذا كنت ، انت ايضاً مثلي تعتقد انه كلما امتد الصمت
زادت الخشية من الكلام وتراءى ان الذي سيقال سيكون تافهاً سخيفاً .

ارمان - اني افهم عنك كل الفهم .

لويس - فمثلاً اذا قلت بعد صمت امتد عشر دقائق : « ان الشمس قد غربت » كأنك
تقصد بقولك هذا ان الشمس لن تشرق ابداً وان نهاية العالم قد حلت .

ارمان - هذا حق .

لويس - ومع ذلك قلت لها هذا القول في ذلك اليوم كي ابدأ الحديث معها .

ارمان - او لم ينشط الحديث بينكما بعد ذلك ؟

لويس - لقد اجابتي : « كان ذلك بسبب سحابة » .

ارمان - وهذا كل شيء ؟

لويس - لقد حاولت الكلام بعد ذلك مرتين او ثلاثاً ولكن دون نجاح .

ارمان - حتما لقد تنفست الصعداء عندما وصل القطار .

لويس - انك تقدر الموقف وترى الامور بوضوح فالوقت يمر بسرعة وحق
ولو كان الحديث بين رجلين ولكنه يتصل بينها وانت تعرف الى اي
مدى تفضي هذه الاحاديث .

ارمان - لو اننا ذهبنا الى المشرب لتحسن الوضع بعض الشيء فالجلوس وطلب
ماز يد ان نشربه ، ثم مشرب ما طلبناه ، ودفع الثمن ، كل ذلك يقطع الوقت
ويسرع به . وكذلك فان باستطاعة الخادمة او صاحبة المشرب ان
تقدم لنا بعض التسلية فانا لا أحب الصمت ولا الهدوء من النساء .

لويس - آه انت ترى ذلك .

ارمان - نعم ان الذي احبه عند بعض النساء طريقتهم في الاثارة فهناك شيء
لا يستطيع تحديده يبعث فيك الحيوية والنشاط ، كطراز اثوابهم مثلا
اي كم ينحسر القميص عند الصدر ، وكم تغطي التنورة من الساق .
باشياء كهذه تبعث الاثارة ولا يستطيع ايضاها ، ولكن علماء الاجتماع
يشرحون لك ذلك ويوحون اليك اكثر الاحيان بأن الاثواب انما
صنعت لتكشف عن مفاتيح الجسم .

لويس - وهل يشرح علماء الاجتماع هذه الحالة ؟

ارمان - نعم النساء يباشرن ذلك بغريزتهن ، ولكن العلماء يقولون لك : كيف ولماذا .

لويس - اعتقد ان هذا بعيد عن اختصاصهم .

ارمان - آه . انت مخطيء في هذا الامر . فعندنا في مكتب المعمل عالم اجتماعي
يقوم باجراء الاختبارات . وهو منصرف الى هذه الامور . حتى
ان لديه اختباراً خاصاً لمعرفة النساء اذا كن رصينات او هن
مستهترات .

لويس - احقاً ما تقول ؟ وما هو هذا الاختبار ؟

ارمان - يسميه اختبار السدة فهو يقف في اسفل سدة خشبية ويطلب الى المرشحة ان تصعد اليها . الطريقة التي تظهر بها ساقها ثم ارتفاع الدرجات التي تصعد بها ومدى السماح للنظرات كي تنزلق من تحت اثوابها ، كل ذلك يعين على الحكم على رصانتها او على استهتارها .

لويس - وماذا بعد ذلك ؟

ارمان - يجر لها بعد ذلك بطاقة بالنتيجة ويستطيع صاحب العمل ان يقبلها أو أن يرفضها حسب حاجته الى الرصانة او الاستهتار .

(يمر قطار سريع محدثاً ضجة)

لويس - القطار السريع يمر بسرعة .

ارمان - نعم .

لويس - وخاصة في هذه الاوقات .

ارمان - ثم ان سرعته تزداد من وقت لآخر .

لويس - انك رأيت كيف هز زجاج النوافذ هزاً .

ارمان - نعم ان الاهتزازات تنتقل بواسطة الارض ؟

لويس - والغريب ان ذلك لم يؤثر على النباتات .

ارمان - الظاهر ان الجذور تمتص كل رجة للارض .

لويس - انظر كيف ان اغصان الاشجار تهتز ايضاً . فالقطار هو الذي حرك الهواء . القطار شيء شعري يحرك النسيم وراءه وان له لذنباً كطائرة الكوميت ولكنه ذنب خفي لا يمكن رؤيته .

ارمان - نعم .

لويس - الانسان حقق تقدماً في هذه الناحية . انه قادر على صنع الهواء ، والانسان يدفع الهواء الان دفعاً قوياً .

ارمان - وخاصة بعد تفجير القنبلة الذرية .

- لويس - وإذا كان لي ان اخلع اسما على عصرنا هذا فاني اسميه عصر الهواء .
- ارمان - ولكنه هواء عنيف جداً ، ذلك تحدثه القنبلة الذرية .
- لويس - نعم انه في منتهى العنف كما كان الحال في برج بابل .
- ارمان - حقاً ان الهواء العنيف هو الذي هدم برج بابل .
- لويس - كلا بل الزيادة في هذا العنف .
- ارمان - والروحة ايضاً تحدث هواء .
- لويس - نعم ولكن بطريقة اكثر انوثة من هواء القنبلة الذرية .
- ارمان - هذا صحيح .
- لويس - ان عناصر الطبيعة قاسية على الانسان على كل حال .
- ارمان - نعم .
- لويس - انت تذكر قصة الجثة التي تكشفت عنها الثلوج بعد ستين عاماً من اختفاء صاحبها الذي كان يتسلق جبال الالب .
- ارمان - وهذا يثبت ان العناصر اذا كانت قاسية فهي مستقيمة عفيفة ترد ما سبق أن أخذته .
- لويس - ولكنها ترده في حالة جديدة .
- ارمان - والظاهر أنها محفوظة حفظاً جيداً .
- لويس - جميلة هذه القضبان الحديدية .
- ارمان - نعم .
- لويس - وهي رمزية .
- ارمان - ماذا تقصد بقولك هذا ؟
- لويس - انها تدعو للتأمل فهي لن تلتقي ابداً .
- ارمان - كلا انها متوازية .
- لويس - ومع ذلك فانها تلتقي آخر الخط تدريجياً عند الحاجز النهائي . هذه

الحواجز هي ايضا رمزية، فليس هناك من سبيل الى التجاوز عنها. الخطوط الحديدية شيء غريب، كل ما فيها يمت الى الرمز، فنقطة التلاقي تعني انه يمكن للمرء السلوك في طرق شتى، وتعني ان الانسان اذا اختفى حيناً يمكنه الظهور مع ذلك في جهة اخرى، اما الجسور فتعني انه في الامكان تخطي العقبات والصعاب .

ارمان - رغم كل شيء فان الانسان مجبر على الوقوف في المحطة في جهة من الجهات.
(الجرس يرن)

لويس - انظر، الجرس ايضا رمزي .

ارمان - الى أي شيء يرمز .

لويس - الى كل شيء انه يعني : « انتهوا » انه يرن .
ارمان - آه .

لويس - وهذا الحصى بين القضبان. انه رمز اجتماعي جميل. ان المرء ليتساءل كيف ان هذه الحجارة الصغيرة تحمل اثقالاً ضخمة كاثقال القطارات دون أي تملل او تدمير.

ارمان - السبب انها تتعاون كما يتعاون المواطنون تحت وطأة الضريبة .

لويس - وهل تعلم ان هذه الحجارة وسيلة ثورية من الطراز الاول ؟
ارمان - وكيف كان ذلك ؟

لويس - الواقع انه يمكن الاحتماء خلفها ، ثم بالحجارة يستطيع رجم فرقة بكاملها، ولهذا السبب تخلو منها محطات المدن الكبرى .

ارمان - ولعل ذلك من حسن الحظ .

لويس - الحق ان سواد الشعب قوي مهما كانت الظروف .

ارمان - ولكنه غير واعي فعندما تؤكده انه قوي تأخذه نشوة الفرح ويمكنك، عندئذ ان تسوقه الى حيث تريد. وكان يساق من القديم بضربات السياط، اما الآن فبضربات من التمدح والتعلق . وهذا تقدم محسوس وفرجدا كبيرا .

- لويس - ربما .
- ارمان - اوه ، انظر الى هناك ، الى تلك المرأة الجميلة الشابة .
- لويس - آه . هذا صحيح .
- ارمان - وانها وحيدة .
- لويس - تمهل فعسى أن يكون رجلها في سبيل قطع التذاكر .
- ارمان - وهل تعتقد ذلك . ان لها سبباً امرأة وحيدة .
- لويس - وكيف عرفت ذلك .
- ارمان - اولا انها تحمل حقيبة .
- لويس - وربما كان يحمل زوجها حقائب ، او كان من النوع الذي لا يقوم بأي عمل
- ارمان - اقول لك ان امرأة جميلة شابة كهذه المرأة لا يمكن ان تحمل حقيبة اذا لم تكن بمفردها .
- لويس - هذا مجرد شعور خاص .
- ارمان - سترى .
- لويس - ثم ربما كان زوجها مصاباً بمرض القلب .
- ارمان - ماذا تقصد بقولك هذا ، فرجل مصاب بمرض القلب لا بد أن تمجّل بموته امرأة جميلة كهذه المرأة ، وعندئذ تصبح أرملة .
- لويس - ربما تكون على صواب ولكن اعتقد ان الامر مجرد مصادفة لا أكثر .
- ارمان - ابدأ . فلولم تكن وحيدة ، لما جاءت الى طرف الرصيف ، وكان عليها ان تنتظر في الوسط . فالمرأة التي لا يرافقها رجل لا تعرف ابدأ أن تذهب في المحطة . وعندئذ ، تأخذ في الانتظار .
- لويس - هذه وجهة نظر .
- ارمان - ثم عندما تكون وحيدة فلنما تذهب مباشرة الى حيث هي الآن .
- لويس - ربما كانت امرأة ذات شخصية مستقلة .

ارمان - ولكن شخصيتها لا تظهر في المحطة ، ربما ظهرت في العربة عند اختيار المقعد او وضع الحقائق على انه من المستحيل ان يكون للمرأة شخصية متميزة اذا كانت وحيدة في المحطة .

لويس - اذاً ربما كانت زوجة سائق القطار اتخذت موقفها هناك لتركب في مقدمة القطار بالقرب من زوجها .

ارمان - انت مصرحاً على أن تكون هذه المرأة ذات بمل .

لويس - اوه كلا ، بل اني اتحدث لمجرد الحديث ومع ذلك فانه شيء لطيف جدا ان يقود السائق قطارا يحمل زوجته .

ارمان - اذا كان السائق يرغب في ذلك .

لويس - آه على التأكيد ، ويمكن عندئذ ان تجلس في العربة التي تلي القاطرة فلا تشعر بحر او برد وعلى السائق عندها ان يحسن القيادة وعليه ان يسير بسرعة في الطرقات المستقيمة ليدخل الرعب الى قلبها وان يخفف من السير عندما يكون المنظر جميلا كما يلف المنعطفات بشكل منحرف ليمتث في قلبها السرور .

ارمان - وهل باستطاعة القطار ان يبدل من اتجاه المنعطفات ؟

لويس - نعم .

ارمان - ماذا يستطيع ان يصنع ؟ انه مضطر للسير على القضبان .

لويس - انه يستطيع ذلك من ناحية خاصة .

ارمان - وما هي هذه الناحية الخاصة ؟

لويس - وأخيرا الا تريد ان تفهم عني ؟

ارمان - آه نعم .

لويس - قل لي ألم تشعر برغبة في ان تقود قطارا صغيرا مكشوبا في يوم من الايام ؟

ارمان - قطار صغير مكشوف ؟

لويس - نعم، انك تعرف تلك القطارات التي تسير على ارصفتة المحطات الكبرى
يقودها سائق يقف على دواصة العربء الاولى .

ارمان - آء، نعم، عرفت ولكني لا ارغب في ذلك فانا احب قيادة عربء مغلقة تضم
سيدة جميلة .

لويس - الغريب ان لكل انسان مثلاً اعلى .

ارمان - هذا شيء موكء . قل هل تسير قليلاً ؟

لويس - انك تريد أن تقترب من تلك المرأة الشابة ؟

ارمان - كلا ، اء لدي متسع من الوقت لكي أءءق بها في القطار .

لويس - ومع ذلك توء ان تتأكء اذا كانت جميلة عن قرب كما هي جميلة عن بعد .

ارمان - نعم ، فبعض الاحيان تءءء مفاجآت غير سارة .

لويس - انظر . الساعة الآن الثالثة وخمس دقائق ، وامامنا حوالي ثلاث وثلاثين
دقيقة انتظار .

ارمان - انك ترى ان الوقت يمر بسرعة بمجرد وجود امرأة .

لويس - والملاحظ ايضا ان الوقت مضى بسرعة لاننا صرفنا الحديث في قضايا جءءة .

ارمان - في اية ناحية ؟

لويس - في موضوع القطارات .

ارمان - هل تقصد موضوع الرموز ؟

لويس - نعم .

ارمان - انك تعلم ان المرأة رمز ايضاً .

لويس - انها رمز عظيم .

ارمان - وانت مخطيء ان لم تحسب الحديث عن النساء جءاً لكل الجء .

لويس - أنا لم أقل هذا .

ارمان - ولكنك المء اليه ضمناً . اما انا فباءلني الضجر في مجتمع يءلو من

النساء ويتراءى لي انه مجتمع لاقيمة له ولا نفع فيه .

لويس - وهل تفضل أحاديثهن ؟

ارمان - كلا ، ولكن الحديث مع امرأة له مضاعفات ويفضي الى امور عاطفية حساسة .

لويس - انت على حق .

ارمان - فمثلا الحديث الذي سأجريه في القطار بعد قليل مع المرأة الشابة ربما كان له مابعدة من النتائج السارة .

لويس - اتنى لك التوفيق .

ارمان - نعم ، هذه المرأة الشابة تثير الاهتمام حقا . فهي تقري بالتقرب اليها .

لويس - الحق تقول واذا كنت راغبا في الانفراد بها والتحدث اليها فاني ادعك لوحدك واقوم بجولة .

ارمان - وهل تعتقد انها تثير اهتمامي ؟

لويس - انت خجول مع ذلك .

ارمان - كلا فالمرء مصيره الفشل منذ ان يظهر الاهتمام بالنساء وأنا أفضل التحدث الى الرجال .

لويس - انظر الى اللوحة هناك .

ارمان - هل تعني فرساي ؟

لويس - نعم انها شيء عجيب .

ارمان - أرى انها كبيرة جدا .

لويس - على التأكيد وكل شيء في موضعه يؤدي الفرض المقصود منه .

ارمان - أراها كبيرة رغم كل شيء ، انها كبيرة وسابقة لعصرها ، وتحتاج الى طائرة هيلكوبتر ليتنقل المرء فيها من قطعة الى قطعة .

لويس - وكيف يتم ذلك ؟

ارمان - من فوق الاسطحة .

- لويس - الواقع انها كبيرة .
- ارمان - انها تعب المرء وهي اكبر من متجر كبير .
- لويس - هذا صحيح من حيث المساحة .
- ارمان - والمتاجر الكبرى متعبة ايضا مع انه لا تنقصها المصاعد .
- لويس - فرساي تحتاج الى مصاعد ، ولكن على ان تكون ذات اتجاه افقي .
- ارمان - ثم انك نسيت برج ايفل .
- لويس - كيف ؟
- ارمان - انا افضل برج ايفل على فرساي .
- لويس - ولماذا ؟
- ارمان - انه يمثل التقدم والنجاح ، ويشغل مساحة اقل ، وهذا شيء يتجاوب مع عصره . والدليل على ذلك انه لا يسبب للمرء ارهاقا .
- لويس - بشرط ان تأخذ اليه المصعد .
- ارمان - وأنت ان لم تركب المصعد متخلف عن عصرك لانك عندئذ تعود القهقري في طيات الزمن .
- لويس - ولكن يجب في اعتقادي التريث والانتظار قبل ان نتحدث عن برج ايفل .
- ارمان - وما هو سبب التريث والانتظار ؟
- لويس - اذ يجب ان نقاكد من ان البرج لن يسقط في يوم من الايام ، انه مهتز .
- ارمان - اين ؟
- لويس - من اعلاه ،
- ارمان - هذا صحيح وخاصة عندما يمصف الهواء ، ولكنه قائم متماسك رغم كل شيء .
- لويس - انا اعرف اشخاصا يرفضون السكنى في منطقة بجواره اذا كانت لا تبعد اكثر من (٣٠٠) م وذلك خوفا من ان ينهار البرج فوقهم .

ارمان - هناك دوماً كثير من الناس المتشككين المتشائمين .

لويس - ثم انه سيهوي قطعة واحدة بسبب المسامير الضخمة التي تربط بين اجزائه .
ارمان - هذا جائز ، ولكن لا يمكنك ان تفهم هذه المسامير اذ بفضلها اصبح
بالامكان اقامة برج ايفل .

لويس - اعلم ذلك ، فانه جلة تحتم وجود الدولاب ، والقطار يحتم وجود الخط الحديدي .
ارمان - هذا صحيح ، فبرج ايفل اذا خلا من المسامير يصبح فرساي وعندئذ
ينبسط في الارض بدلا من ان ينهض الى الاعلى .

لويس - حقا ان قصر فرساي سابق لعصره . واني اذ كر اني قرأت في احدى
الصحف انه يمكن بنفقات قليلة تحويل قصر فرساي الى مصحح كبير .
ارمان - هذا امر محتمل جداً .

لويس - انه باتجاه الريف ومعد اعدادا حسنا بما يحوي من الحدائق والاشجار
والمرات ، وهذا يجعله صالحاً ليصبح مصححا جميلا .

ارمان - ولكن ربما كان الهواء فاسدا بمض الشيء لقرب القصر من باريس .

لويس - صحيح . ولكن هذا ينسجم مع قولك انه سابق لعصره .

ارمان - ثم هناك البحيرات التي تسبب كثيرا من الرطوبة .

لويس - وهذا صحيح ، ولكن انت تعلم ما أرمي اليه .

ارمان - ثم هناك الضجة الكبيرة التي يحدثها السباح .

لويس - ولكن لن يكون عندئذ سباح .

ارمان - وهذا شيء مربك اذ ان كثيرا من الناس بلغهم حديث القصر وخاصة
في خارج البلاد .

لويس - هذا صحيح ، ولكن انت تدرك ماذا اقصد بقولي هذا .

ارمان - ثم ان العادة قد جرت بأن ينظر الى القصر كما هو ، انه فرساي .
انظر هذا قطار .

(يمر قطار — ضجيج واهتزاز)

وهذا قطار آخر لا يقف .

لويس - كلا ولكنه يسير مع ذلك بسرعة أقل من سرعة القطار الاول .

ارمان - ويجب ان يكون قطارا سريعا .

لويس - على التأكيد ، فهو لم يحدث اهتزازا في زجاج النوافذ .

ارمان - ولكنه احدث رجفة للمرأة الشابة ، فهي لم تلاحظ قدومه اول الامر

وهذا ما أذهلها . امرأة في المحطة ، يالها من مغامرة .

لويس - الظاهر انك لست على خطأ .

ارمان - كلام جميل . الحق ان المرأة رائعة وخاصة عندما تصبح مبعث الاثارة ،

وانا استطيع ان اذهب حتى نهاية العالم مع امرأة تعرف ، بطريقة

او اخرى ، ان تبعث الاثارة في النفس .

لويس - ولكنك ستظل دوما كما انت .

ارمان - باستطاعة كل النساء على وجه التقريب ان يكن مثيرات شريطة ان

تحسن معاملتهن .

لويس - آه .

ارمان - ثم خير لك ان تجعل النساء يفرقن في التأمل من ان تتركهن جامدات ،

ليس فيهن حياة ولا اثارة .

لويس - اني لاتساءل هل حقا ان برج ايفل يتجاوب مع عصره .

ارمان - لماذا ؟

لويس - بسبب الطيران .

ارمان - ثم ماذا ؟

لويس - ماذا ؟ انه عال جدا ، فهو يضايق سير الطيران . ويحتاج في الليل الى كثير من

الكاشفات الدوارة وهذا يكلف غالبا . فهو لذلك متأخر عن عصره .

ارمان - وانت تعلم ، ان المرأة انما خلقت لتعاني الالم ، فاذا لم تأخذ في هذه المعاناة فهي غير موجودة .

لويس - آه ، انظر ، الساعة الثالثة والدقيقة الثالثة عشرة ، لم يبق الا خمس وعشرون دقيقة انتظار . الوقت يمر بيسر عجيب .

ارمان - وهذا صحيح حتى من الناحية الجسمية ، انظر كيف ان المرأة تبدو رائعة عندما تكون ثيابها مثيرة عندما تصاب ساقها ، عندما تترك جزءا من قدمها يخرج من الحذاء او تكشف صدرها أكثر من المعتاد وانا لا اتحدث عن العري ، فالملابس اكثر اثارة .

لويس - هل لاحظت ان ساعات الحائط في المحطات لاتدق ؟
ارمان - كلا .

لويس - ومع ذلك فالامر صحيح . وهذا رمز ايضا فكل ضجة في محطة هي رمز حتى تلك التي لم توجد بعد .

ارمان - على ان هناك سرامن الاسرار .

لويس - نعم

ارمان - بماذا تفسر ، مثلا ، انه لا يوجد مشاهد في الملاهي لاثارة النساء .

لويس - آه . حسناً انك .. ان .. الواقع انني لا اعلم .

ارمان - انك لاتستطيع ان تذكر لي ملاهي ، كالفولي برجير ، حيث تذهب النساء لرؤية الرجال عراة .

لويس - كلا .

ارمان - اذن هذا موضوع يثير مشكلة .

لويس - على التأكيـد .

ارمان - صحيح ان المرأة تعجب الرجل الذي ترغب فيه .

لويس - نعم .

- ارمان - ولكن لا تنسى الحواجز .
- لويس - اية حواجز ؟
- ارمان - التقاليد .
- لويس - يمكن التستر في هذه الحال .
- ارمان - صحيح ، ولكن انتبه ، هناك الذين يخشون الله فهو يراهم مهاستروا ، والاباذا تفسر حالة تلك المرأة العجوز التي تحدثت عنها الصحف هذا الاسبوع .
- لويس - اية امرأة ؟
- ارمان - كانت في البلدية ، وفجأة فتح باب .
- لويس - ثم ، ماذا ؟
- ارمان - رأيت جماعة من الشباب عراة ، عراة حقاً ، ولكن ليسوا كفتيات الملاهي .
- لويس - هذا شيء غريب ، وماذا صنعت ؟
- ارمان - اغمي عليها .
- لويس - ياللمسكينة !
- ارمان - هل ادركت الآن ان هناك مشكلة ؟
- لويس - على التأكيد .
- ارمان - هناك حواجز تمنع بعض النساء من معاناة ما يجب ان يعانينه .
- لويس - يجب ازالة هذه الحواجز .
- ارمان - ولكن هذه قضية اجتماعية .
- لويس - نعم . ثم انظر الى ساعة الحطة فهي صامتة .
- ارمان - لقد سبق لك أن أبديت لي هذه الملاحظة .
- لويس - ظننت أنك لم تلتفت اليها .
- ارمان - كلا .
- لويس - فهي على النقيض تماماً من الساعة الناطقة التي لا تكف عن الدق والنطق .

ارمان - وهذا شبيه بما في الحياة: بعض الناس كالساعة الأولى والبعض الآخر كالثانية.

لويس - أعرف شخصاً يتمثل الجحيم في أن يحكم عليه بالاستماع دوماً الى ساعة ناطقة.

ارمان - هذا جائز ، فالأمر يتعلق بالمزاج اذ يمكن لآخر أن يقول لك ان الجحيم

يتمثل له في أن يكره على الاستماع دوما الى صوت ناعورة تمتلئ بالماء
ثم تفرغه ، وهذا شيء أكثر فظاعة ، ثم هناك الرطوبة أيضاً .

لويس - هذا صحيح.

ارمان - لو لم يكن القطار متأخراً لكنت سافرت منذ مدة.

لويس - نعم فنحن هنا ننتظر منذ ثلاثين دقيقة .

ارمان - وتكون أنت قريباً جداً من بيتك .

لويس - تقريباً .

ارمان - لقد أمضيت يومين جميلين .

لويس - ارجو ألا يكون قد أصابك الضجر .

ارمان - اتريد المزاج ؟ امرأتك رائعة .

لويس - وهي لطيفة ، اليس كذلك ؟

ارمان - لقد أدركنا احاديث ممتعة .

لويس - ارجو ان تكون بريئة .

ارمان - آه . كلا ، ان نساء الاصدقاء مقدسات .

لويس - اقول ذلك على سبيل المزاح .

ارمان - ثم اني اجد خيراً كثيراً في معرفة نساء يمكن التحدث اليهن دون

التفكير بالجنس ، هذه لذة وتفوق لذة التحدث الى الرجال .

لويس - لذلك يجب ان يختار الرجل للزواج امرأة تتقن فن الحديث حتى يستطيع

تمضية الوقت معها بعد القيام بالواجبات الزوجية .

ارمان - انا اجد العكس هو الافضل . يجب الزواج بامرأة من اجل الواجبات

الزوجية والبحث عن متعة الحديث عند نساء اخريات .

- لويس - هل تعتقد ذلك ؟
- ارمان - نعم ، فالمرأة لا يسيئها ان تذهب احياناً لتتحدث الى امرأة اخرى . اما اذا ذهبت تتلمس شيئاً آخر .
- لويس - ولكن ستجد اخريات يقلن أنا لا اصلح اذن الا للفراش .
- ارمان - المثاليات نادرات جداً .
- لويس - وانت ان تزوجت هل تنشد في امرأتك الناحية الجنسية اولاً ؟
- ارمان - نعم شريطة أن تكون المرأة جميلة جداً ، وفي هذه الحالة سيكون وقت الحديث محدوداً .
- لويس - وهل ستكون مخلصاً لزوجتك . في فضول شديد لمعرفة ذلك .
- ارمان - وهل انت مخلص لزوجتك ؟
- لويس - نعم ، فأنا اشعر أني مضطر لذلك اضطراراً لأن امرأتي لاقت صعوبات حتى استطاعت ادخالي في اسرتها .
- ارمان - هذا صحيح .
- لويس - ثم ان محاولتي العبث تعطي حماتي حججاً اذ ستقول لأمرأتي : « رأيت لو تزوجت دركياً لكان خيراً لك » .
- ارمان - اذاً انت تقوم بمحاولات بعض الاحيان .
- لويس - انت تعرف واقع الامر . نحن الرجال حساسون بالنسبة للجمال .
- ارمان - وهل تنجح ؟
- لويس - نعم .
- ارمان - وهل تغار امرأتك ؟
- لويس - هذا امر طبيعي بعد الجهود التي بذلتها حتى اصبحت فرداً من العائلة .
- ارمان - هل ترى ذلك ؟
- لويس - نعم ، اني اضع نفسي مكانها فهي دوماً وجهاً لوجه امام امها .

ارمان - نختمعنا أقيم على اسس فاسدة . يجب اباحة تعدد الزوجات .

لويس - يكفي ثنائية الزوجة .

ارمان - ربما يداخل زوجتك القلق بسبب تأخرك في العودة الى المنزل .

لويس - اوه كلا . فهي تعرف اين انا الآن . انها تقلق في المساء بعد الخروج من

المكتب . نعم ، انت تعلم ماذا يجري في مكاتب باريس . فالمرء يعيش في اكثر

الاحيان مع نساء جميلات فاذا اريد التهادي في العلاقات فالشيء الطبيعي

ان يكون ذلك بعد الانصراف من العمل .

ارمان - اعلم ذلك هذه عادة شعبية : المواعيد بين الخامسة والسابعة .

لويس - ولذلك فان زوجتي تراقب موعد عودتي وتأني بعض الاحيان تنتظرني

عند الانصراف .

ارمان - وهذا من اخلاق المكتب ، انه شيء اجتماعي ايضاً .

لويس - نعم .

ارمان - ويسدو الامر في منتهى الغرابة عندما يفكر فيه الانسان فكثير من

الناس يقضون مع زملائهم في المكتب وقتاً اكثر مما يقضونه مع

عائلاتهم . فكر في شخص له صديقة بين الواطي يعمل معهن في المكتب .

لويس - نعم .

ارمان - فهنا يقضيان الصباح معاً . يتغامزان ، يضغطان بالايدي عند تبادل

الملفات ويتبادلان القبلات في الزوايا ما استطاعا الى ذلك سبيلاً .

لويس - هذا تعبير مضحك : تبادل القبلات في الزوايا ، فهو يعني ايضاً ، في زوايا

الغرفة كما يعني في زوايا الأنف والفم والاذنين والعنق والصدر .

ارمان - انه تعبير له معنيان .

لويس - وهو يتصل بالحب .

ارمان - نعم ، كل ماله معنيان يت الى الحب . ثم انهما يتناولان الطامام معا في الظهيرة ، وبعد ذلك يقومان بنزهة العشاق في حديقة عامة ، او يتناولان شيئاً في مقهى اذا كان الطقس رديئاً .

لويس - ماتقوله هو الحق .

ارمان - ويستأنفان بعد الظهر هذه المغازلات . وفي الساعة الخامسة يخرجان معاً ايضاً ، وبهذه الطريقة يمكن للحب ان يدوم طويلاً . فلا هموم ولا مشاكل مادية او عائلية . والوقت الذي يقضيانه في منزلها فانها يقضيانه في النوم .

لويس - انت على حق تماماً .

ارمان - وهذا يفسر لنا نظرة بعض الأزواج الشرعيين الى يوم الاحد فهو بالنسبة لهم اسوأ أيام الاسبوع .

لويس - وسبب كل ذلك هندسة البناء .

ارمان - انا لا أتبين تماماً ماتقصد من قولك هذا .

لويس - لو ان باريس ارتفعت نحو الأعلى بدلاً من ان تنبسط ابنيها لكان في مقدور الناس ان يعودوا ظهراً الى بيوتهم لتناول الغداء .

ارمان - خذ ، لقد وجدت شيئاً .

لويس - ماهذا ؟

ارمان - دبوس .

لويس - آه ، نعم ، لا أدري اذا كنت انت ايضاً قد لاحظت ، فهناك شيء لا يمكن العثور عليه .

ارمان - ما هو .

لويس - حوالة قديمة .

ارمان - آه !

لويس - اذ يمكنك العثور على حوالة لم تصرف . ولكن لا يمكن ابدأ العثور على حوالة مستعملة .

ارمان - وعلى أي شيء يدل هذا ؟

لويس - يدل على أن الدائرة التي يدور فيها المال دائرة مغلقة تماماً .

ارمان - آه هذا جائز . انظر ، الساعة الآن الثالثة واربع وعشرون دقيقة ، بقي لنا اربع عشرة دقيقة انتظار .

لويس - واخيراً بدأ الوقت يمضي بسرعة .

ارمان - نعم .

لويس - امر غريب ان يشعر المرء باضطرابه ليجري الحديث في محطة ، اذ لا يمكن ان يجري في منزلي حديث دسم كهذا في مثل هذه البرهة القصيرة من الزمن .

ارمان - هذا اكيد ، ولعل مرد ذلك الى جو المحطات .

لويس - وهذا سر ايضاً من اسرار طرق المواصلات (يدق الجرس) آه ، انه يعلن عن قدوم قطارك .

ارمان - هل تعتقد ذلك ؟

لويس - نعم ، نعم ، انهم يعلنون دوماً عن القطارات قبل وصولها بثاني دقائق او تسع .

ارمان - مصلحة الخطوط الحديدية ادارة منظمة .

لويس - نعم .

ارمان - يحدث بعض التأخر ولكن ذلك يجعل القطارات اكثر انسانية .

لويس - ثم انه لاشيء يشير الدهشة اذا تأخر بين وقت وآخر ، سائق القطار ، او المفتش ، او احد عمال المحطة ، وسبب ذلك تأخير القطار .

ارمان - وهذا التأخير يحدث دوماً في المكاتب .

لويس - ولكنه لا يلاحظ هناك ، فالمكاتب تبقى في مكانها ، آه لو انها كانت مضطربة للتنقل في مواعيد محدودة .

ارمان - وعندها تدخل في حالة الخطوط الحديدية .
لويس - والذي يعجبني كثيراً في الخطوط الحديدية لون الارصفة . انه ليس بلون
الارض العادي هذا اللون الوردي .

ارمان - والحدائق الصغيرة في المحطات جميلة ايضاً .
لويس - نعم ان عبق الشعر يفوح في المحطة .
ارمان - نعم ، العصافير تأتي دوما الى المحطة في الوقت المناسب ، تلتقط الفتات التي
يلقيها الناس من نوافذ العربات ، وهي تطير بجمر دوصول القطار ، وفي الجهة
المناسبة ، اني اجدتها رائعة جداً ؟

لويس - نعم .
ارمان - اتدري بما تذكرني هذه العصافير .
لويس - كلا .

ارمان - تذكرني بالعصافير التي تأتي لتنظيف أسنان التماسيح .
لويس - آه هذا شيء جميل .
ارمان - هاهي مخلوقات صغيرة ، وهي شجاعة ايضاً .

لويس - أرى ذلك جيداً . والملاحظ كما اعتقد أن التماسيح تسمح لها بالوقوف
لان لها نفعاً ، وهذا يخفف الخطر بالنسبة للعصافير .

ارمان - هذا مفهوم ، ولكنك تعرف نفسية الكبار فان مجرد شهقة أو تئؤب
تكفي للقضاء على العصفور ، وهناك أيضاً ضعف الذاكرة ، فقد تنسى
التماسيح أنها ترد معروفاً للعصافير فتحسبها شيئاً آخر وعندئذ على
العصفور السلام .

لويس - هذا شيء مؤكد .
ارمان - وأنت تعلم أن هذه العصافير ذكية جداً . لها ذاكرة عجيبة تعرف بها
موعد وصول القطار .

لويس - هذا جائز جداً ، للحيوانات ذاكرة قوية .

ارمان - والملاحظ أن هناك أشخاصاً يملكون ذاكرة عجيبة . فقد خطر لي منذ مدة حادثة غريبة ، جرت الحادثة في برلين زمن الاحتلال . فقد أخطأ جنديان طوح بهما السكر منزلها وأيقظا السكان في منتصف الليل ودخلا المنزل وفجأة قفز أحدهما على ساعة الجدار في غرفة الطعام وهو يصيح : « آه يالأولئك القذرين ، هذه ساعة جدتي ، لقد سرقوها سنة ١٩١٤ » وخرج يحملها وهو يهدر كالجنون .

لويس - وهل هي حقاً ساعة جدته ؟

ارمان - آه ، كلا لا أظن ذلك وعلى كل حال فقد كان صغيراً جداً حتى يستطيع التعرف عليها ، والغريب انه فكر فيها بعد ثلاثين سنة وفي مثل هذه الحالة .
لويس - انظر هذه النحلة ، يالها من دقة رائحة في الشكل ، وهي حيوان يملك حساً عملياً أيضاً .

ارمان - نعم ، لقد تعرفت الى امرأة كنت ادعوها : نخلتي .

لويس - لماذا ؟ هل كانت تخزك ؟

ارمان - كلا ، كانت تسمي مساً خفيفاً .

لويس - ماذا تقصد بقولك هذا ؟

ارمان - امرأة لها مظهر من يدور حولك دوماً حتى ولو كانت على بعد منك ، وكأنها تحاول الجني .

لويس - آه ، فهمت قل لي أنها تحسبك زهرة ؟

ارمان - هناك أشخاص محظوظون رغم كل شيء . انظر هذا الرجل الذي وصل الآن فسوف لا يفوته القطار .

لويس - وهذا يعني ان الاصرار يلاقي بعض الاحيان ما يستحق من مكافأة .

ارمان - تريد أن تقول العناد ، أنا أجد ان التأخر ثم الاحاق بالقطار شيء ينافي
الذوق ، أنا لا أحب كل ملحاح عنيد .

لويس - ومن جهة أخرى اذا أفرطت في الرصانة فستكون ضحية لا يشعر بك أحد .
ارمان - ثم انظر الى سيئاته كيف يجد أن هذا أمر طبيعي . هناك أناس تظهر
عليهم سيئات الشكر .

لويس - ومن يشكرون ؟

ارمان - لا يشكرون أحداً . ولكن ترى على وجوههم بسملة الشكر .
لويس - اتفقنا اذاً .

ارمان - تصور لو ان تلك المرأة الشابة وصلت متأخرة فالامر سيكون في غاية
الروعة ، انها ستكون مرحلة بادية النشاط طوال الرحلة من الناحية
النفسية والجسمية . وفجأة تأخذ في التمدد والارتخاء ، وترسم على
وجهها ابتسامة جميلة ، ثم تصلح من شعرها وتتففس الصعداء . ياله
من مشهد رائع !

لويس - الظاهر انك على حق .

ارمان - وفي تلك الحالة (بين قوسين) يصبح امر منازلها لعباً من لعب الاطفال ،
ذلك لا ادري اذا كنت لاحظت كم من السهل الدخول في حديث مع
المرأة التي يبدو عليها النشاط .

لويس - آه ، نعم .

ارمان - والمرأة تعرف ذلك جيداً . من اجل ذلك ترى في الشارع كثيراً من
النساء لا تحمّل وجوههن اي تعبير ، فهن يخشين ان يفيد الرجال من
ذلك ويحاولون التعرف اليهن .

لويس - ملاحظتك هذه تحمل كل الحقيقة والحكمة .

ارمان - ثم انه لامر مربك عسير على المرأة ان تصحب معها كلباً . فهو دوماً
سبب الاثارة . فالحيو ان يأخذ في شم ما لا يجب شمه ، يقف حيث لا يجب
الوقوف ويسير في عرض الطريق ، وعندها تخرج المرأة عن رزاتها وجمودها
ويدب فيها النشاط فتتبع للرجل سبل التحدث اليها .

لويس - انك شديد الملاحظة .

ارمان - والذي يعزيني ان ذلك الرجل يتصبب عرقاً .

لويس - والملاحظة أن التعرق ليس بالامر السيء ، انه يطرد السموم فالحياة
قد صنعت صنعا حسنا . وانت ترى ان الاغنياء يستطيعون ان يمدوا
بحياتهم لو انهم تعرقوا اكثر مما يتعرقون .

ارمان - هذا صحيح . ولكن المصيبة ان التعرق يطيل حياة الذين لا يهمهم ان
تطول حياتهم .

لويس - اوه ، قل لي ، هناك رمز في المحطات نسيناه مع انه رمز مشهور .

ارمان - وما هو ؟

لويس - موظف المصاييح ، نعم ، لقد نسيناه ، ذلك الذي يعنى بالمصاييح مع انه
رمز مشهور .

ارمان - انه رمز قومي .

لويس - وربما كان رمزاً عالمياً .

ارمان - هذا ممكن جداً .

لويس - لماذا خصصت موظف المصاييح بالرمز دون الموظف الذي يثقب البطاقات مثلاً

ارمان - انه اجمل . ثم ان النور يجذب دوماً .

لويس - نعم .

ارمان - والواقع ان موظف المصاييح ، على النطاق الاجتماعي ، هو الذي يحمل الشموع .

لويس - تقريباً .

ارمان - والملاحظ ان هناك تقدماً مع ذلك ، فخير للمرء ان يحمل الشموع من ان يكون عبداً .

لويس - نعم ، فمن حسن الحظ ان هناك تقدماً ، ذلك ان بعض الناس يجري حس التقدم في دمائهم ، يحبون التقدم حبا جما ، وفي معاملنا رجل تقديمي .

ارمان - آه !

لويس - انه يملك فكراً تقديمياً ، في العمل عامل ثقيل السمع وآخر ضعيف النظر .

ارمان - نعم .

لويس - وهما يعملان معاً فأحدهما يملئ والآخر ينسخ . وكان الذي لا يرى جيداً هو الذي يملئ على قليل السمع كانت تحدث عندئذ مشاجرات وتكثر الأخطاء . ثم طرأت فكرة للرئيس التقديمي بأن يعكس الامر ، وكان من العسير اقناعها بالقبول . لان كلا منها قد الف عمله ، ولكن اخيراً توصلنا للقبول ، والآن تسير الامور على خير وجه . فشبه الاصم يملئ والذي لا يرى جيداً يكتب .

ارمان - ولكن اين التقدم ؟

لويس - حسناً ، فليس على شبه الاصم من خرج عندما يملئ سوى انه ربما تحدث بصوت عال وهذا كل شيء . اما الذي لا يرى جيداً فيستطيع ان يرى ما يكفي لنسخ ما يملئ عليه وهذا تقدم رائع عظيم .

ارمان - ماتقوله هو الحق .

لويس - هل ترى كيف اننا انتقلنا بصورة آلية الى الأحاديث الجديدة .

ارمان - آه ، انظر الى الساعة لقد تجاوزت الدقيقة الثانية والثلاثين ولم يبق الا ست دقائق انتظار .

لويس - نعم، ومن جهة أخرى فأننا نكاد نحس قرب السفر . فالحطة تشهر
ايضا بقدوم القطار .

ارمان - بواسطة الاهتزاز .

لويس - نعم ، وهذا شيء غريزي بالنسبة اليها .

ارمان - ربما .

لويس - هاهو قطارك على ما اعتقد .

ارمان - تريد ان تمزح ؟

لويس - كلا هو واجزم انه هو .

ارمان - اين هو ؟

لويس - هناك في نهاية الخط على اليمين .

ارمان - لا ارى شيئاً .

لويس - بلى . بلى . نقطة سوداء كبيرة فوقها سحابة بيضاء .

ارمان - الدخان ؟

لويس - نعم .

ارمان - ولكن القطار يكون عندئذ قد تقدم عن موعد تأخره .

لويس - كلا ، خط اليمين طويل يستغرق اجتيازه دقيقة كاملة .

ارمان - صدقنا ، ولكن يبقى هناك اربع دقائق أخرى .

لويس - لقد نسيت أن القطار يمضي دقيقتين في الحطة .

ارمان - أرى أنه قادم حقاً .

لويس - وهذا يذكرني بالمسائل التي كانت تطرح علينا في المدرسة ، قطار

يقطع (٥٥) كيلو مترا بـ (٥٥) دقيقة فكم يقطع في الساعة ؟

ارمان - ستين كيلو متراً .

لويس - آه ! ولكن مازلت تذكر ذلك ، ثم كم يحتاج من الزمن ليقطع كيلو مترا واحدا .

ارمان - دقيقة واحدة .

لويس - أ رأيت الى هذا التوافق ؟

ارمان - والآن اصبح يرى بسهولة ، ولكن ربما كان قطارا آخر ،

لويس - لا أظن .

ارمان - أو أنه قاطرة بمفردها .

لويس - كلا ، الا ترى ان جميع الناس قد انتصبوا واقفين على الرصيف .

ارمان - هذا لا يدل على شيء . ان الناس يأملون عبثاً في أكثر الاحيان .

لويس - سنراه يخفف من سرعته .

ارمان - آه يجب ان اقترب من المرأة الشابة .

لويس - الا ترى انه أبطأ في سيره .

ارمان - حقاً ، تعال من هنا .

لويس - نعم (يدخل القطار المحطة) اوه أنظر ان قاطرتك جميلة .

ارمان - نعم ان لها طابعاً جدياً . واخيراً سأقول لك يا صديقي الى الملتقى .

لويس - نعم

ارمان - سنلتقي مرة أخرى في باريس بعد العطلة .

لويس - سنرسل لنا كلمة وستخبرني اذا كان حديثك مع المرأة الشابة قد أدى

الى نتائج سارة (يقف القطار) هيا اصعد الى القطار .

ارمان - وعلى كل حال انها امرأة وحيدة وليست زوجة سائق قطار .

لويس - اني اقدم كل احترام وتقدير لكائك وفطنتك .

ارمان - الى الملتقى (يصعد الى القطار) .

لويس - الى الملتقى ، الدرجات عالية .

ارمان - سنعود الآن الى منزلك لتدخل على امرأتك الهدوء والطمأنينة .

لويس - كلا ، سأنتظر حتى ينطلق القطار . انت تعلم انه بعد هذا الانتظار الطويل يمكن حتما ان انتظر دقيقة اخرى .

ارمان - على التأكيد .

لويس - ثم اني لا أشعر اني رافقت شخصاً لوداعه اذا لم أراه يذهب أمامي .

ارمان - نعم ليتني الشك في احتمال العودة .

لويس - لم أقصد الى هذا أبداً .

ارمان - يمكن ان ينسى الانسان شيئاً فيذكره في اللحظة الاخيرة ويعود ليبحث عنه .

لويس - ألم تنس شيئاً ؟

ارمان - كلا على حد علمي .

لويس - وعلى كل حال فانه لن يضيع ، سنحفظه لك ، أليديك مفاتيحك ؟

ارمان - نعم .

لويس - حقاً ، اني أحب كثيراً أن ارى الاشخاص الذين أرافقهم يسافرون أمامي ، وأبقى حتى يغيب القطار عن الأنظار .

ارمان - أنت خيالي عاطفي ، ثم بلغ امرأتك شكري على لطفها وحسن وفادتها .

لويس - هل ترى ذلك ؟

ارمان - وشكري لك أيضاً بهذه المناسبة .

لويس - انك لتمزح .

ارمان - كلا .

لويس - وشكراً لك أيضاً من أجل النبيذ المعتمق الذي قدمته لنا ، لقد كان نبيذاً فاخراً .

ارمان - لم يكن شيئاً يذكر فهم يأتون به الى العمل في البراميل ، ونحن نفرغه في الزجاجات .

لويس - هذا لا يغير شيئاً من قصدك الحسن ،
(يصفر القطار)

ارمان - آه ! والآن حان الموعد .

لويس - نعم على ما اظن .

ارمان - أجل ، لقد حان الموعد .

لويس - كل شيء على مايرام يا صديقي .

ارمان - نعم ، كل شيء على مايرام ، ها قد سار القطار .

(يتحرك القطار)

لويس - هل نظرت الى الساعة ؟

ارمان - نعم

لويس - الساعة الثالثة و (٣٨) دقيقة على الضبط .

ارمان - ثلاثون دقيقة تأخير التي أعلن عنها .

لويس - من المفاد ان ترى قطاراً يصل في موعد تأخره ،

ارمان - نعم .

لويس - الى الملتقى يا صديقي ،

ارمان - الى الملتقى .

لويس - سفراً سعيداً ،

ارمان - شكراً .

لويس - تمتع جيداً .

ارمان - وأنت ايضاً

لويس - أوه ! انت تعلم !

— انتهى —

الكتاب والموضوعات

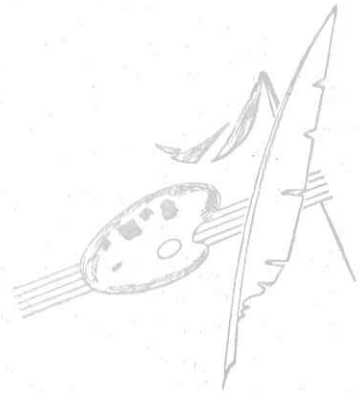
● الفن معرفة

للدكتور سامي الدروبي

● الموسيقى العربية

وأصداؤها الحقيقيون

نجاة قصاب حسن



الفنون

الفن معرفة

للدكتور : سامي كروويجي

العلم والفن ينشدان كلاهما المعرفة . ولكن معرفة العلم تختلف عن معرفة الفن . فالعلم علم بالكليات ، والفن ادراك لمفردات .

وقد نتوهم أن الفرق بين العلم والفن هو أن المعرفة العلمية تنفذ إلى باطن الشيء ولا تكتفي بظاهره ، في حين أن معرفة الفن تقف من الشيء على سطحه دون أن تغوص إلى أعماقه ، قائلين إن العالم الذي ينظر إلى تفاحة ، يمضي إلى ما وراء الشكل منها والألوان ، يمضي إلى المادة التي تتألف منها ، فيحللها ويطلع على قوانين اجتماع بعضها إلى بعض ، في حين إن الفنان لا يعرف من هذه التفاحة إلا شكلها وأوانها . فهذا ما ذهب إليه بعض الباحثين . يرى فكتور باش أن التأمل الفني إن كان وقفة على الشيء وتلبسا عنده ، فهو يختلف عن الوقفة التي يقفها العالم ، لأنه وقفة على ظاهر الشيء دون النفاذ إلى داخله ، هو وقفة على المظهر ، على الصورة على الشكل دون البنيان الداخلي . (١) والذين يقررون هذا الرأي يريدون أن

(١) باش ، أم المسائل « في علم الجمال » ، في كتابه « دراسات في علم الجمال والفلسفة والأدب » ص ٤٥ - ٧

يخرجوا الفن من نطاق معرفة الواقع . والحق أن نظرتهم الى الواقع تنقص الواقع وتحذف منه . فكأنهم لا يمدون الاشكال والالوان جزءاً من الواقع ، وانما يرون انها شيء مضاف اليه ، ملحق به ، كأنهم يرون أن طول الموجة هو الواقع من امر اللون ، اما صفته اللونية فليست من واقعه . ولكن اللون والشكل جزء من الواقع قد لا يكون اقل اجزائه خطورة شأن ، لا من حيث الفائدة التي تجني منه طبعاً ، بل من حيث المعنى الذي يدل عليه ويشف عنه . فاذا اردنا اللون والشكل الى حلبة الواقع ، ارجعنا الفن الى نطاق المعرفة .

فالفن معرفة . وهو بمعنى من المعاني اكمل من معرفة العلم لانه لا يلقي المعرفة العلمية ، بل يمتصها ، ثم يضيف اليها ما استبعدته . واذا كانت المعرفة العلمية تقصر هذا النوع من التقصير عن ادراك الواقع كما هو ، فلانها تبحث في الاشياء عن الصفات المشتركة التي بينها ، فتصنف هذه الاشياء في انواع ، ولا تنظر الى كل شيء ، على حدة ، في ذاته ، وانما تتكئ عليه من اجل الوصول الى القانون العام لتسخيره بعد ذلك فيما يفيد .

والمعرفة العادية اخت المعرفة العلمية في هذا ، من حيث ان العمل أهمها كليتها . اننا في حياتنا اليومية لاندرک الاشياء في اصالتها وتفردها ، بل فيما هي متشابهة فيه ، بغية التعرف عليها وتسميتها والتلاؤم معها ، ونحن بذلك نسدل على واقعها الفردي ستاراً . ولا كذلك الفنان فهو يرى الشيء في ذاته ولذاته ، لا يحول بينه وبين النقاب الذي اسدله على الشيء ميل في العقل الانساني الى رؤية العناصر المتشابهة في الاشياء من اجل تسخيرها . وهو بعد أن يرى هذا الشيء ، يعبر عنه في اثره الفني ، ومن خلال هذا الاثر الفني انما نرى نحن ذلك الشيء سافراً غير محجوب .

ولكن ما الذي يراه الفنان ؟

هل الفنان هو ذلك الذي ينظر الى الشيء المفرد في ذاته ولذاته لا يزيد على أن يرى شكله والوانه وخطوطه كما تبدو للناظر العادي حين يتفرس هذا الشيء وينعم النظر فيه ، ويتوقف على كل جزء من اجزائه حريصاً على ان لا يفوته أى واحد منها ، فلا يدع تفصيلاً من تفاصيله الا ويسجله ؟ هل الذي يراه الفنان ويزيح الستار عنه هو ما تراه عدسة ممتازة من عدسات آلات التصوير ، عدسة مثالية ، تنقل الشيء الذي تجتازها اشعته الى الورق الحساس نقلاً يبلغ غاية الامانة ، فاذا بصورة هذا الشيء تنطبع على هذا الورق الحساس . (لنفرض انه حساس حساسية مثالية) تماماً كما يبدو للعين العادية اذ تنظر فيه ملياً وتأمله طويلاً ! الحق ان الصورة الفوتوغرافية الامينة التي التقطت للشيء والتي تفرغ من تحقيق كمال ما تهدف اليه حين تمثل لك هذا الشيء كأنك تراه ماثلاً امامك ، انما تردك الى هذا الشيء نفسه ، فان أنت نظرت الى هذه الصورة « الكاملة » بعينك ، عين الانسان العادي ، لم ترفها غير ما كنت تراه في الشيء ذاته ، وان أنت نظرت اليها بعين الفنان رأيت فيها ما استطعت أن تراه في الشيء ذاته باذراكك الفني . وهكذا فان الصورة الفوتوغرافية لا تكون قد خطت بنا أية خطوة في العملية الفنية ، ويكون علينا أن نبدأ هذه العملية من اول طريقها ، أعني الادراك الفني أولاً ثم التعبير عن المدرك ثانياً بحيث يزاح عنه الحجاب . كذلك يكون شأن الرسام (وهو لا وجود له) الذي ينقل اليك الشيء في تفاصيله كما قديماً للعين العادية حين تنعم النظر لتلاحظه جزءاً جزءاً ، ذلك أن المصور ، رغم أنه قديماً قد تلبث على الشيء ، لم يستطع أن ينفذ اليه ، وانما ظل يرمقه من خارج ، شأنه شأن الفوتوغراف . إنه يعوزه التواصل مع هذا الشيء ، يعوزه التجاوب الذي اذا اقبل به عليه . أفضى اليه بسره وسمح له ان ينفذ الى صميمه ويشار كه حياته ، أتاح له أن يعرف معناه . ومن هنا قال ليوناردو

دافنشي: « ليس فن المصور أن يتناول جزءاً جزءاً من اجزاء الموديل لينقله الى قماشه ،
وليمثل بهذه الاجزاء واحدة واحدة مادة الموديل . ولا هو كذلك رسم فؤج مجرد غير
شخصي يصير فيه الموديل الذي يُرى ويلبس الى شيء نظري غامض . وانما الفن
الحق يرمي الى تصوير فردية الموديل ، وهو من أجل هذا يبحث ، وراء الخطوط
التي ترى ، عن الحركة التي لاتراها العين ، ووراء هذه الحركة نفسها عن شيء
أخفى منها أيضاً ، عن النية الاصلية ، عن الصبوة الاساسية التي تربض في الشخص
وهو معنى بسيط يعادل كل الفن اللامتناهي الذي للاشكال والألوان » ومن هنا
كان رودان يشتكي مر الشكوى من أن « زبائن » الفنانين الكبار الذين يكلفون
الرسام العظيم بتصويرهم أو يكلفون المثال العظيم بصنع تمثال لهم ينسكبون الوجه
أو التمثال ولا يرون بينه وبينهم شياً ، في حين أن ما يصنعه لهم من ذلك صغار
الرسامين أو المثاليين المتاجرين يرضيهم ويعجبهم . ذلك أن الفنان الكبير لا ينتبه الى
الظاهر مستقلاً عن الباطن ، بل ينفذ من خلال الظاهر الى الباطن ، والمرء يحبل
نفسه التي اكتشفها الفنان الكبير وعبر عنها ، أو هو يريد ان يجلبها على شعور
منه بذلك أو على غير شعور . فنحن لانعلم من أمر أنفسنا ما قد يعلمه فنان نفذ اليها .
قال رودان : « .. ليست الخطوط والالوان بالنسبة اليها إلاعلامات حقائق مخبئة .
إن نظراتنا تقوص الى الروح الكامنة وراء السطوح ونحن حين نرسم السطوح بعد
ذلك نغميها بالمضمون الروحي الذي تشتمل عليه . ينبغي للفنان الجدير باسم الفنان
أن يعبر عن كل حقيقة الطبيعة ، لاحقيقة الظاهر فحسب . بل حقيقة الباطن
أيضاً وخاصة . فحين ينحت المثال القدير جذعاً انسانياً ، فانه لايمثل العضلات
فحسب . وانما هو يمثل ايضاً الحياة التي تحرك هذه العضلات ... بل انه لايمثل
هذه الحياة فحسب ، بل يمثل ايضاً الطاقة التي أضفت على هذه العضلات شكلها

وبثت فيها الرشاقة أو القوة أو الحنان أو العنف ... والفنان الذي يرسم مناظر الطبيعة يمضي الى أبعد من هذا ايضاً ، فهو لا يرى انعكاس الروح الشاملة في الاشياء المتحركة فحسب ، بل يراها كذلك في الاشجار والادغال والسهول والروابي . فالشيء الذي ليس في نظر عامة الناس إلا خشباً وتراباً يبدو للفنان الكبير الذي يصور مناظر الطبيعة كأنه وجه كائن كبير . كان كورو يرى الطبيعة منشورة على قمم الاشجار وعشب السهول وماء البحيرات ... (١) . وقال رودان أيضاً : « الجسم الانساني هو مرآة النفس أولاً وقبل كل شيء . ومن هنا يأتي جماله كله . إن مانجه في الجسم الانساني هو الشعلة الداخلية التي يبدو لنا انها تضيئه شفوقاً ، أكثر من شكله الجميل كل هذا الجمال (٢) » . وقال ايضاً : « واذا لم يصور الفنان الإقسامات سطحية كالتى تستطيع أن تصورهما الفوتوغرافيا ، اذا نقل نقلاً دقيقاً مختلف خطوط الوجه ، دون أن يردّها الى نفس ، لم يستحق الإعجاب . والشبه الذي يجب أن يحصل عليه الفنان انما هو الشبه بالنفس ، فهذا الشبه بالنفس هو الامر الهام ، هو ما ينبغي للثال أو المصور أن يمضي باحثاً عنه وراء الوجه . وبكلمة واحدة أقول : إن جميع القسمات يجب أن تكون معبرة أي مفيدة في الكشف عن شعور (٣) » .

فما يدركه المصور ليس هو اذن فقط ما قد تدركه العين العادية حين تتوقف على الاشكال والالوان توقف عدسة التصوير عليها ، وانما هو ايضاً المعنى المتفرق خلال هذه الالوان والاشكال . ولما كان المعنى هو من صلب الاشكال

(١) رودان « الفن » ص ٢٦٣ - ٢٦٥ .

(٢) المرجع المذكور ص ١٧٢ .

(٣) المرجع السابق ص ١٨٦ - ١٨٧ .

والالوان ، لايفصل عنها وانما يتجلى فيها ولا سبيل له الى الظهور إلا بها ، كما
لاتتجلى الروح إلا بالجسد ، فمتى زال الجسد غابت الروح عن مجال الادراك ،
كان الفنان يتلبث على هذه الاشكال والالوان لا من حيث هي ثوب للروح أو
غلاف ، وانما من حيث هي الروح ذاتها وقد تجسدت فأصبح في الامكان ادراكها .
ان الفنان لايفصل الروح عن الجسد الذي تتجلى من خلاله ، لذلك فهو في اللحظة
التي يدرك فيها الاشكال والالوان يدرك الروح . ولعل الذي يميزه عن الانسان
العادي هو أن هذا يستطيع حين انعام النظر في الشيء من خارج أن يعزل شكله
وألوانه عن الروح التي فيه ، فيتصور تلك قائمة بغير هذه ، تماماً كما يفعل حين
تكوين المعاني العامة باستخراج العناصر المشتركة بين الاشياء ثم يروح يتعامل مع
هذه الاشياء على أساس مختصراتها العقلية تلك لتسهيل التأثير فيها وتسخيرها ، في
حين أن الفنان يرفض ذلك العزل ، فهو لا يرى روح الشيء إلا متجسدة في
شكله ولونه ، ولكنه لايتوقف على الشكل واللون ليرى أجزاءهما مبعثرة
وإنما هو يرى الشيء موحداً بالروح التي يعبّر عنها . وهو عندئذ يستطيع بل
يجب عليه حين يريد أن يعكس هذه الروح أو هذا المعنى أن يقف وقفة خاصة
على العناصر الفذة في هذا الشيء ، العناصر التي تشف عن المعنى أكثر من
غيرها وأن يدع ماعداها في الظل أو أن يغيّبها تماماً ، ليوفر في أثره من
الشفوف ما لم يتوفر في الشيء نفسه أمام العين العادية . فلعل كل فنان يلعب
لعبة رامبرانت على طريقته الخاصة .

وعلى هذا الاساس نفهم ذلك الحوار الذي قام بين رودان وصاحبه (١) :

(١) هو بول جزيل الذي سجل ملاحظات رودان وآراءه في الكتاب الذي حمل اسم
رودان والذي سبق الاستشهاد بنصوه .

— اني أخضع للطبيعة في كل شيء ، ولا اطمع في أن آمرها . كل ما اطمح اليه هو أن أكون أميناً لها كل الامانة .

فاجابه صاحبه :

— ولكنها ليست الطبيعة كما تتجلى في آثارك

فقال رودان :

— بل هي كذلك

— انك مضطر الى تغييرها

— أبداً . اني لا ايسح لنفسي ارتكاب هذا الاثم

فقال له صاحبه :

— ولكن خير دليل على انك تبدلها هو أن « Le moulage

لا يعطي نفس الاثر الذي يعطيه نحتك .

— هذا صحيح . ولكن مرد ذلك الى أن الصب اقل صدقا من

نحتي (....) ان الصب لا يمثل الا الظاهر الخارجي ، اما انا فأمثل عدا ذلك الروح ، التي هي أيضاً جزء من الطبيعة ، من غير شك . اني ارى الحقيقة كلها ، لا السطح وحده ، اني من اجل ذلك أبرز الخطوط التي تشف عن الحالة الروحية اكثر من غيرها .

قال رودان ذلك ثم أشار بيده الى تمثال من أجمل تماثيله : فتى راكع قد

رفع يده الى السماء ضارعا مبتهلا . القلق يسري في كيانه كله ، جسمه منقلب الى وراء ، صدره منتفخ ، عنقه مشدودة في يأس ، يداه مندفعتان نحو مجهول تريدان أن تتشبثا به ، وقال :

— أنظر ، لقد ضخمت بروز العضلات التي تعبر عن الحزن ، هنا ، وهنا

وهناك .. (وراح رودان يدل باصبعه على الاجزاء العصبية من تمثاله) .

فقال له صاحبه :

— من فك أدينك . ها أنت ذا نفسك تقول انك ضخمت ، ومعنى ذلك انك بدلت الطبيعة .

— لا ، لم ابدل ، أو قل بالاحرى أن ما أحدثته من تبديل لم اقصده حين أحدثته . ولكن العاطفة التي اثرت في رؤيتي قد اظهرت لي الطبيعة على نحو ما نقلتها . ثم قال بعد لحظة .

— انني أوافقك على أن الفنان لا يرى الطبيعة كما يراها العادي ، لان عاطفته تكشف له عن الحقائق الداخلية وراء الظواهر ، ولكن المبدأ الوحيد في الفن يبقى هو نفسه . أن ينقل الفنان ما يراه (...) ولا شك في أن الانسان العادي اذا هو نقل عن الطبيعة لا يصنع أثراً غنياً . ذلك أنه في حقيقة الامر ينظر دون أن يرى . ومهما يحرص على تسجيل كل تفصيل من التفاصيل في دقة ، فان النتيجة التي يصل اليها تظل عاطلة من المعنى (...) ولا كذلك الفنان فانه يرى . أي أن عينه الموصولة بقلبه تنفذ الى اعماق الطبيعة . ومن اجل هذا كان على الفنان أن يصدق عينيه (١) .

واضح من كلمة رودان هذه أن التفسير الذي تحدته عاطفته في الطبيعة على غير علم منه ، ليس تشويهاً للطبيعة ، وانما هو ادراك لحقائق باطنية لا يدركها من لم يكن مزوداً بتلك العاطفة التي يحملها الفنان . فالعاطفة هنا تعني التعاطف الذي يتيح للفنان ، اذ يتواصل مع الشيء ، أن ينفذ الى معناه ، وان يعاين حقيقته الداخلية على حد تعبير رودان . ان عاطفة الفنان هنا هي كالحب الذي تحمله الام لابنها ، أو العاشق لمعشوقته ، فهذا الحب لا يعمي عين الام

(١) المرجع المذكور ، ص ٤٩ - ٥٣ .

أو عين العاشق ، وإنما هو يفتح العين على جوانب لم تكن لتتفتح عليهم .
بدوونه ، فنحن لانعرف الشيء الا اذا أحببناه ، كما يقول باسكال .
ان هذا الحب هو من فعل ، « الكشف » شرطه الاول ، وباعثه العميق ، وبدونه
تعب العين على الشيء عبور من لا يباله فلا يراه . وهب عاطفة الفنان تختار وتضخم
وتطفف ، فهل هذا افساد للرؤية وابتعاد بها عن الواقع ، أم هو في حقيقة أمره
اختيار أو تضخم أو تطفيف ليس من شأنه الا التلبث على مافي الشيء من جوانب
هي أشف عن معناه من غيرها ؟ ان عاطفة الفنان لاتعدو هنا أن تكون نافذة
أطل منها الفنان على الموضوع ، فرأى منه ما لم يكن يراه بدون ذلك ، ثم عبر عن
رؤيته في اثره الفني ، فاذا بذلك الجانب ينزاح عنه الستار ، فيراه سائر الناس من
خلال هذه الكوة التي شقها عاطفة الفنان . وهذا كله انما يلخصه في عبقرية اللغة
العربية أن الرؤية تعني النظر بالعين والنظر بالقلب جميعا ، بل ان الرأي من الرؤية
كذلك ، فكان الرؤية هي جهد الشخصية كلها في الادراك .

على أننا مازال الى هنا في نطاق الفن الكلاسيكي الذي ينصب على الواقع
المفرد ، فيراه فيثبت رؤيته في الاثر الفني . ولكن الفن الكلاسيكي ليس كل
الفن . ولئن كان ليوناردو دافنشي ورودان لا « يغيران » الشيء الا ذلك القدر
من « التغيير » الذي يجعله أشف عن المعنى المتجلي في صورة ، أو عن الروح
المتفرقة في الشكل واللون ، فان الفن الحديث يوغل في تغيير الطبيعة الى أبعد من
ذلك . انه يبدل الطبيعة تبديلا حقيقيا . فأين « الرؤية » هنا ؟ الحق ان الرؤية
هنا قد استحالت من رؤية بالقلب الى رؤية في القلب ان صح التعبير ، أو قل ان
البصر قد استحال هنا الى بصيرة اذا فهمنا البصيرة على أنها التفات البصر الى الذات .
ان العين التي كانت ملتقطة الى العالم الخارجي تلتفت الآن الى العالم الداخلي ، أو هي

تقف على الحدود بين العالمين فتراهما في آن واحد ، وتزأوج بينهما ، فاذا الاثر الفني يعبر عنهما معاً . قل ، ان شئت المجاز ، إن عينا تنظر الآن الى العالم الخارجي وعينا أخرى تنظر في العالم الداخلي ، وكما يكون الخيالان المرسمان على الشبكتين من عيني الراي صورة واحدة ، كذلك يخرج الاثر الفني مزيجاً من صورتين احدهما تستمد أصلها من الخارج ، والثانية ينبوعها هو الداخل . هنا يتحقق نوع من التآحد بين واقعين : الواقع الخارجي والواقع الداخلي . هنا اصبح ما يستمد من العالم الخارجي في الاثر الفني وسيلة للتعبير عن العالم الداخلي . واذا كان الواقع النفسي لا يقل «واقعية» عن الواقع العادي ، فالرؤية في « القلب » لاتقل واقعية عن الرؤية بالعين وبالقلب . ونحن مازلنا اذن بصدد ادراك ، ولكنه كان ادراكاً بالبصر فاصبح ادراكاً بالبصيرة . بل ان البصيرة كانت تمازج البصر دائماً ، فكأن الفرق بين التصوير الكلاسيكي والتصوير الحديث فوق في الدرجة لا في النوع ، هو فوق في مقدار ما يخالط الرؤية بالعين من رؤية بالقلب في الحالتين ، وفي مقدار ما يحققه البصر من نظر الى العالم الخارجي تارة والى العالم الداخلي تارة أخرى فيكون بصرأ وبصيرة معاً على تفاوت في الكم . لقد كانت عاطفة الانسان تتدخل في رؤيته للطبيعة قدراً من التدخل ثم اصبحت الآن تتدخل في هذه الرؤية قدراً من التدخل اكبر . كان الاثر الفني يعبر عن الواقع الخارجي مت دخلاً مع الواقع الداخلي قدراً من التدخل ، فاصبح الاثر الفني يعبر عن الواقع النفسي بواسطة العالم الخارجي وقد تبدل قدراً اكبر من التبدل .

الطبيعة هي الآن وسيلة لابرار الحالة النفسية التي يريد الفنان ان يعبر عنها فالفنان لذلك يبدل الاشياء الخارجية التبديل الذي يتيح لها ان تعكس الحالة النفسية . انه مثلاً يعبر عن اساه بأن يفرض على الاشياء التي يصورها الواناً قائمة

ولو كانت ترى في الطبيعة على غير ذلك ، او يعبر عن هيجانه بالجوء الى الوان صارخة مضطربة متصارعة يكسوها الطبيعة وما هي كذلك . كان الفنان يعبر عن حالته النفسية باختيار ما يناسبها ويوازها ويتجاوب معها من جوانب الطبيعة ، فاذا اراد ان يعكس أساه صور الغروب مثلاً ، ولكنه اصبح الآن يرى الظلام حتى في قوس الشمس ، ويرينا الشجن حتى في طيران عصفور فهو الآن لا ينتقي من الطبيعة ما يناسب حالته النفسية بل يفرض عليها فرضاً ما ينفض هذه الحالة النفسية .

ان الفنان يبدل الطبيعة هنا من اجل ان يزيح الستار عن حالة نفسية . انه لا يصور واقعاً مرئياً ، وانما يتخذ الشكل المرئي الذي يفرضه على الطبيعة ممراً الى واقع نفسي غير مرئي ، رمزاً يوحي به ، يتم عنه ، يحيل اليه ، ذلك ان هناك توازياً (ليس من شأننا الآن ان نكشف عن مصدره) بين الالوان والاشكال من جهة وبين الحالات النفسية من جهة اخرى . فليس القاع الذي يمتد الى اللانهاية في اللوحة كالقاع الذي لا يعدو ان يكون جداراً ، وليست الخطوط المنحنية كالخطوط المنكسرة ، وليس البياض كالخضرة ، ولا الخضرة كالحمرة من حيث التوازي القائم بين هذه الأشكال والالوان من جهة وبين العواطف من جهة اخرى . حتى ان هذا التوازي يمكن ان يقوم بين الاحساسات بعضها وبعض ، فرب احساس لمسي يوقظ احساساً بصرياً ، ورب احساس صوتي يبعث احساساً شمية ، الخ .

وقد يعن الفنان اكثر من ذلك في تبديل الطبيعة ليهشها فلا تكاد ترى في آثاره منها شيئاً . ان التفاته الى الداخل يكون عندئذ أتم . انه لا يصور الطبيعة بل يصور نفسه ، وهو لا يصور نفسه بواسطة الطبيعة ، بل بواسطة

اشكال والوان لا يكاد يكون فيها من الطبيعة شيء . وهو اذ يصور حالاته النفسية قد لا يقف منها على سطحها الشعوري ، بل يغوص الى الأعماق ، الى اللا شعور . وقد لا يكون الفنان على شعور بأنه يغوص الى اللا شعور ، وانما هو يدع لخياله أن يعمل ، فاذا هو يلتقط من الاشكال والالوان ما ينفذ اللا شعور الى الخارج مقنعا وفاقاً للآليات التي يتم بها خروج اللا شعور في احلام اليقظة . هاهنا استحوالت « الرؤية » الى « رؤيا » بمعنى حلم . والحلم ، عدا أنه في ذاته واقع نفسي ، رمز الى واقع أعمق منه ، الى واقع هو منه ينبوعه . « ان العالم الخيالي الذي يعرضه علينا الفنانون هو اسقاط مرئي لما في ذواتهم من شيء غير مرئي . وهم بذلك يعطوننا مفتاح وجودهم ، يتيحون لنا أن نصل الى وجودهم هذا بواسطة الرمز ... انهم ينظرون فيما حولهم ، محموين ، يبحثون في ذخيرة الاحساسات التي يقدمها لنا العالم الى غير نهاية ، يبحثون عما يعطيهم مفتاح طبيعتهم الخاصة » . وكأن رودان ، الواقعي ، يبرر اتجاهات الفن الحديث ، من قبل أن يتبلور هذا الفن الحديث ، حين يقول : « إن الفنان اذ يصور لنا الوجود على نحو ما يتخيله يعبر لنا عن أحلامه على الأقل ... وهو بهذا يعني نفس الانسانية ، لأنه حين يضيف فكره على العالم المادي يكشف لمعاصريه ألواناً لانهاية لها من العاطفة ، ويجعلهم يكشفون في أنفسهم ثروات كانوا يجهلونها » .

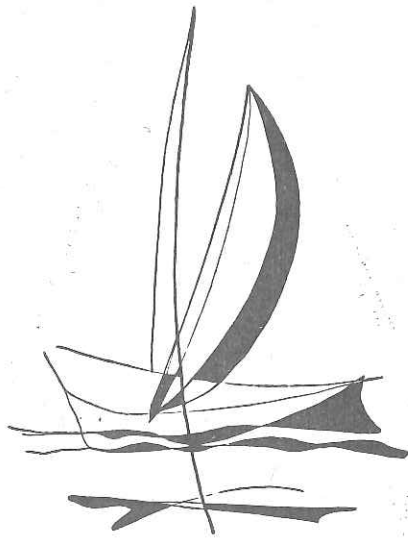
ان هذه النقلة من الخارج الى الداخل ومن الداخل الى الخارج ، بل ان هذه المزاوجة بين صورة النفس وصورة الطبيعة في الادراك هي ما تعبر عنه عبقرية اللغة العربية اذ تشق الوجود من الوجدان ، واذ تخرج الشيء من المشيئة ، واذ تشير الى تفاعل الطبيعة والطبع بوحدة مصدرهما ،

واذ تجعل المادة من المدة ، ناهيك عن وحدة الرؤية والرأي والرؤيا ، وعن امتزاج الحلم (العقل) بالحلم (ما يرى في المنام) .

لقد كان الفن ، في تاريخه الطويل ، حديثاً عن الطبيعة والانسان ، فتارة يحدثنا عن الطبيعة أكثر مما يحدثنا عن الانسان ، وتارة يحدثنا عن الانسان أكثر مما يحدثنا عن الطبيعة ، ولكنه يحدثنا عنها معا في كل كلمة يقولها ، لأن الانسان والطبيعة طرفان لا يكمل وجود أحدهما إلا بالآخر كما لا يتم حصول المعرفة إلا بقاء بين الموضوع والذات .

وليس هذا الحديث ، أعني الفن في تاريخه ، الا صورة للحوار الذي قام بين الطبيعة والفنان ، وهو حوار كان فيه الفنان يصغي الى الطبيعة تارة وكانت فيه الطبيعة تصغي الى الفنان تارة اخرى ، وكان المصغي يؤثر اثناء صمته في المتكلم فينطقه من حيث يشعر أو لا يشعر بما يعبر عن المتحاورين كليهما في آن واحد ، وكان المتكلم يؤثر بكلامه في المصغي فيخرجه من جلده ليندس في جلد صاحبه . وكان الفن في جميع مواحل هذا الحوار يحقق عناقاً بين الوجود والوجدان بين عالم المادة وعالم المدة ، بين الشيء والمشيئة ، بين الطبع والطبيعة . وكان يمكن أن نقول ان الفن سار في تاريخه مرتقياً من الوجود الى الوجدان ، ومن عالم المادة الى عالم المدة ، ومن الشيء الى المشيئة لولا أن في الوجود وجداناً يراه الفنان رؤية العين والقلب والنفس جميعاً ، لولا أن المدة هي ما يدركه الفنان حتى في المادة أو من خلال المادة لولا أن الشيء في نظر الفنان مشيئة . لذلك كانت حركة الفن في تاريخه نقلة بين طرفين لا سيرا على خط مستقيم ، سواء أتصورنا هذا الخط المستقيم أفقياً أم عمودياً . وها هو ذا الفنان الحديث يصافح ، من فوق أكتاف القرون ،

الفنان البدائي . اننا من الفن السابق على التاريخ ، الى الفن البدائي
فالكلاسيكي فالباروكي ، فالرومانسي ، فالانطباعي ، فالوحشي ، فالرمزي ،
فالسريالي ، فالتعبري ، فالجود ، اننا من هذا الفن كله في سلسلة
تتلاقى أطرافها حتى لتكاد نشوي في كل حلقة من حلقاتها كل حلقة ، على حالة
الكمون الذي بهم أن يصير الى ظهور ، ثم يصير فعلا الى ظهور ، على درجات
متفاوتة من الظهور .



الموسيقى العربية

وامدقاروها الحقيقية

بقلم: نجاة قصاب حسن

قرأت في مجلة المعرفة مقالات الاستاذ ميخائيل الله ويردي عن الموسيقا العربية ، ولفت نظري فيها امران :

١ - ان الاستاذ ميخائيل كرر ماسبق ان قاله وكتبه في محاضرات ونشرات ومقالات كثيرة بلا زيادة ولا نقصان وبلا تبديل في نص العبارات فليس الموضوع جديدا .

٢ - ان اسلوبه لا ينسجم - في نظري - مع التواضع المطلوب من عالم يناقش ويدافع عن قضية حققة . فمن يخالفه فيما يقول يصف كلامه بأنه « زعم بليد » وهو يضيف « انني على استعداد لزيادة الشرح بمناقشة من يشاء من علماء الشرق والغرب في ندوات ومجتمعات أمام المذيع والتلفزيون واعتبر عدم الرد اما جهلا بهذا الموضوع ، واما عجزا أو امام موافقة على كلامي الاول من نوعه » وهذا يشبه تحدي المصارعين والملاكمين اكثر مما يشبه اجاث العلماء .. وهو يتكلم عن مخالفيه الذين ناقشوه بقوله « هنالك مجالس ولجان لم يفتح الله عليها ببصيص من نور الفن لترى سواء السبيل » ... ومثل ذلك يتكرر بلا نهاية ...

وقد وجدت من الضروري أن أتولى الرد لتأكيد بعض الحقائق ، والحقيقة الأولى هي أن الاستاذ ميخائيل الله ويردي يضع اسلوبا خشناً في خدمة قضية جوهرها صحيح ، وهذا لا يخدم القضية ولا يعتبر تصرف صديق حقيق للموسيقى العربية . والحقيقة الثانية هي أن سبيلنا في خدمة الموسيقى العربية ، وبشكل خاص في المرحلة الحاضرة ، ليس في الموسيقى الغربية والدعوة إلى نبذها في الغرب وتبني موسيقانا وإنما التعايش بين الشكائين الشرقي والغربي من أشكال التعبير الموسيقي ، والسعي إلى أن ترتقي نحن بموسيقانا أولاً حتى تكون لها قيمة فعلية واقعية - لانظرية فقط - في مجال المنافسة . والحقيقة الثالثة هي أن الاستاذ الله ويردي انتهى من مناقشيه ، ومنهم لجنة الموسيقى في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب التي ردت عليه ، بشتهم فقط دون الرد عليهم في المجال الوحيد الذي تتاح فيه مناقشة علمية - وهو صفحات المعرفة - مع أنه يتحدى من يشاء من علماء الشرق والغرب (كذا) لمناقشته أمام المذيع والتلفزيون وهما ليسا مجالاً لبحث القضايا التي يختص بها إذ ليست الابحاث الموسيقية الفيزيائية مما يفهمه الجمهور الواسع أو يستسيغه .

وانني لأرجو أن يتسع صدر الاستاذ ويردي للملاحظات ولا يعود إلى التهمج علي كما فعل من قبل ، لأننا لا نختلف إلا على أمور علمية وتوجيهية لاصلة لها بالاعتبار الشخصي ، وهو يعلم مقدار اعتباره عندي ومقدار استلطاني له من الناحية الشخصية .

ماهي مشكلة الموسيقى العربية ؟!

تطورت الموسيقى العربية بالتلاقي مع اشكال عديدة من الموسيقى الفارسية والهندية والبيزنطية وغيرها ، فهي محصول تطور انساني طويل في ميدان التعبير الموسيقي . وقد تعرضت في هذا التطور إلى عديد من التبدلات أصف بعضها :

١ - فالانغام (المقامات) كالراست والبيات والسيكاه وعشرات غيرها ، اختلفت درجاتها ونسبها ومواقعها من عصر إلى عصر (١) ، ولا تزال غير متفق عليها بين قطر وقطر . وقد اثبتت ابحاث المؤتمر الموسيقي الذي انعقد في القاهرة عام ١٩٣٢ ان الذوق الشعبي في تركيا غيره في سوريا ومصر ، ولذلك فالدرجات الموسيقية في النغم الواحد مختلفة بين قطر وقطر . وقد أحب الاستاذ الله ويردي أن يقول ان سبب هذا الاختلاف هو « الغبش السعبي » أي فساد السمع عند من جربت عليهم هذه الانغام . ومن هم الذين اتهمهم بالغبش السعبي ؟ انهم كما يقول الاستاذ ميخائيل في الصفحة ٤٣ من كتابه فلسفة الموسيقى الشرقية « خمسة من الاساتذة المشهود لهم بصفاء الحاسة السمعية هم الاساتذة عوض وعويس وفتحي ودرويش الحريري وسامي الشوا » .

(١) الخلافات كثيرة مشعبة وحبابية وقد تعثر فيها مؤتمر الموسيقى في القاهرة ولو حاولت ايضاحها لأخذت صفحات كثيرة لأنهم غير المختص ولذلك اكتفي بالتعميم .

وإذا علمنا أن الاستاذ الله ويردي موسيقي نظري إذ أنه ليس عازفاً ولا موسيقياً ممارساً ولا مؤلفاً ولا مغنياً ، وأن ادراكه للدرجات الموسيقية باعترافه نفسه ضعيف من ناحية السمع وكل عمله أنه يعين عدد الاهتزازات الفيزيائية للدرجة ما ، فإن زعمه بأن هؤلاء الموسيقيين الكبار مصابون بالغش السمعى زعم ضعيف . والموسيقا عمل الموسيقي لا الآلة، فهو الذي يعين الدرجة عن طريق السمع الذي يقود يده ، وكان يمكن لباحث موضوعي أن يرد الأمر بدل الغش السمعى الى شيء أبسط وهو الاعتياد مثلاً على نغمة معينة ، فالسيكا المصرية أخفض من السيكا السورية بسبب أن الموسيقيين تعودت أذهنهم عليها بصورة مختلفة في القطرين ، وكلاهما جميلة . أو كان يمكن لباحث موضوعي أن يفعل ما فعله بعض الباحثين في السويد حين حاولوا أن يربطوا ، بعد دراسة استغرقت زمناً طويلاً وتناولات الآلاف من الاشخاص في مناطق مختلفة ، بين الزمر الدموية لدى الأفراد وبين بعض الدرجات الموسيقية ، وقد حدثنا عن هذا الدكتور نيلس فالين خبير الموسيقى العالمي الذي اوفدته الاونسكو الى سورية والقى فيها محاضرة في المجلس الاعلى دعي اليها السيد ميخائيل الله ويردي ولم يضرها، بينما حضرها الكثيرون من البعث والموسيقيين ...

وبالتالى فبدلاً من التفرع ورمي الموسيقيين الكبار بالغش السمعى نرى أن مهمة الباحثين الموسيقيين ومهمة المؤتمرات الموسيقية تنحصر في أحد أمرين، **فأما أن تترك للتذوق الشعبي في كل قطر ما اعتاد عليه من درجات السلم الموسيقي في نغم أو مقام معين ، وفي هذا** صرف ساييم وغنى للبشرية بالألوان الناعمة الفروق بدل جودها عند ألوان محددة أقل عدداً ، **وإما أن تقرر درجات معينة للسلم الموسيقي في كل مقام عسى أن يقبل بها** الموسيقيون ، علماً بأنه ليس من مؤيد الزامى يمنع استمرار الغناء الشعبي والموسيقا في سيرتها الأولى الناشئة عن التذوق والاعتقاد وربما عن الخصائص الحيوية كما في اتجاه السويديين المشار اليها.

والمشاكل المتصلة بهذا الموضوع تحلها المؤتمرات الموسيقية إذ انه لو تم تعيين درجة معينة وجب ان يصاغ لها (ديايازون) وهو جهاز معدني خاص إذا نقر أعطى الصوت الصحيح المتفق عليه ، فتكون عندنا مجموعة من الديابازونات بعدد الدرجات المتفق عليها أي بالعمشات ، وعندئذ تضبط الآلات الثابتة عليها ، ويسترشد بها الموسيقيون كلما داخلهم الشك . . . أما الجمهور الذي تنحصر المشكلة عنده في التذوق الموسيقي عن طريق السمع فلا شأن له بهذه الاتجاهات لتكون موضع المحاضرات والمناقشات امام الراديو والتلفزيون . وقد سبق للسيد الله ويردي أن حضر حلقة الدراسات الموسيقية التي عقدت في بيروت عام ١٩٥٨ بأشراف الاستاذ التشيكوسلوفاكي

هابا ولم نر قرارات الحلقة انطبعت بطابعه مع أن ذلك المجال كان مجاله ، أما السبب في ذلك مع وجود البحاا والعلماء المنصفين فليس علي أنا أن أبينه .

٢ - وما تعرضت له الانعام من ناحية الفروق الطفيفة في درجاتها وطرق عزفها تعرضت له نتيجة عامل اجتماعي إنساني أثر على كثير من العلوم والفنون العربية فقادها الى الكثرة والتعقيد دون مبرر حقيقي . فكما ان النحاة في سعيهم إلى الجديد ليذكروا به (١) ساروا بالنحو في طريق التعقيد الشديد فكذلك الموسيقيون اخذوا يحاولون التزيد في النغمات والابتكار في الاوزان ، فما يمكن أن يعتبر تحويلاً بسيطاً اثناء اجراء نغمة أصبح نغماً جديداً أو مقاماً ، حتى صار بعضهم يحتريء نصف نغم ويضيفه الى نصف نغم آخر فيخرج معه مقام جديد (٢) . كل ذلك كان يجري ليرتبط اسم المبتكر بنغم جديد يكون مجال شهرته . وقد استمر هذا الاتجاه حتى اليوم وهناك ملحنون ناشئون ابتكروا منذ ثمر سنوات انعاماً جديدة واوزاناً جديدة فزادوا القضية تعقيداً .

وحل هذا التعقيد كما أجمع الموسيقيون العرب الممارسون في العصر الحاضر يكون في الاختصار على مقامات رئيسية كبرى عليها مدار الالان الشهيرة في موسيقانا التقليدية (الموشحات والادوار والقدود) والشمية الرفية . وتترك التفاصيل الصغيرة كأساليب في التعبير الناعم يمكن للمعني المتمكن والمازف المحيد أن يجريها دون أن يعطيها اسماً أو يقننها في مقام جديد ، وبذلك يسهل تعلم الموسيقى العربية ونشرها وتوطيد أسسها لينتهي اليوم سر مغلق يزيد اغلاقاً اسلوب الاستاذ الله ويردي الذي لا يشجع على تعلم الموسيقى العربية ولا على فهمها وحبها . .

٣ - ويقودنا هذا بالضرورة إلى نوع من « التعديل » الذي ينكره الاستاذ الله

(١) سأل الرشيد أحد جلسائه : من تراه أعز العرب ؟ قال انت يا أمير المؤمنين ، قال بل فلان النحوي ، يتسابق الأمين والمأمون إلى تقديم نعله إليه . . .
وسئل احد النحاة : لم تقرأ لك الصفحات سائفة ثم تقرأ صفحات أخرى عسيرة لا تفهم؟
قال تلك تهودكم إلى هذه ، فاذا لم تفهموا جئتموني فأخذت دراهمكم لتفهموا . . .
وشرح احدثهم الألفية ، وشرح آخر الشرح ، وجاء ثالث فعلق على شرح الشرح ، ثم جاء من أحب أن يذكر فأعرب الألفية برمتها . . .

(٢) كما في مقام البسته نكار وهو صبا يتم على درجة السبكا ، ولذا فهو مقام غير كامل .
وقد اشار الاستاذ صلحي الوادي اليه في مقال سابق في المعرفة على أنه غوزج للانعام العربية ، في حين أنه شاذ وحده ، والشاذ ليس قياساً ولا غوزجاً .

ويردي قولاً ويمارسه فعلاً. فإذا كان الغرب قد ألغى الفرق بين صادق درجة (أي الدين) ورخيخ الدرجة التالية (أي اليمول-الدوديز أعلى بمقدار كوما من الره يمول، فجعلها الغرب للتسهيل درجة واحدة وسأوى بينهما في الآلات الثابتة كالبيانو وآلات الفخ والآلات ذات الدساتين) فإن الاستاذ الله ويردي مع انتقاده لهذا الأسلوب وثورته عليه واعتباره إياه كضبط الضاد والطاء والدال والتاء في حرف واحد هو الدال (مقاله في العدد الثامن) فإنه يفعل الشيء نفسه في السلم العربي الذي يدعو إليه (١). في الصفحة ٢٥٣ نجده ينقص بعض الدرجات ذرتين أو اربعاً وفي بعضها يزيدها ذرتين عما هي في السلم الطبيعي، فسلمه العربي هو اذن سلم معدل بصورة كيفية حساسية — لاذوقية سمعية — عن السلم الطبيعي الذي يعتبره الحقيقة الوحيدة الخالدة. فإذا كان التعديل ممكناً نظرياً فهو يجب ان يكون ممكناً عملياً. وإذا كنا نحن نقول بأن السلم الموسيقي الغربي ناقص في التعبير فإن كثيرين من الغربيين ينادون بسلم الارباع المتساوية بدلاً من سلم الانصاف، وهذا السلم يعطي تقريباً كل الانغام العربية، تاركاً المجال للذواق المرهف لأن يعطي الأحدى بين درجتين دون أن تقسد حرته القاعدة...

ومن المعروف ان كل تقدم بشري استدعى نوعاً من التعديل. وفي الرياضيات مثلاً نسبة محيط الدائرة الى نصف قطرها رقماً المنطق عليه هو ٣١٤١٦ ولكن رقماً الحقيقي يستمر بلا نهاية مما يجعله غير عملي، فاجتزأ منه هذا الرقم لأنه يساعد على وجود نهاية للعمليات الحسابية. والآلات الالكترونية التي تفوق دقتها الحواس البشرية آلاف المرات تعتمد ارقاماً وحسابات معدلة وإلا لا أمكن آلة الكترونية أن تعطي جواباً على مسألة ولو ظلت تعمل أبداً الأبد...

٤ - والموسيقا العربية، مع غناها الشديد (المبالغ فيه أيضاً) في الأنغام التي توسع دائرتها في التعبير، وغناها المفرط الى أبعد حد في الاوزان المعقدة (التي يصعب ادراكها وحفظها واجراء النغمات عليها) فقيرة في أنها لاتزال تسير على خط واحد ولا ترافقها الاصطحابات. وقد أدرك هذا كل عامل في الموسيقا حتى الاستاذ الله ويردي، ولكن حل هذه المشكلة رهن بأمرين: أن توجد القاعدة، وان يوجد الموسيقي المثقف الذي يدرك القاعدة.

والقاعدة في الاصطحاب الموسيقي (المارموني والكونتر بوانت) لا يمكن أن توضع بمزج عن القاعدة العالمية التي يستخدمها الغرب لأسباب: فهي أولاً قد جربت واغتنت وطبقت وعدلت خلال مئات سنين وصارت ثروة انسانية لا يستهان بها وكتبت مؤلفات هائلة وفق أسسها.

(١) وردت هذه الملاحظة في تقرير لجنة الموسيقا في المجلس الاعلى حول كتاب الاستاذ الله ويردي.

وهي ثانياً تصلح للموسيقا العربية حيثما كان النغم مشتركاً بينها وبين الموسيقا الغربية (في المجاور والمينور ، أي في عائلة العجم والجهار كاه والنهاوند والحجاز كار كرد والحجاز كار والنكريز والحجاز والزنجران وغيرها) علماً بأن كل المترمين وزعيمهم الاستاذ ميخائيل الله ويردي لا يخالفون في المبدأ وإنما في دقة السلم الغربي ، فليصححوا السلم كما يشاؤون والقاعدة تبقى سليمة . وهي ثلثاً قد أصبحت مدرسية ذات كتب ومؤلفات واسعة منتشرة لم يجرحها أحد قبل الاستاذ الله ويردي وبفرض أن هناك ملاحظات فهي تزداد لأن قواعد الهارموني والكوتربوانت لاتزال في تطور في نفس العالم الغربي .

ثم لو قلنا بأن « الحق أحق أن يتبع » ولو كلف مجهودات كبرى ، فأين هو هذا الحق ؟ ان الاستاذ ميخائيل بعدنا به في كتاب اسمه (الموسيقا الطبيعية وهرمنتيا) لم يصدر حتى الآن ولم ترم عين . ومن المدير بالذكر ان الاستاذ الله ويردي أمطرو وزارة الثقافة والارشاد القومي في عهود مختلفة بطلب تبني هذا الكتاب قبل ان يصدر وبأن تصحح الاونسكو بترجمته قبل ان يطبع ، فأجاب المختصون في الوزارة وفي المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بأنه لا يمكن تبني كتاب لم يصدر ، ودعوه الى تقديمه للنظر في طبعه حسب الأصول فأبى . إننا قياساً على جهد الاستاذ الله ويردي في اخراج كتابه السابق لانشك في أنه قادر على أن يكتب كتاباً بألف صفحة هذه المرة ولكن هل هناك جهة في الدنيا توافق على تبني كتاب دون أن يصدر أو يسمح صاحبه بالاطلاع عليه ؟

ماهي قواعد هذا الاصطحاب ؟ سر . ماهي نظرياته ؟ سر . ماهي أساليبه التطبيقية ؟ سر . اننا لسنا في عالم الاسرار وليس الأمر (شيفرة) سرية للمخابرات بين المؤلف والموسيقين ، وإذا كان ليس في خبراء وزارة الثقافة والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب من يفهم هذا الكتاب فلن يصدر ؟ وكيف تنتفع به الموسيقا إن لم يره الموسيقي ؟ وكيف يسوغ ان نطلب من الغوب رسمياً ان يهجر قواعد قبل أن نريه قواعدنا ؟ وهل الأمر دعاية مسبقة لبضاعة تجارية على قاعدة المربعات التي توضع في الصحف وفيها علامة الاستفهام لتحفز اهتمام المطلع ريثما يأتي يوم للكشفة فاذا هي نوع جديد من الصابون ؟

هذا عن القاعدة . أما عن الموسيقي فانه يجب أن يتعلم ليفهم مايقوله الاستاذ ويردي بفرض أنه سيقوله - وهو فرض مقبول عندي كما سلف الذكر . ولكن ماذا يتعلم ؟ لا ريب أنه سيتعلم القاعدة الموجودة وهي القاعدة العالمية .

والموسيقى في الواقع يضع القاعدة بالحس المرهف والتجربة العملية ثم يأتي من بعده النظري ليقتن . ماحدث قط في مثل هذه المجالات أن سبق النظري العملي . يأتي الموسيقى أو الرسام فيكسر القاعدة السائدة فاذا اكتسب الاسلوب الجديد حق الحياة بالتأييد العام من الجمهور جاء النظري فوضع هذا الاسلوب في شكل قاعدة قانونية . واني لأرى في محاولات الاخوين رجائي وتوفيق الباشا وغيرهم لكتابة هارموني وكونتربوانت على الانغام العربية شيئاً جدياً أكثر من أن يأتينا استاذ بعدد من الذرات تقابل من الناحية الفيزيائية عدداً آخر من الذرات ثم لا يكون لعمله امكان من الناحية التطبيقية ...

مقترحات الاستاذ الله ويردي العملية

ولكي نستخدم الذكاء بالطرق البوليسية لنكشف عن سر قاعدة الاستاذ الله ويردي نلقي نظرة على مقترحاته العملية لحل مشكلة الهارموني على السلم الطبيعي .

يقول في مقاله المنشور في العدد التاسع من المعرفة (صفحة ٩٥ وما يليها) بالحرف الواحد:
أولاً تعليم لغة الموسيقى الطبيعية ونبد المبدلة بإيقاف تعليمها للناشئين ... ولذلك يتوجب:

- ١ - تأسيس مدارس ابتدائية لتعليم لغة موسيقانا الطبيعية ..
- ٢ - تأسيس مدارس ثانوية .. تدرس علوم الموسيقى وأهرمنتها ولهذا الغاية يقتضي اصدار طبعة ثالثة من فلسفة الموسيقى الشرقية مضافاً إليها اجاث الهرمنة الطبيعية وأمثالها بالروطة ، فيكون للدنيا كتاب بكر بحجم المحيط ..
- ٣ - تأليف معاهد علما يدخلها الاساتذة والمتخرجون من المدارس الثانوية .. وانا نجد كل الاتفاقات على مختلف الدرجات في كتابنا (الموسيقى الطبيعية وهرمنتها) المعد للطبع مع جميع المشاكل الفنية التي اعترت مؤتمر القاهرة سنة ١٩٣٢ فوجدت حلولها الآت بشكل قاطع . .
- ثانياً** بناء آلات مناسبة لاجراج الاصوات الطبيعية بدون تشويه لأن الآلات المعاصرة كالبيانو والارغن ومجموعة الففار .. غير صالحة .. وبما أننا لا نستطيع القيام بهذه المهمة وحدنا فلما مندوحة من الاستعانة بأهل الاختصاص !!! من جميع الأمم بعد أن نوضح لهم حقائق الموسيقى الطبيعية عن طريق العلم وقد قمنا فعلاً بهذه المهمة خدمة للانسانية جمعاء ...

أما ايجاد الآلات المناسبة فيتم اما مؤقتاً أو أبدياً باحدى الوسائل الآتية :

- ١ - وضع بضع بيانوات في مكتب الاذاعة ، يسوى كل منها وفق احد الانغام الواردة

في اللحن المطلوب ثم يعزف على كل بيانو ما يتفق معه من القطعة ويسجل ذلك تباعاً على القريب
فتظهر القطعة للسامعين كأنها عزفت على بيانو شرقي .. وكذلك القول في آلات الفنفار (أي
آلات النفخ النحاسية والخشبية في الاوركسترا — نجاة) وغيرها من الآلات ذات الاصوات
المعدلة المحدودة ..

٢ - ...

٣ - بدع آلات الكترونية لاجراء جميع الانغام مع اتفاقاتها الصوتية وفق الهندسة
التي شرحناها في فلسفة الموسيقى الشرقية ، وفي فلسفة الموسيقى الطبيعية وهرمنتها .. الخ

... عند هذا تفرع الدول بتحويل الالحان المعدلة الى مسموعها الطبيعي ... وبهذا
تتكامل بالنجاح التام اعمال منظمة الاونسكو ... ولن تحصل على نتيجة حتى توضع ابحاثنا موضع
التنفيذ .. (انتهى كلام الاستاذ الله ويردي) .

فلنتناقش هذه الاساليب بمجدية مع محاولتنا كتم كل ابتسامة يملها ظرف الاستاذ الله ويردي
في هذه المقترحات . اذا وجب أن نطبق اقتراحات البيانوات وقدرنا عددها بتسعة على الأقل
(لتقابل عدد الكومات مع ترك الأجزاء الأصغر وهي الذرات ، لان الاكتفاء بتسعة بيانوات
معناه القبول بالموسيقى المعدلة حسب رأي الاستاذ الله ويردي) .. واذا وجدنا من يضبطها دون
أن يكون مصاباً بالغيش السمعي حتى يكون الفارق بين كل منها والآخر بنسبة كوما واحدة ،
هل تتصورون عازفاً ينط من بيانو الى بيانو ليعزف نوتة واحدة ثم مخبراً بدل غرفة المراقبة يقوم
بجمع مصطنع لهذه النغمات ؟

ويسمى هذا حالاً **أبدياً** !.. وهل تتصورون عازفاً على آلة تنفخ حوله غابة من الآلات
ينفخ في كل منها نوتة ثم تجمع في المخبر ؟ وهل ينسى الاستاذ الله ويردي أن كل آلة تنفخ - بخ - بتغير
فيها الصوت حسب قوة النفخ بمقدار الكوما أو أكثر ؟ وهل توضع على افواه العازفين آلات
لتغيير قوة النفخ وتنظيمه ؟

وبقي ماذا ؟ آلات الكترونية . والحق ان الحل الوحيد لايحاد موسيقا تتناغم وفق
القواعد الحسابية الفيزيائية هو الآلات الالكترونية ، وقد بدأ صنع بعض هذه الآلات ، ولكن
هذا يخرج الموسيقا من يد الموسيقي ليجعلها في يد المهندس فلا يبقى من انسانياتها الاعلاقتها
بمؤلف لا يستطيع تصور ما ينتج عن خطه الاول ، ومهندس مكان العازف .. وانه لعمرى شيء

لا يستطيع فيه فقد يهزأ المستقبل من قبي بعد أن بدأ العالم في هذا الطريق ، ولكنني أستطيع القول إنه يخرج عن حدود إنسانيتنا نحن .. انني غير قادر على مناقشة أمور لا يقدر هو على تصورهما ولا يعرف أحد كيف تبدأ وكيف تنتهي ، ولا نعرف ان كان العالم سبأ به لها .. تماماً كما يحدث حين تتصور غزو الافلاك واختصار الزمان واطالة الحياة آلافا من السنين وسوى ذلك مما يخرج من البحث الواقعي ليدخل في الأحلام الشطاحه وفي مسلسلات فلاش غوردون ..

الغناء الموسيقا الغربية برمتها ؟

والاستاذ الله ويردي تراوده أحلام ، مفروعة بالنسبة الى طموح ، ولكنها تفيض عن حدود المقبول في العرف العلمي العام . احلامه هذه تقول بأن يعلم علماء العالم الحقيقة الموسيقية القائمة على السلم الطبيعي -السينما الملونة-الابجدية الكاملة، ليهجر والموسيقا الغربية كلها -السينا السوداء-الابجدية المضغوطة ويبعدوا تسجيل روائعها (وربما بالطرق التي سبقت الاشارة اليها) ويوقفوا تعليمها وبطلوا كتبها ويفعلوا بها ما لم تفعله محاكم التفتيش بكتب الهرطقة . فهل هذا كلام مقبول أولاً ، وهل هذا كلام مسموع؟ والذي يقول الاستاذ الله ويردي عن السلم الطبيعي والمعدل ليس جديداً ، فقد قاله من قبل كثيرون منذ هجر الغرب السلم الطبيعي وسار على السلم المعدل ، ولم يسمح أحد لهم حتى حين كانت القضية في بدايتها وقبل ان تتكسد هذه الثروة الانسانية من الموسيقا المكتوبة والمنفذة ، فهل يسمع لهذا القول أحد الآن ؟

أولى بنا أن نعرف مكاننا . عندنا مادة موسيقية خام ، مختلف عليها ، شديدة الدقة ولكنها شديدة التعقيد ؛ ثلاثة ارباعها نغماتاً ووزناً مهجور ، والباقي غير معروف لقلة عدد الموسيقيين ولا نعدام المدارس . ونريد أن نكسر الطوق ، ان نفتتح المدارس ، أن نعلم الناشئة فاذا تعلمهم؟ الأوليات المتفق عليها والتي اثبتت التجربة صلاحها . الآلات العربية والفرنجية على السواء . وكلما تقدمت الموسيقا العربية خطوة في طريق البساطة تقدمت خطوتين في طريق الانتشار .

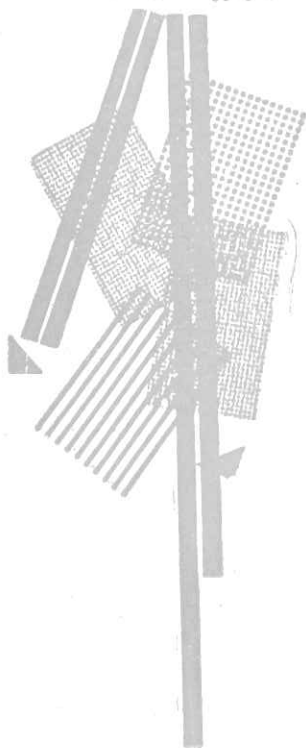
إن أصدقاء الموسيقا العربية الحقيقيين هم الذين يفضون عنها التعقيد والغموض والاختلاف ويسرون لها أن تعيش وتنتشر وتأخذ مكانها في صف الموسيقا العالمية : تأخذ مكانها إلى جانب الموسيقا الغربية في تعايش سلمي وتمازج لم يرفضه العرب حين أخذوا من الهندية والفارسية والبيزنطية . وهذا العمل نهض به المدارس والموسيقيون الشباب الذين يجب ان نشجعهم ونحجبهم بالتراث ، لا أن نحطمهم بالتعالي ونجعلهم يفرون من كل شيء يتصل بهذا التراث .

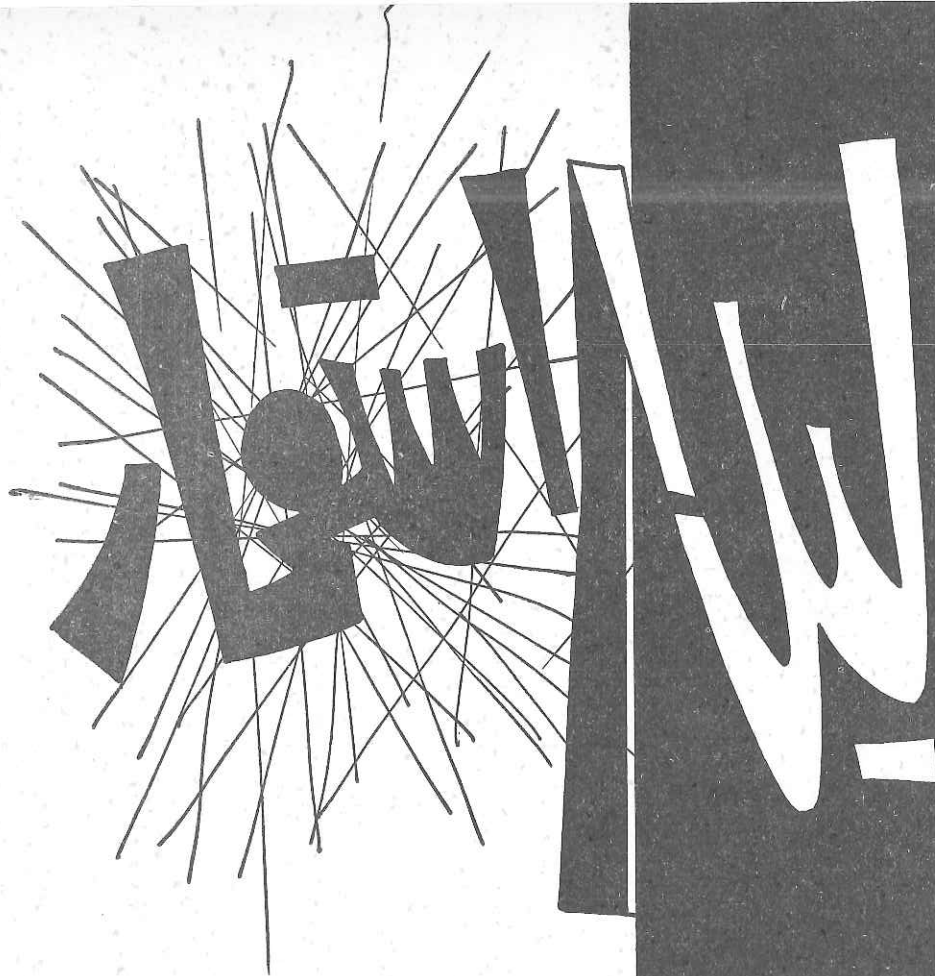
ولنا الى الموضوع عودة ثانية...

مجلة المعرفة

مع

التيارات الفكرية
العربية والعالمية





بقلم: فرحات عباس

عرض وتحليل: أديب البحري

(*) عنوان الكتاب بالفرنسية :

Ferhat Abbas — Guerre et Revolution
d'Algérie

1 — La Nuit coloniale — Paris ,
Julliard 1962

« الى شعب الجزائر البطل .

الى جيش التحرير الوطني الظافر ،
وشهداء استقلال الجزائر الميامين .

الى الاخوات الجزائريات اللواتي
اسهمن اسهاماً كبيراً في الكفاح
التحروري .

الى الشعوب الشقيقة والصديقة التي
أدانت حرباً استعمارية شنتها فرنسا
على الجزائر ، والتي نصرت قضيتنا
العادلة بعونها وتأييدها .

الى الفرنسيين الواعين - في الجزائر
وفي فرنسا - الذين تحملوا المسؤولية
والخاطر في كفاحهم الى جانبنا .
أهدي هذا الكتاب .

بهذه الكلمات قدم الزعيم الجزائري فرحات
عباس (رئيس حكومة الجمهورية الجزائرية
الموقتة سابقاً ، ورئيس الجمعية التأسيسية
الآن) كتابه « حرب الجزائر وثورتها
Guerre et Révolution D'Algerie » الذي
يقع في ثلاثة اجزاء ، ظهر الجزء الأول منه
حتى الآن تحت عنوان « ليل الاستعمار
La Nuit Coloniale » وسيصدر الجزء
الأخران « الثاني تحت عنوان الفجر
L'Aurore » والثالث تحت عنوان النهار
Le Jour » . في
مستقبل قريب .

أول انطباع يتركه الكتاب في نفس القارىء
هو ان المؤلف لا يريد من هذه الاجزاء الثلاثة
التي يكتبها ، ان يضع كتاباً تاريخياً عن
الجزائر ، بل لا يريد ان يكتب التاريخ للتاريخ ،
انه يريد ان يسجل شهادته عن احداث الجزائر .
فقد عاش محنة وطنه ، حين كانت الجزائر مطوقة
بذير استعمار رهيب ، يريد مسحها ، وافقاد شعبها
هويته وأصالة . وعاش ثورة الجزائر الالهية ،
كما شارك فيها ، وهي ثورة غسقت في مدى
سبع سنوات ونصف السنة ذل مئة واثنين وثلاثين
عاماً ، لم تترك فرنسا خلالها وسيلة هجية إلا
واتبعتها لاذلال هذا الشعب العربي الطيب ، لابعاده
عن تاريخه الحقيقي ، عن جذوره الاصلية التي
كانت تقوم بقاءه وتحفظ وجوده .

كتاب فرحات عباس ، ليس كتاباً للتاريخ ،
ولكنه موقف لبطل جزائري عربي ، يتمتع
بثقافة عميقة ، وفكر نير ، بطل عاش احداث
الجزائر في نفسه ، كما عاش هو مأساة الجزائر ،
فهو هنا يقدم « إفادته » دون حقد ، كما يقول
وبلا هوى محاولاً تحديد مسؤوليات الجزائريين ،
ومسؤوليات الفرنسيين ، وبخاصة اولئك الذين
ترعموا مقدرات فرنسا خلال السنين الاربعين
الاخيرة . انه يريد ان يبين للاجيال الناشئة
من الجزائريين كيف ولماذا تمكن وطنهم من
تخطيم الاسطورة التي ظلت فرنسا تنادي بها طوال
قرن وربع قرن ، اسطورة « الجزائر الفرنسية »
ثم تبددت كما تبدد فقاعات الصابون .

« ليل الاستعمار » مظلم قائم على المستعمر والمستعمر معاً . انه رهبة تقطع الانفاس ، تجلب الدمار للانسان ، للبشر كلهم . لأن الاستعمار بحكم منطقته « يقوم على تجاهل الواقع ، واقع الشعوب ، وعلى انكار حقها العادل المشروع » . انه شريعة الغاب : القوي يفتك بالضعيف .

وتجلى الاستعمار الفرنسي بأشجع أساليبه في الجزائر ذاتها . كان قوة تدمير جشعة ، لا تقف عند حد . بل لقد جعل من هذه القوة علماً ، وأثنى الى جانب المدارس العسكرية ، معاهد لما أسماه « بالعلوم الاستعمارية Sciences Coloniales » وهي تعلم فنون الكذب والخداع ، وتلقن أساليب استغلال الابناء ، وتلقيحها ، وترتيف الحقائق التاريخية ، وإظهار الاستعمار بمظهر الرحمة التي تحمل الحضارة مجاناً الى الشعب المغلوب على أمره ثم اظهار هذا بمظهر شعب شرير ، يحرص على الاضطراب والفوضى .

لقد عاشت فرنسا على هذا أكثر من قرن . انه كذب ، أناخ بأثقاله على حرب الجزائر ، فقد اكتسب مظاهر الحقيقة والصدق ، وبذلك ضلل كثيرين ، دون أن يتمكن من حجب الحقيقة .

« لقد فشل الاستعمار الفرنسي في احوال الاوروبيين محل الشعب الجزائري واخفق في توطين الجماهير الاوربية فوق ارض الجزائر .

غير ان الاستعمار قد قاب حياتنا رأساً على عقب ، وكاد يوقعنا في الهوة . لقد أدمانا ، وكانت أعجوبة منا أننا لم نقتله الى ما انتهى اليه الهنود الحمر . ان التسلط قد دمر ، على مر العصور ، مجتمعات كثيرة ، وخرق قوانين تاريخية ، وأذل شعوباً . غير أن طبيعة الأمور كانت هي الاقوى . وكان التاريخ يعيد الأمور الى نصابها ، بشكل أو بآخر .

وإن ما يلت النظر الى انسانية اليوم ، أنها أصبحت فتح الاستعمار وحقته في مختلف أشكاله وألوانه . « ان عالماً جديداً يولد اليوم . وقد آن للامرة البشرية الكبرى ان تعيد النظر في جميع مفاهيمها القديمة ... اننا نعيش عصراً يتسم بدخول قوى فتيمة الى المسرح العالمي . لقد ظهرت شعوب جديدة ، واستمادت شعوب اخرى حويتها السلبية . هذه وتلك تشعر بشخصيتها ، وبأن يكون لحضارتها مكان محترم . وطبيعي جداً ان يكون لهذه الشعوب ايضاً نصيبها في توزيع الخيرات والمسؤوليات . »

انطلق الاستعمار الفرنسي في الجزائر من

مبدأ زائف كبير : لقد أرادت فرنسا أن تقاب قطعة من العالم العربي الى قطعة من أوروبا . ولكن هذه هي المشكلة التي مافتتت فرنسا تعمل جاهدة على تذليلها ، على تحويلها الى حقيقة ، وهي في أساسها وواقعها باطل . وتلك في الوقت ذاته هي المؤسسة التي فرض على شعب الجزائر أن يواجهها وأن يجترها ، وأن يكافحها خلال أكثر من قرن وربع قرن . ذلك بأن الاستعمار الفرنسي لم يدخر وسعاً في هذا السبيل : استعباد الجزائريين وإذلالهم ، تجريدهم من هويتهم الاسلامية ، وهويتهم العربية . لقد أمعن في استعمال مختلف ضروب العنف والشراسة والفتك بحق شعب عربي باسل « كان يدافع دفاعاً مستميتاً عن كل شبر من أرضه وعن كل جزء من تراثه العربي والاسلامي » (١) .

ومنذ مئة وثلاثين عاماً أثبتت مشكلة لم تتمكن أية حكومة فرنسية ولا برلمان فرنسي من الاجابة عنها : (٢) ألا يحق للجزائري ، لابن الجزائر بوصفه عربياً يحمي تراث حضارة جميلة ، ولغة وثقافة ، ألا يحق لهذا الجزائري أن يدافع عن هذا التراث وأن يظل منتمياً له ؟ الواقع ان

الاستعمار الفرنسي كان على درجة من العمى لم يمكنه من فهم أي واقع . وأكبر دليل على ذلك ، « الأسلوب السيكولوجي » الذي اتبعه بحق الجزائر ، فقد أخذ ضباط الجيش الفرنسي ، أثناء الثورة الجزائرية التحررية ، ينشقون من كتب ماوتسي تونغ على الحرب السيكولوجية ، ولكنهم لم يدركوا بأن هذه الحرب السيكولوجية التي ابتدعها وطبقها الزعيم الصيني إنما كانت من أجل تحرير بلاده لا من أجل استعباد بلد أجنبي !!

من هذا الزيف الكبير الذي أشرنا اليه ، نشأت أسطورة ما يسمى « بالجزائر الفرنسية » . ان هذا التبشير بجد ذاته ، يعتبر إهانة للمنطق السليم . ان الصورة الأمانة « للجزائر الفرنسية » « تعني أنها تتألف من عشرة ملايين جزائري ، مهمين في الصف الأخير من مجتمع يريد أن يكون حديثاً ومتحضراً ، ومن ثمانمائة ألف أوروبي . قادمين من مختلف الآفاق يتبنون المناصب العليا والوظائف الحساسة ، ويفتصبون ثروات بلد ما انفك يعتبر نفسه بلداً عربياً .. كانوا يقولون لنا

(١) ص ٢٤ .

(٢) كان بلوغ الجزائر استقلالها في هذه السنة هو الجواب الأخير والقاطع على هذا التساؤل .

حين كنا نطالب بحقنا من المدارس ،
اننا غير جديرين بالتربية والعلم ؛ لقد
عمل الاستعمار على تدمير ثقافتنا العربية ،
دون أن يعلمنا ثقافته . أغلق في وجوهنا
أبواب المدارس العليا والمدارس
الفنية ، ليهتمنا فيما بعد بالتخلف وعدم
الكفاءة . والحقيقة هي أن جبهة التحرير
الوطنية قد كونت في مدى ست
سنوات من الفنينين الجزائريين مافاق
عددهم جميع الفنينين الجزائريين الذين
كونتهم فرنسا خلال قرون كامل .
ان النظام الاستعماري ، بحكم طبيعته وجوهره ،
لا يكون طلائع ، بل عبيداً .

على أن اسطورة « الجزائر الفرنسية » لم
تبق مجرد وهم ، ولا محض حلم اخترعته مخيلة
الاستعماريين الفرنسيين لاهواء الناس به . فلقد
صدق المسؤولون الفرنسيون الحلم الذي ابتدعوه
وراحوا يعملون على اقناع الرأي العام الفرنسي
والعالمي بصحة « حقيقتهم » . فكانت تلك المآسي
التي استمرت منذ ١٨٣٠ وحتى آذار ١٩٦٢
اذ تم الاتفاق على وقف اطلاق النار في الجزائر
واعتراف فرنسا بحق الشعب في الجزائر أن يقرر
مصيره - اي استقلاله - بنفسه .

وإذ ان الهدف قد ارتسم في ذهن المستعمر

الفرنسي ، وهو يقوم على جعل الجزائر العربية
« جزائر فرنسية » ، فلا بأس من اتباع اية وسيلة
لبلوغ الهدف . ان على من يتبنى الهدف أن
يتبنى الوسيلة ايضاً ... بهذه العقلية بدأ غزو
الجزائر سنة ١٨٣٠ ، وبهذه العقلية استمرت
فرنسا تتحكم في الجزائر . مادام الهدف محدداً ،
فلتكن الوسيلة ابادة هذا الشعب ، وطمس معالم
تاريخه ، وحضارته ، ولغته . ان على فرنسا ان
تفني شعب الجزائر . اليكم ما كتبه احد الفرنسيين
الذين كلفوا بهذه المهمة : « لقد تركزنا في
داخل الجزائر ، ورحنا نحرق ، ونقتل ، وندمر
كل ما يقع تحت ايدينا . ثمة بعض القبائل التي
مازالت تقاوم ، إلا أننا طوقناها من جميع الجهات
لنسي نساءها واطفالها وأنعامها ... ذلك ، يا صديقي
ما يجب ان تكون عليه حربنا مع العرب . يجب
ان تقتل جميع الرجال حتى سن الخامسة عشرة ،
وان نسي جميع النساء والاطفال ونحترقهم في السفن
ونرسلهم الى جزر ماركيز او الى أي مكان آخر
بعيد . (من رسائل الكولونيل موتيناك ،
سنة ١٨٤٢) .

وتفقد الاستعمار الفرنسي عن ابشع صور
التخريب والوحشية بحق ابناء الجزائر . كانت
الجنود يأخذون سكان القرى والمدن وما عندهم
من بهائم ، فيكدسونهم في كهوف ، ثم يدون
ابواب الكهوف بالطين ، ويتركون الناس في
داخلها يموتون اختناقاً . حدث ذلك لمشرات الالوف
من الجزائريين في ازمة متفاوتة ، في عهود مختلفة ؛
لقد تقلبت على فرنسا عهود سياسية

عديدة ، الا ان العقل الاستعماري
الاجرامي ظل هو هو لم يتبدل بل
امعن في ائمه وظلامه . ان ليل الاستعمار
مظلم ، وقد كان « ليل الاستعمار » في
الجزائر طويلا ، قائما ، رهيبا .

في القسم الثالث من الكتاب ، يتحدث
فرحات عباس عن تجربته وتجربة ابناء جيله ،
ازاء المأساة التي كانت تعيشها الجزائر . لقد
جعل الاستعمار الفرنسي ابناء الجزائر كلهم
يصرفون قواهم ويتجهون باهتمامهم وجهدهم الى
مقارعة الاستعمار . « لم تكن السياسة بالنسبة
لي ، كما لم تكن بالنسبة لعدد كبير من
اصدقائي ، موهبة او مهنة . لقد
دخلنا الى السياسة ، لانه كان علينا
ان نفعل ذلك ... ان شقاء بلادي هو
الذي دفع بي الى ميدان السياسة . ولو
أن فرنسا وجدت حولا عادلة للمشكلة
التي كانت مطروحة على شعبنا ، لكان
من الراجح ان اقتصر في نشاطي على
« العناية بجديقتي » . ولكن امكن لاسان

ان يعيش لنفسه حين يرى آلام رفاقه ، والمظالم
التي تحمل بهم ، قد اصبحت من المشاهد
اليومية الدائمة ؟ ... سألني احد الصحفيين حين

كنت في دلهي الجديدة ، في شهر آذار
١٩٥٩ : « هل تستطيع ان تقول لي ياسيادة
الرئيس ، ماذا كنت تحب ان تعمل ، خارج
العمل السياسي ؟ وأجبت في الحال ودون تردد
كنت احب ان اعمل في الزراعة . »

ثم يستعرض الكاتب فيما بعد تاريخ الكفاح
الذي نهضت به مدينته واهله الفلاحون خلال
عشرات السنوات ، ويبرز الدور البطولي الواقعي
الذي كان يتجلى في سلوك ابناء الجزائر ، وهم
يواجهون اعنى قوة استعمارية عرفت الشعوب .

« لم يعرف أحد استعماراً فاق في
غشمة وطاغوته ، استعمار فرنسا
للجزائر . وما من نظام استعماري بلغ
الشراسة في تحطيم شعب مغلوب على
امره ، كالنظام الاستعماري الفرنسي ..
حين كان الجزائري يقول للشعرين
الفرنسيين انه عري كان هؤلاء يجيبونه :
« لا انك فرنسي » فاذا ما وافقهم على
قولهم وطالبهم بالحقوق المنوحة
للفرنسيين ، اجابوهم أنفسهم قائلين :
« لا .. إنك عري » .

كان شعب الجزائر منذ الغزو الفرنسي سنة
١٨٣٠ يندد بعملية الاغتصاب التي قامت بها فرنسا
ويطالب بجلاء قوات الاحتلال عن ارضه . في
سبيل هذا الجلاء ، تحمل نكبات لاحد لها كما

قلنا ، كما تحمل تضحيات لم تترده الا اصراراً على التثبيت بحقه . وازاء هذا الاصرار ، كان لابد لفرنسا من أن تفتح أعينها على الحقيقة ، ولكنها كانت تواجه مطالب الشعب بالكذب . كانت تتظاهر بقبول مطالبه المشروعة وتخفي في الوقت ذاته خططاً جديدة في التآمر والارهاب . كمرة طالبت الجزائر فرنسا ان تحترم حقوقها ، أن يعامل الجزائريون على أقل تقدير ، كما يعامل الفرنسيون انفسهم ، ولكن فرنسا ، وهي تسمع هذه المطالب كانت تريد من اساليب العنف والهمجية : كان شعب الجزائر يطالب بالمساواة مع الشعب الفرنسي ، رغم علمه وبقينه بأن هذا المطلب مستحيل ، « فهو شعب ينتمي الى الشرق الاسلامي ، ينتمي الى الأمة العربية . كان الجزائري في جميع العهود يفخر بقوميته الاسلامية . »

ومع ذلك استمرت محاولات الزعماء الجزائريين في اقناع المسؤولين الفرنسيين بأن الجزائر لا يمكن أن تستمر في السكوت على المنطق الاستعماري وما يتجلى به من سيات وإرهاب وخراب . ولم يدخر هؤلاء الزعماء فرصة ولا وسيلة إلا لجأوا اليها . غير أنهم كانوا يرتطمون بصخرة صماء على حد تعبير فرحات عباس . كانت النار تتأجج تحت الرماد . كان الشعب بمجموعه يتحين المناسبة لينقض كالصاعقة في طريق تحقيق أمانيه ، وفي السنوات التي انقضت بين ١٩٤٠ وبين اندلاع الثورة العارمة سنة ١٩٥٤ تقدم فرحات عباس ورفاقه من زعماء القيادات الوطنية بالعديد من

المطالب وقابلوا كثيرين من الساسة الفرنسيين ورجال الحكم المختلفين ، فلم يصغ أحد الى تحذير الجزائر واندازها . وكانت سنة ١٩٥٤ سنة القنوط المطلق من أن تدرك فرنسا بأن عليها أن تصلح الاوضاع في الجزائر ان شئت أن يقوم شيء من التفاهم بينها وبين شعب الجزائر . لقد ظلت فرنسا أسيرة النظام الاستعماري الذي هو شقيق النظام الفاشستي على حد تعبير فرحات عباس ، « ولا يمكن لهذين النظامين أن يعيشا إلا على الكذب والعنف . لقد التقياس سنة ١٩٤٠ وتعانقا وتآخيا . اننا نضع وقتنا سدى في محاولة اعطائها طابعاً انسانياً . انهما لا يقبلان الاصلاح . ان الطابع الانساني غويب عنهما . » والنتيجة التي انتهى اليها شعب الجزائر بقادته وافراده من مختلف فئاتهم ، هي ان من لعب التفاهم بصورة سامية وشرفه مع فرنسا على ايجاد حلول مناسبة ، وان على الجزائر أن تحمل السلاح حين تتمكن من ذلك . هذا ما حدث يوم الاول من تشرين الثاني ١٩٥٤ حين اعلن مجلس الثورة الجزائرية الكفاح .

في القسم الرابع من الكتاب يتحدث فرحات عباس عن انتقال الكفاح الجزائري من مرحلة الحفاء الى المرحلة السافرة ، مرحلة قيام جبهة التحرير الوطنية وحرب الاستقلال ، وهو يستشهد بجملة للكاتب الفرنسي الحر فرانسيس جانسون

Francis Jeanson من كتاب « الجزائر للتمردة على القانون L'Algérie hors la loi » : « من الضروري أن يكون ثمة نوع من الوحدة في الكفاح . ولكن هذه الوحدة تتجسد وتتلور ، في الكفاح ذاته . »

بدأ الكفاح الاخير بقيام حزب الشعب الجزائري Parti du Peuple Algérien سنة ١٩٣٧ . وقد تشكل الحزب من نفر من الجزائريين الوطنيين ، من ابناء الشعب السكادح ، وأصدر جريدة اسبوعية « الشعب » باللغة العربية ، فا أن ظهر العدد الاول منها حتى قامت السلطات الفرنسية باعتقال هيئة التحرير وزجت اعضاءها في السجن ، وأذاقتهم ألوانا من التعذيب الرهيب . ثم اعتقلت اعضاء آخرين من قيادة الحزب ، وظنت انها قضت على نشاطه . غير ان الحزب استمر قائماً ، بل ازداد قوة بانضمام مناضلين جدد اليه . وفي سنة ١٩٣٩ أصدر الحزب جريدة اسبوعية باللغة الفرنسية « البرلمان الجزائري Le Parlement Algérien » غير أن عمرها لم يطل . فقد قامت الحرب العالمية الثانية في ٢٩ ايلول ١٩٣٩ ، وصدر قرار فرنسي بحل حزب الشعب الجزائري وإيقاف جريدته . وهكذا أصبح نضال الحزب سرياً ، خاصة وأن كثيراً من زعمائه قد اعتقلوا وحكم عليهم بالسجن دون حجة قانونية . وكان السجن بالنسبة اليهم مناسبة ، جعلوا منه مدرسة ، يتبادلون فيه آراءهم الثورية ، ويضعون خطط الكفاح التحرري . كانوا يلقون المحاضرات والاحاديث على باقي السجناء الجزائريين

ويوضحون لهم أهداف الحزب وغايته في النضال من أجل حرية الجزائر ، من أجل استقلالها . ويمكن القول أن خبيرة الاستقلال الذي نالته الجزائر في هذه السنة ، قد بدأت في السجون والمعتقلات .

في سنوات الحرب العالمية الثانية كان الشباب والطلاب والعمال الجزائريون يزيدون من ثقافتهم القومية ، ويزدادون تأهباً واستعداداً للمعركة . وظهر فرق واضح بين جيل الآباء وجيل الابناء . فقد أخذ هؤلاء ينظرون الى التحرر الوطني من اطار الصراع الانساني القائم بين معسكرين في ذاك الحين ، وانتشرت آنذاك مبادئ روزفلت بحق الشعوب في التحرر من الجهل والفقر والمرض . ورغم ان شعب الجزائر كان يتساءل فيما بينه عن مصير الانسانية ، وعن مصيره في الصراع الذي كان قائماً ، فان قضية تحرره الخاصة لم تغب عن باله مطلقاً .

وازداد الشعور الوطني لدى اجيال الشباب الجزائريين تأججاً حين نظمت فرنسا المذابح الرهيبة سنة ١٩٤٦ في منطقة صطيف وغلمه . وعاد حزب الشعب ينظم صفوفه من جديد ، كما اشتد نضاله السري . « وتجلت ارادة التحرر بكل قوتها وعنفوانها عند جماهير الشعب ، فأصبحت تؤكدها بمختلف الوسائل على أن تمارس حياة قومية صحيحة . » وانبثقت عن حزب الشعب حركة جديدة اسميت حركة التنظيم الخاص

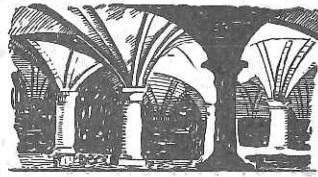
« أصبح علينا ألا نضيع الوقت، ان العدو يتربص بنا ، وهو يمتلك وسائل قوية ، ونخشى في أية لحظة ان يكتشف جهازنا الثوري الذي تعبنا في تنظيمه ، ان جهاز البوليس مخيف . ويجب ألا نوفر أية حيلة » .

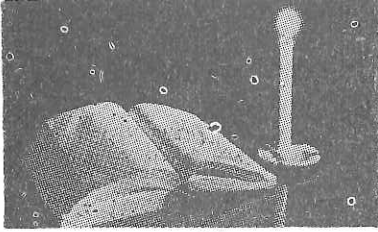
وهكذا انطلقت الرصاصات الاولى من حرب الجزائر الظاهرة ، صبيحة اليوم الاول من تشرين الثاني ١٩٥٤ . وما لبث أن امتد لها الى جميع انحاء الجزائر . « لم يكن شبابنا وحدهم هم الذين صعدوا الى الجبال لينتصروا أو يستشهدوا ، بل لقد رفع شعبنا كله رأسه ، وأصغى الى نداء الحرب . وأدرك انها تختلف عن سائر الحروب التي سبقتها ، والتي عرفها آباؤنا ، بل ادرك أن هذه الحرب هي حربه بالذات . »

هكذا انصهرت « جبهة التحرير الوطنية » بالشعب الجزائري ، وهكذا تحول شعب الجزائر بأسره الى « جيش التحرير الوطني » . وكان طبيعيا ان ينتصر الشعب ، لان قضيته عادلة ، ولأنه لم يعد ثمة سبيل الى التريث أو المهادنة .

وهي ذات طابع عسكري كانت مهمتها الاعداد لحركة التمرد الشعبية . وقيام هذه المنظمة بدأت الروح الثورية تتجسد ، فكان عدد كبير من المناضلين الشباب الجزائريين يذهبون خفية الى الجبال ويمارسون التدريب على استعمال الاسلحة وراح فريق منهم يتخصصون في اصلاح الاسلحة وتنظيم العتاد العسكري ، ووضع خطط عملية للكناح . كان التدريب على غاية من التنظيم وفي جو من السرية التامة . كان النظام دقيقاً . وبدأ تنظيم حرب العصابات وحرب الفدائيين . كانت قيادة المنظمة تختار لعمليات التدريب شباناً موثوقين شجعاناً ، كانت تعيهم تعبئة عسكرية غير محدودة الأجل .

في سنة ١٩٥٠ كانت المنظمة قد اعدت العدة لاشعال الثورة في الجزائر ، الا ان حادثاً اعتباطياً اخرق جعل سلطات الامن الفرنسية تكتشفها وتتعب آثارها ، فاعتقلت عدداً من زعمائها من بينهم بوضياف وبن يلا وبن طوبال وبوصوف ، وهكذا تأجل مولد انطلاق الثورة . وعادت المنظمة الى تنظيم صفوفها من جديد ، وما ان جاء صيف سنة ١٩٥٤ حتى كان كل شيء جاهزاً للانطلاق في الساعة المحدودة .





شعراء نجد المعاصرون

تأليف الاستاذ عبد الله بن
ادريس في ٣٠٠ صفحة من
القطع المتوسط طبع دار
الكتاب العربي بمصر سنة ١٩٦٠

نقد وتحليل الدكتور زكي المحاسني

ألا حيا نجداً ومن حل بالحي

وحق لنجد عندنا أن تكبرما
بيت من الشعر دار على لساني ، كنت أدمدم
في إنشاده تطريباً ، وتندفع النفس تواقاً الى
مشاهدة هاتيك الربوع التي كانت في دنيا العرب
مطالع الشعر .

وراح بيت آخر يزاحم هذا البيت في إنشادي
إذ جاء يحمل في طياته لهفات هوى من قول
شاعره ، وهو يخاطب محبوبته التي ولهته حباً
وضاع خبره في ضمير الزمان ، كما ضاعت هي
في الوجود:

إن تهمني فتامة وطني
أو تنجدي إن الهوى نجد

لقد أخذت أذكر هذا الشعر ، وأنا أرى
الى كتاب (شعراء نجد المعاصرون) لمؤلفه
الاستاذ عبد الله بن ادريس . وقد جعله في
شطرين ، واحد جاء دراسة للحياة الادبية العامة
والافكار المتعلقة بموضوع الشعر والادب ، وما
كان من أمر الشعر المعاصر وتدرجه وتطوره ،
وما نصيب البلاد النجدية منه ومن شعرائها .
وإبراز غاذج من آثارهم ، وهو الشطر الثاني .

وقد طافت بي نشوة فكرية ، حين أخذت
أسرح النظر في هذا الكتاب ، وأجده هبة من
هبات الشعر تطيف أنسامها بنجد ، رقراقة
هفهافة . ففي كلام المؤلف الفاضل على «مركز نجد
في الشعر» إلمامة مختصرة وموضحة للغرض الذي كان
من أجله الكتاب . ولكن مهما يكن من أمر
الاقتضاب والاستغناء ، فإن بحثاً إذا تناول الشعر
في نجد ، لا بد له من أن يشير - ولو بتعريض
عابر - الى كتاب (في الادب الجاهلي) للدكتور
طه حسين ، إذ كان في تاريخه الادب العربي
الحديث قد أبان منذ سنة ١٩٢٦ ما لنجد من
المتزلة العليا في شعر العرب وإصدار الشعراء

الأقدمين . وهذا ما لم أجد أثراً له في كلام المؤلف على « مركز نجد في الشعر » وأنا عذيره ، إذ كان كلامه سيجتبه الى نجد المعاصرة لا العابرة .

ثم اتجه بعد ذلك الى معالجة موضوع خطير ، لا يستطيع أي باحث مهما يحدق الكلام إلا أن يسه بقفاز من حرير . وهو موضوع الفكرة الوهابية ، والاصلاح الاجتماعي وحرية الرأي التي كان « محمد بن عبد الوهاب » من أوائل الداعين اليها في العصر الحديث ، فأخذ المؤلف القطر ينضو عن دياره مانثب فيها من التهم حول ذلك الأمر ، حتى أبان حقيقة النهضة الفكرية المعاصرة في بلاده . ولم يكن الدكتور طه حسين ، وهو معلم الأدب في هذا العصر ببعيد عن المؤلف الذي رأى في كلامه على (الادب في جزيرة العرب) عناية بالشعراء النحديين الذين دعموا الحركة الفكرية ومشوا في التطور المعاصر .

ويبدو المؤلف ، في هذا الموضع من كتابه ، في أدق ما يتصرف فيه من البحث إذ يصور الثقافات التي تتلاطم ، وما يؤدي تلاطمها من التطور ، فنجد نجداً في معزل ، وأن ماصدر منها كان من نتاج أرضها وجوها ، وأن ليس من دامر قد دمر عليها غريب يمكن أن يحدث حدثاً في الفكر والشعر ، وقد تبينت أن المؤلف ذو منهج علمي في بحثه ، يريد أن يطبع بطوابعه الأدب ، إذ كان يقسم آراءه ويترجي بها واحداً بعد واحد ، وهو يضع ملامس القارىء على تلك الأفكار ، فهو في كلامه (على الشعر المعاصر وعوامل تطوره) عرضه في معارض عامة ومظاهر

خاصة ، ثم أعاده إلى المباسم العريضة الكبرى ، فتنبع ما أثر في تطور الشعر العربي المعاصر ، ذا كراً في ذلك أثر التعليم والفتح الفكري الغربي ، وما هزت في كيان العرب نكبة فلسطين وسوى ذلك من عوامل الاستعمار ، وما كان لرفد الصحافة والاذاعة والمكتبات من أثر في الانبعاث بعيد .

ولم يفوت على قارئه اللبيب الصراحة الضاحية في ايراد الحكم ، واستخلاص النتائج ، ومن هنا بلغ اعجابي مبلغاً واسعاً ، إذ وجدت مؤلفاً واعياً ، بين يدي الشعر المعاصر في بلاده ، يتبسط في نظراته العلمية الختمية ، من أجل الادب ، وقضية الفكر . وفي دراسته للاتجاه الشعري في نجد تراه كثير العلم بتأثير الأرض على منابها ومغارسها ، فيرى الشعر الحديث وليداً بعد القديم ، ويسمي القديم بالشعر التقليدي وهذا لا أقره في تاريخ الادب لأن تراثنا العربي القديم منذ عهود الشعر في الجاهلية حتى أمسك بطرفها الاخير الشاعر الخالد أحمد شوقي هو بقية بين أيدينا من المنظوم العربي الجبار ، الذي نغالي به لأنه لحم اوطاننا ودمها . إني لا أعد النظامين ، كيفما يقولوا الشعر شعراء في قديمه أو حديثه ، وما كنت أعلم أن صديقي العزيز فيلسوف الادب الدكتور غنيمي هلال سيكون لكتابته في « الرومانتيكية » تأثير في هذا المؤلف اللبق يجعله ناسخاً للشعر القديم من أجل الشعر الرومانتيكي الحديث ، ولو علمت بذلك لكان لي موقف على حله واعادة النظر في نظراته ، وما كنت أعرف له قوله في تقويض تراثنا الشعري القديم .

وقد أخذت مني مأخذها عبارة للمؤلف هي:
(المد الفكري) وكيف أصاب نجداً وشعراءها ،
ثم أتبع القول بعامل لعله هو الأصل في بعث
الشاعرية لدى الشعراء ، وهو « الحب » .

وقد عجبت من المؤلف أن لا يكون شعراء
نجد قد تيمهم « الحب » حتى أصبحوا معاميده ،
فلم يقولوا الشعر في آمادهم المنبطة وما في حياتهم
من صليبة العروبة . ولكن بحسبهم ان أراهم
يتخافون ماخاف منه مواطنهم قيس بن الملوح
العاصري ، وماجر عليه الحب من العنت والتشريد ،
وكان بحسب الحب أن يملأ قلوبهم وجداً نابغاً من
نحو جبل « التوباد » الذي يرقد في سفحه « قيس »
وينوح الصدى عليه في حنادس الدجى ، منذ
موته حتى لياليه في عصرنا ، بدموع ليلى وشعر
شوقي الذي تردده اليد :

إن بشركوني في ليلى فلا رجعت

جبال نجد لهم صوتاً ولا اليد

ثم يتندر المؤلف بطوابعه العالمية التي دلت
عليها مواطن الواقعة في الشعر النجدي والعوامل
التي مشت بالشعراء على أديم الواقع ، بعيدين عن
عوالم التأمل والخيال . وأنا لا أريد لهم ذلك ،
لأن غذاء الشعر في انسراح خيالاته وانسباط
تأملاته ومطالع تهاويله . أما الواقع فجاف ، دعه
لعالم الفلسفة ومدار الاجتماع ، ومجالات العلوم .

وأما قسم الشعراء ونماذج أشعارهم ، فقد بدا
لي في وضعين ، واحد اتباعي والآخر يحاول ان
يكون إبداعياً ، ولم أرد بهذا الرأي شكل
النظم . أما هذا الشكل الذي يعبر به بعض المحذنين
ويريدونه شعراً ، فقد بدا شتيتاً بنثره ، غائم
الفكرة ، في بعضه اضطراب وفي بعضه الآخر
قلة عناية بلغة العرب .

وفي المجموع المختار نماذج من الشعر الرصين
يصح لنجد معه أن تفاخر وان تكاثر ، وهو مليء
بالوعي ، دفاق بالشعور ، يهز الفكر ، ويفرض
وجوده على الادب العربي المعاصر . وهو طاقات
أزاهير من بساتين نجد يطل على شطآن بردي
حاملات نفحات الفوطة الشامية ، وكنت أوشر أن
أجد في تلك النماذج النجدية القصائد والمقطعات
التي تفوح بعبير من عرار نجد فتصور النخيل وحلاوة
التمور ، قصائد حوافل بالنسيم الصحراوي الذي
وصفه لنا شعراء الجاهلية صادراً من مدارات
العروبة في ذلك الحمى القديم الممرح .

ولعلي لا أحرم النفس من ذلك التمني إذ أقرأ
في الكتاب قصيدة (مناجاة نخلة) للشاعر النجدي
المعاصر (ابن جهيمان) فأشتم وأنا ابن القرن
العشرين عطر العرار والقيصوم من صوب نجد ،
وأتمثل أعطاف النخيل متواجة دلالة على أيدي
النسيم .



من وحي الف ليلة وليلة

لمؤلفه فاروق سعد

عرض عبد الرحمن بدر الدين

يقع هذا الكتاب في ٣٢٨ صفحة من الورق الأبيض الجيد وهو من منشورات المكتبة الإلهية في بيروت ويتضمن عرضاً لأثر الف ليلة وليلة في الشعر والفصحة والمسرح وأدب الأطفال ، وقد وعد المؤلف بأن يتضمن الجزء الثاني من الكتاب أثر قصة الف ليلة وليلة في الموسيقى والفنون التشكيلية والسينما والصحافة والإذاعة والتلفزيون .

وقد قسم المؤلف الجزء الأول من كتابه إلى توطئة وتمهيد وأربعة أبواب ، يتضمن كل باب عدة فصول ويختم بتعداد للمصادر التي رجع إليها من اجنبية وعربية . كما تضمن الكتاب عدداً من الصور تمثل نماذج من الدمي المتحركة وغلقات لمجلات الأطفال .

مضمون الكتاب : يبدأ الكتاب بتوطئة

حول أحياء التراث الشعبي وارتباطه بنشوء الفكرة القومية . مستشهداً في ذلك بأقوال الأخوين جريم Grimme الألمانين ، وبوسلايف الروسي ، وماكس مولر الإنكليزي ، وبكت Pectet الفرنسي ... كما يشير إلى بعض الاتجاهات العربية التي كتبت حول التراث الشعبي كأبحاث نوم شقير

ويوسف هانكي الشامي ، وأبراهيم فارس ... الخ ، وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى التعريف بكتاب الف ليلة وليلة فيحدث عن ماهيته وسبب التسمية مستعرضاً في ذلك مختلف الآراء ثم ينتقل إلى زمان ومكان تدوين الكتاب والمخطوطات التي وجدت له فالطباعات الأولى وأولى ترجماته . فالأبحاث التي كتبت حول أصول حكايات الكتاب . ويختتم المقدمة بالحديث عن عالم الف ليلة وما تطرق إليه من بيئات وبلدان وصحاري وأرياف ومواصلات ، فالعلاقات العامة كال تجارية والأعياد ومجالس الشرب والرقص فالنماذج التي وردت في قصص الكتاب من ملوك ونساء وتجار وحر فین وصعاليك وشعاذين وشطار وقطاع طرق . أما بالنسبة للخوارق التي وردت في قصص الكتاب فيقسمها إلى قوى خارقة وأدوات خارقة ، والسحر ، والكنوز ويقول بأن المعارف الإنسانية في الف ليلة وليلة تدور حول الثقافة العامة والأدب ؛ الفنون التشكيلية ، الموسيقى والعلوم ، وينتهي إلى القول بأن كتاب الف ليلة وليلة جزء أصيل من تراثنا الشعبي ، والمؤلف في كل هذا يسير على هدي من كتاب الف ليلة وليلة للدكتور سهر الفلماوي من حيث البحث والتبويب

الباب الأول : يقدم المؤلف لفصول هذا

الباب يبحث لغوي حول الفرق بين كلمتي أسطورة Legende وترهة Mythe ويخلص إلى القول بأن التراث الشعبي العربي يجمع بين مقومات الأسطورة والترهة بينما التراث الشعبي الأوروبي يميز بين مقومات كل على الكلمتين معلاً ذلك بأن

« جماهير الشعب العربي لم تتشأن أن تتخلى عما علق
بذهنها وما انتقل اليها وماتوارثته من معتقدات
طريقة حول القوى الخارقة . » ويقود هذا
البحث المؤلف للحديث عن انواع اوضاع الاسطورة
والترهة قبل ان يستوحيا الفنان واشكال الاستيحاء
العامة والخاصة مع امثله على كل نوع . وفي الفصل
الثاني يتطرق المؤلف للحديث عن مقومات الطاقة
الايمائية في الف ليلة وليلة ، فيقول بأن لهذه
المقومات مظاهر شتى فهي حيناً تكمن في نطاق
الحكايات انما اي الابداء الترهية الاسطورية
وحيثاً آخر تتجلى في الجو الايمائي العام وهو
يشمل الغموض والسياق المشوق والالوان الساحرة
كما تؤلف الناجح والحوار مظهراً ثالثاً للمقومات
الايمائية . ثم يعمد المؤلف الى شرح وتقسيم كل
حالة من الحالات الثلاث مستشهداً في ذلك بأمثلة
من قصص الف ليلة وليلة . وفي نهاية الفصل الثاني
يعرض الكاتب الى اثر قصص الف ليلة في الشعر
الملحمي البيزنطي وفي الشعر الملحمي الالماني ، أما
في الأول فيظهر هذا التأثير خاصة في ملحمة ديجنيس
اكريتاس (Digenis Akritas) التي ترجع الى
القرن العاشر ثم يعرض موجزاً عن هذه الملحمة
ويقارن بين اسماء شخصياتها وابطالها وبين امثالهم
في حكاية عمر النعمان . ويعرض المؤلف خلاصة
للملحمة النيبلو نجلد (Nibelung euleid) التي
ظهرت في جنوب المانيا في القرن الثاني عشر
ويبرز اثر الف ليلة في هذه الملحمة فالحاتم السحري
الذي ورد فيها هو حاتم سليمان ، وطاوية الأخفاء
بما تؤديه من خلافات هي نفسها التي في الف ليلة

وسيف نوتونج هو سيف الشمردل ... الخ ،
وفي الفصل الثالث من هذا الباب يتحدث المؤلف
عن اثر الف ليلة وليلة في قصائد الامثال الفرنسية
فيقول بأن التأثير يظهر عند فلوريون (Florion)
في قصة الاعمى والمقعد . أما التأثير في الشعر
الرومانتي في القرن التاسع عشر فيظهر في
شقيقات هيجو وفي الديوان الشرقي لحوته وفي الأدب
كوبلاي خان لكولريدج ... كما يظهر التأثير في
الرمزي الاوربي فيعتبر ان مواد قصص الف ليلة
وليلة هي مواد خام لحلق صور شعرية تجرد
الواقع الذي هرب منه الشاعر الرمزي . ويفرد
الكاتب الفصل السادس من هذا الباب لأثر الف
ليلة في الشعر العربي الحديث فيقول بأن هذا
الاثر يبرز في ثلاث مجالات : الاول يختص بأثر
شخصية شهرزاد ، والثاني يتعلق بأثر بساط الريح
في شعر المهجر والثالث يدور حول شخصية
السندباد البحري . ثم يورد المؤلف امثلة شعرية
لكل من هذه الانواع الثلاث كقصيدة شهرزاد
أو سحر الحديث لعباس محمود العقاد ، وليالي
شهرزاد لاجد خميس ، والحريم لعبد الوهاب
البياتي ، وشهرزاد القرن العشرين للدكتورة
عائكة الخزرجي ... الخ هذا بالنسبة للمجال
الأول ، أما بالنسبة لبساط الريح فيورد قصيدتين
الأول هي بساط الريح لفوزي المظوف والثانية
لجورج صيدح . اما المجال الثالث فان المؤلف
يستشهد بصورة عدة قصائد منها السندباد البري
لتجيب سرور ورحله في الليل لصالح الدين عبد
الصبور ، ووجوه السندباد لخليل حاوي ومدينة

السندباد لبدر شاكر السياب .. الخ، وفي كل من هذه القصائد يحلل اديباً بعض مختارات منها ليدل على تأثر الشعر العربي الحديث بسندباد الف ليلة وليلة.

الباب الثاني : الف ليلة وليلة في القصة

يعقد المؤلف في التمهيد لهذا الباب مقارنة بين تأثير الف ليلة وليلة الشفهي في القصة وتأثيره في الشعر ويبرز اوجه الخلاف في ثلاث نقاط : من حيث الزمان والمكان ، والشكل ، والموضوع . ثم يورد عرضاً سريعاً لمضامين فصول الباب ، ففي الفصل الأول يشير الى أن المستشرق ج. ب. ثرند كان اول من اكتشف الصلة التي تربط الف ليلة وليلة بسيرة الفارس سيفيار في مقال نشره في كتاب تراث الاسلام . ويتحدث في الفصل الثاني عن الاثر في القصة الايطالية في القرن الرابع عشر ويقول بأن المستشرق ه. ر. ج. ب. اول من نبه الى اثر الف ليلة وليلة في القصة الايطالية في القرن الثامن عشر وان التأثير في القرن الرابع عشر يظهر في مجموعة الديكاميرون والصباحات العشر ثم يورد مقارنة كتبها الدكتور ضياء خلوصي بين مجموعة الديكاميرون والليالي . وفي الفصل الثالث يظهر اثر الكتاب في القصة الانكليزية في القرن الخامس عشر فيقول نقلاً عن جب « ان قصة شوسر (Chaucer) المسماة حكاية الفارس الغلام ليست غير واحدة من قصص الف ليلة وليلة »

اما الفصل الرابع من هذا الباب فيدور حول اثر الف ليلة في القصة الاجتماعية الاوروبية في

القرن الثامن عشر ويقول بأن التأثير نلمسه في الرسائل الفارسية لونتسكيو مما جعل فيام (Fiam) يقول : « ان الرسائل الفارسية كثيراً ما تعطينا فكرة على انها قطعة من الف ليلة وقد البسها الفليسوف الحر لباساً جديداً » ثم تطرق المؤلف الى اثر الكتاب في القصة الاجتماعية الانكليزية . اما الاثر في القصة الفلسفية فانه يظهر جلياً في قصة صادق (Zadig) لفولتير الذين يعترف بأنه لم يصبح قاصاً الا بعد ان قرأ الف ليلة وليلة اربع عشرة مرة ، ثم يورد المؤلف بعض الامثلة من القصص الانكليزية ليوضح اثر الف ليلة في هذه القصة كقصة رؤيا ميرزا (The vision of Mirza) لأويس . وتاريخ الخليفة الواثق لوليم بكفورد وقصة راسلاس امير الحبشة لصموئيل جونس وفي الفصل السادس يتحدث المؤلف عن الاثر في القصة الداغرية والالمانية ويقول ان التأثير يظهر منذ القرن الثاني عشر في القصص الشعبي الالمانى الذي جمعه الاخوان غريم كقصة الروح المسجونة في الفينة وفي القصة الداغرية المشهورة تكهن شيخ الجبل وقصة علاء الدين . وينقل المؤلف بعد ذلك للحديث عن الاثر في القصة الاوربية في القرن التاسع عشر متشهداً بقصة الكونت دي مونت كريستو لاسكندر دوماس الاب . فيقول بأن المؤلف اراد ان يقدم شخصية تضاهي شخصيات الف ليلة في غموض ما فيها وفي حصولها على الثراء المفاجيء كما يتردد في القصة تسمية السندباد البحري وكنوز الف ليلة وليلة . اما الاثر في القصة الاميركية وفي القرن التاسع

في القرن التاسع عشر عندما وضع مارون النقاش مسرحية بعنوان « ابو الحسن المغفل وهروت الرشيد » ثم تلاه احمد « ابو خليل » القباني فاستوحى ثلاث مسرحيات وهي : هرون الرشيد مع الامير غانم بن ايوب وقوت القلوب « وهرون الرشيد مع انس الجليلس » والامير محمود ونجل شاه العجم « كما استوحى محمود واصف الف ليلة و ليلة في مسرحية « هارون الرشيد مع قوت القلوب وخليفة الصيد » . وفي مطلع هذا القرن وضع توفيق الحكيم مسرحيتين استوحاهما عن الف ليلة وليلة وهما علي بابا ، وخاتم سليمان وقد مثلتا سنة ١٩٢٢ ثم مسرحية شهرزاد لتوفيق الحكيم سنة ١٩٤٣ ومسرحية سرشهرزاد لعلي احمد با كثير التي مثلت سنة ١٩٥٣ ويورد الكاتب ملخصاً لهذه المسرحيات مظهراً اوجه الشبه ومدى الاقتباس .

ح- الف ليلة في المسرح الاوربي المعاصر

يعرض المؤلف ملخصاً لمسرحية شهرزاد لمؤلفها جول سورفيل وبدل اثناء عرضه لتأثر هذه المسرحية بألف ليلة وليلة .

د- الف ليلة في صندوق الدنيا وخيال

الظل ومسرح الدمى : يقدم لهذا الفصل بتعريف كل نوع من الانواع الثلاث مع لمحة تاريخية عن نشوء كل منهم . ثم يبرز التأثير الملموس في مسرحية علاء الدين والفانوس العجيب التي مثلت على مسرح الاكسجورغ سنة ١٩٤٦ في فرنسا . اما في تشيكوسلوفاكيا فهناك مسرحية

عشر فيظهر عند ادغار آلن بو في قصة حكاية شهرزاد الثانية بعد الالف . ويختتم بحث الاثر في القرن الماضي عن تأثر ادبنا الشعبي بقصص الف ليلة الذي يبرز في حكايات الشيخ المهدي التي جمعها العالم الفرنسي مارسيل من مصر اثناء حملة بونابرت . ويخصص المؤلف الفصلين الاخيرين لبحث اثر الف ليلة في القصة الاوربية والاميركية الحديثة ثم القصة العربية الحديثة . اما بالنسبة للاثر في اوربا واميركا فيشير الى بعض المؤلفات امثال : ترميل شهرزاد لهنري دو روني وقصة شهرزاد للكاتبة الرومانية هيلين فكاريكو وتكداد تكون نسخة عن مثيلاتها في الف ليلة وليلة ويعتقد الدكتور صفاء خلوصي ان هنالك صلة بين اقصوصة او هنري المسماة وجبة الطعام وبين حكاية علي شار وزمرد الجارية . ويظهر الاثر في القصة العربية الحديثة في مؤلفات الدكتور طه حسين « بين اخنتين » وحسن مظهر « الف ليلة وليلتان » وفتحي غانم « شهرزاد والساحر » وتوفيق الحكيم « امام حوض الممر » واحمد الصاوي محمد « عذراء تناجي شهريار » . الخ

الباب الثالث : الف ليلة وليلة في المسرح

يتضمن هذا الباب اربعة فصول :

أ- اثر الف ليلة وليلة في المسرح الاوربي الكلاسيكي وخاصة الاسباني والانكليزي اذ يجد الدكتور صفاء خلوصي اوجه شبه بين مسرحية عطيل وحكاية قمر الزمان ومعشوقته .

ب- في المسرح العربي . نشأت هذه الصلة

كفاح الشعب السوري

تأليف الرائد احسان هندي

منشورات ادارة الشؤون
العامة والتوجيه المعنوي ٢٧٢
صفحة من القطع الكبير

عرض قلم التحرير

.. كفاح الشعب العربي السوري منذ عام ١٩٠٨ حتى ١٩٤٨ دراسة تاريخية عسكرية ألفها الرائد احسان هندي وفازت بجائزة الامجاث القومية العسكرية لسنة ١٩٦٢ وان لمحة خاطفة حول الكتاب لتجعلنا ندرك قيمة الجهد الكبير الذي قام به مؤلف هذا الكتاب ، فهو قد صور فيه كفاح شعبنا الحقيقي منذ حارب ضد الاحتلال

التركي وقال المؤلف في بداية الفصل الاول مشيراً الى ذلك « اجتاحت السلطنة العثمانية في اواخر القرن التاسع عشر ريح عاتية هي «روح القومية» فقد هب كل شعب من الشعوب التي كانت خاضعة لهذه السلطنة يطالب بالاستقلال او بالحكم المركزي يدفعه لذلك تشبهه بتلك الروح الجديدة التي تجعل لكل امة تملك مقومات تميز بها عن غيرها من الامم ، الحق في إنشاء دولة مستقلة يصرف ابناءؤها شؤونهم بأنفسهم بدون وصي اورقيب. »

ثم اشار المؤلف الى مراحل النضال ضد الاحتلال التركي بتفصيل دقيق وتاريخي مؤيد بالارقام والشواهد ، ثم عدد اسماء الجمعيات التي أسست لتناضل من اجل فكرة الاستقلال حتى فترة الثورة العربية الكبرى فيقول المؤلف « وقد كان للسوريين اثر بارز في هذه الثورة ، فهم الذين دفعوا الشريف حسين للقيام بها بعد أن



قنديل علاء الدين . وقد قدمت فرقة سيرجي اوراتزوف الروسية سنة ١٩٦٠ مسرحية علاء الدين والفانوس السحري في بيروت .

الباب الرابع

الف ليلة وليلة في ادب الاطفال

يورد المؤلف اسماء بعض القصص التي ظهرت باللغة الفرنسية في مجموعة لاروس La rousse للناشئة كقصص علاء الدين ، السندباد البحري ، تاجر بغداد ، النائم اليقظان . ثم مجموعتي (تالنديه وياس Bias) الفرنسيين واخيراً مجموعة مارتن (Marthen) الالمانية لكتابتها ويلهام هوف

كما يوضح اثر الف ليلة في ادب الاطفال السينائي المعروف بالفانوس السحري وفي ادب الاطفال السماعي المعبأ في اسطوانات تناع على الاطفال أما بالنسبة للناشئة العرب فهناك مجموعة كامل كيلاني ومجلات سندباد وسمير ، وعلي بابا وبساط الريح .

هذا عرض موجز لما ورد في الكتاب وقد تقصى الكاتب كل ما كتب حول الموضوع ثم اخرج في كتابه الذي تقتفر اليه المكتبة العربية كل الافتقار اذ أنه دراسة جديدة موفقة لموضوع جديد جدير بالبحث والاهتمام .

التي حدثت ما بين عامي ١٩١٩ - ١٩٢٦ .
والتي قام بها اول مقام صبحي بركات وبعض
اقاربه .

وتحدث المؤلف في الفصل السابع عن ثورات
المنطقة الشرقية التي قادها مرعي الملاح .

وانتقل في الفصل الثامن للحديث عن ثورات
المنطقة الوسطى فشرح بأسهاب ثورات تـدـكـلـخ
وحماة وحمص والقصير والمهمل والقلمون والصحراء
التدمرية .

وفي الفصل التاسع تحدث عن ثورات المنطقة
الجنوبية الغربية وابتدأ بثورة منطقة الشوف
البنانية وفي مناطق سورية اندلعت في وادي
العجم والجولان والحرمون ووادي النيم .

وهكذا اخذ الكاتب ينتقل في بقية الفصول
فيؤرخ الثورات المختلفة التي كانت تندلع في كل
مكان من ارض سورية العربية والتي اكدت
للمستعمر الفرنسي ان شعبها اكثر الشعوب حبا
للحرية والعزة والكرامة .

وفي الفصل الثاني عشر تحدث المؤلف عن
نتائج كل هذه الثورات اقتصادياً واجتماعياً وقومياً
وسياسياً .

وينتقل المؤلف فيما بعد للحديث عن مرحلة
الاستقلال والجلاء ودور سورية الطليعي في قيادة
الامة العربية نحو معارك الاستقلال .. هذا الدور
العظيم الذي أثمر أعظم مما كان يتوقع له .. فتتالت
استقلالات البلاد العربية بعد سورية وبدأ الشعب
العربي يمارس حقه في الحياة الحرة الكريمة .

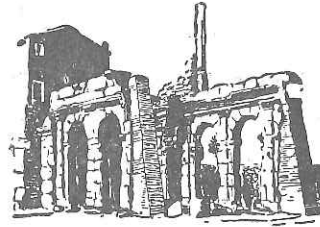
رسموا له خطوطها السياسية وقد فطن الاتراك
لهذا فأراد قائد الجيش التركي المتراجع الانتقام
من السوريين بضرب عاصمتهم الحائلة بالدافع قبل
انسحابه منها في اواخر ايلول ١٩١٨ لولا فطنة
الامير سعيد الجزائري الذي توسط لديه للاقلاع
عن فكرته فتوصل لذلك بعد ان كانت المدافع
قد وضعت على جبل قاسيون لضرب المدينة .
ومن المؤسف ان الحلفاء لم يهابلوا العرب بالاحسان
بل قلبوا لهم ظهر الحن بعد انتهاء الحرب وضربوا
بأمالهم عرض الحائط وكلفت تلك التجربة المرة
كفاح ربع قرن من الزمن لازالة آثارها »

وينتقل المؤلف في الفصل الثاني لعرض مراحل
نضال الشعب العربي السوري ضد الاحتلال
الفرنسي فيبدأ هذه المراحل منذ معركة ميسلون
بكثير من التفاصيل ، فيؤرخ المعارك معركة اثر
معركة ويدعمها بالادلة والخرائط والاحصاءات
الدقيقة ويبرز مراحل النضال ابرازا رائعاً ..
ويصورها تصويراً مفصلاً حتى ليحس القارئ انه
يعيشها وان حوادثها تجري امام عينيه .

وقد قسم المؤلف الاستاذ هندي النضال في
سورية الى مراحل ، وأرخ كل ثورة من الثورات
الكثيرة التي قام بها هذا الشعب البطل ضد الاستعمار
تأريخاً خاصاً بها ، فأشار الى ميزات كفاحنا
السلح في البداية منذ ١٩١٨ الى ١٩٢٨ ثم
بدأ بعرض ثورات المنطقة الساحلية ابتداءً من
ثورة الشيخ صالح العلي مع رسم خريطة مفصلة
لامكنة الثورات التي انبثقت من الساحل السوري ،
ثم انتقل للحديث عن ثورات المنطقة الشامية

والكتاب الى دراسة التاريخ العربي
واحداثه القومية الكبرى ، وتغريهم
بتصوير وقائعه وبطولاته ، وتشجعهم
على الاهتمام بهذه الموضوعات ، ليقرواها
الجيل العربي الناشيء ويجد في مفاهيم
اجداده غذاء وجدانيا وتعبئة قومية ،
فيزيده ذلك ايمانا بقضية امته وتعلقاً
بترائه ، وثقة بماضيهِ وحاضره وفتح
امام عينيه الطريق الى مستقبل مجيد
لا يقل عن الماضي عزة وقوة ومجداً »
هذه الكلمة التي تصدرت الكتاب تجعلنا ندرك ماللآدب
من قيمة وتجعلنا ندرك في الوقت ذاته ماللجيش
العربي السوري من مآثر في كافة الميادين .

وفي القسم الثاني من الكتاب تحدث المؤلف
عن تاريخ جيش سورية العربية منذ أنشئ وتطور
حتى وصل الى ما هو عليه الآن من قوة ومنعة
يها به كل عدو .
وهكذا فقد جاء كتاب « كفاح الشعب العربي
السوري » سجل حافل عظيم لتاريخ نضال
شعبنا .. ومما لا شك فيه ان الرائد احسان هندي
قد بذل جهوداً كبيرة لكي يأتي مؤلفه على النحو
الذي جاء فيه من الدقة في نقل المعلومات والاحصاءات .
وبهذه المناسبة لابد لنا من أن نشيد
بجهود ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي في
تشجيع مثل هذه الابحاث ورصد الجوائز
لها . . . وهذه كلمة السيد القائد العام
للجيش والقوات المسلحة اللواء عبد الكريم
زهر الدين « لقد كانت غاية القيادة من
هذه المسابقات ان تدفع الادباء



في المكتبة العالية

مجموعة شعراء من افريقيا

ترجمتها وقدمت لها اوجيني جالبرينا

عرض وتحليل : خليل الهنداوي

وقد حرصت المترجمة أن تعرض هذه الميول الاجتماعية والفنية التي توضح خصائص الادب الافريقي الحديث ، وتقدم الاسباب التاريخية التي عملت على تطوير الثقافة عند هذه الشعوب .

وكما تقول في المقدمة (ان افريقيا هي قارة مبرقشة بشعوب وقبائل ، والسنة ولهجات ... وفيها ميول مختلفة ، واتجاهات اجتماعية متباينة ... ولكن صورة افريقيا القوية ، الواسعة التي يرسمها شعراء افريقيا على اختلاف بلدانهم ... تدعو الى الاتحاد)

ان غالبية الشعوب الافريقية لا تملك ادبا مكتوباً ، والصفوة المثقفة من هذه الشعوب ، التي حملت لواء الكفاح ، انما اخذت ثقافتها ، ولغتها من معاهد السيد الابيض . وهكذا نجد جل هؤلاء الشعراء ينظمون بالانجليزية ، والفرنسية ، والبرتغالية ، وهناك فئة منهم عاشت في باريس ولندن ، متأثرة بمذاهب الشعراء فيها .

وهؤلاء الشعراء المختارون في هذه المجموعة وان لم يقطعوا من الحركة الادبية العالمية ، فانهم يتمتعون بأصالة عميقة ، وهم بالنسبة الى كل قارئ معرض غني بأثره ، وصوره ، ورؤاه ، يختلف عن كل معرض سابق .

فلما نعرف شيئاً عن الادب الافريقي ... هذا الادب الذي يثل أغوار هذه القارة التي غرقت في الأضواء والظلال . ويعود ذلك الى ان تاريخ اتصال العالم بهذه القارة لا يعود الى عهد بعيد . واليوم بعد أن تبلورت الشخصية الافريقية ، وظهرت الى الوجود ، واستمع الناس الى نضال هذه الأمم التي كانت منسية في سبيل الحرية والاستقلال ، اصبح يهتما ان نعرف ملامح هذا الادب الذي علا صوته في غمرة هذا النضال . ولم يأن بعد للأدب العربي ان يستمتع بالوان هذا الادب ، بلهنتها اللغة الافريقية ، او اللهجات الافريقية التي لا تحصى عدداً بين تلك الشعوب المنتشرة على المروج والسهوب .

في هذه المجموعة التي لاتزال مسطورة باللغة الغريبة نماذج لواحد واربعين شاعراً افريقياً ، ينتسبون الى تسعة بلدان افريقية . هذه البلدان تختلف ، كما يختلف شعراؤها في اعمارهم ، واتجاهاتهم ، ومذاهبهم الفنية .

في هذا المعرض لحة ، أو جملة ، أو لفظة تتمثل
فيها صورة الماضي ، والعادات ، والاخلاق عند
هؤلاء الافريقيين .

ولاشك أن غرابة الالوان ، والالوان - في
هذه المقطوعات - ستثير انتباه القارئ الذي لم
يألف من قبل هذا الشعر المجهول . ولكنه سرعان
ما يألفها ، ويقبل عليها عند هؤلاء الشعراء الذين
ينتقلون الى بلدان مستقلة ، او الى مناطق لاتزال
مستعمرة ، حيث يرى مركز النضال ضد الاستعمار
والتححرر من قيوده السياسية والاجتماعية .

الناس - هنا - يشعرون بانهم ناس ، إن
أيديهم تنحني ، وهم يحطمون سلاسل العبودية .
ان قلوبهم تلتهب ، وهي جديرة بالحرية والاستقلال
ان عقلمهم يبحث بكبرياء ، في اغوار الماضي ، عن
الامثلة الرائعة للبطولة ، ان عيونهم تنظر الى
المستقبل متشوقة متأملة .

ان شعور الشعوب الافريقية قد استيقظ ،
وغما وعيه ، وانه ليس من بنات المصادفة ان
يكون شعراء هذه المجموعة كلهم ، منهم الرجل
السياسي ، والعالم ، والفكر ، والصحافي ،
والعالم ، والحاكم .

انهم شعراء محامون يدافعون عن حقوق
الانسان ، ومعانوا يشعلون في الصدور لهبالحق .
انهم يتحدثون عن انفسهم ، وعن رسالتهم .

فهذا « توماس راهندراها » يقول :

« من اعرق اعماق نفسك ،

من أعلى ما يفور في دمك

من اصفى احلامك ...
من الزم رغباتك
من ابعد رقائك
تنبع قوة ايمانك
صرخة انقاذهم ...
انك لتتكلم ... »

وهذا دينيس « الشاعر ، والرجل السياسي في
« نيجيريا » يتحدث عن « نفسية افريقيا الفتية »
عن « نفسية الملايين الجائعين ، المهانين ،
العراة ، المنحطين » من « هذه النفوس الظمأى ،
التي تنتظر ،

« ان الذي سيشتري كتي
لن يشتري صراخ الأرقاء ،
ولا هوانف آلهة الحديد الايض .
انه سيشتري افكارا مولودة
في مئات الالوف من الفتيان المأخوذون بالمعرفة ،
والنامين على حدود الثقافتين المتخاصمتين
إن من يشتري كتي
سيشتري روح العهر
واللهب الذي لا ينطفئ ، المتوقد في القلوب
المتحفزة للبطولة والالام ،
اللهب المشتعل في اطراف الأرض ،
الذي ينتقم ، ويلتهم ، ويظهر ...

على أن المتناقضات تتوضح في الصور الرمزية :
ازدهار وذبول ، مقاومة وخضوع ، نهار وليل ،
لهيب وظلام .

وهذه الرؤيا المرسومة عن العالم ، التي يختص
بها الشعراء الافريقيين ، لاتبدو فقط في مقامهم

الوجدانية التي يتعالى فيها النداء . وانما تبدو أيضاً
في المقاطع التي يتغير الهمز - ا - فالشاعر (برنارد
دراي) من ساحل العاج يصيح « ان سوادلوني
ليس بعلامة الشقاء » ويجهد ان يحمل هذا النبا
للسننو التي تحمل اسم « فارسة الفضاء » .

وهذا الشاعر « ويليام بلومر » من جمهورية
جنوبي افريقيا ، يصف لنا خراب منزعة ، حيث
الحياة كانت تفور ، واصوات الرجال تمور ...
أما اليوم فليس فيها إلا الخراب والصحراء . وفي
هذه المرة يرسم الشاعر صورة رمزية ، فيتخيل
فجأة في هذا المكان « تلك الأفعى ، في الظلام ،
تلثت بسخريه في كل صباح مضي ، رفيق » .

ويحلو لهؤلاء الشعراء دائماً ان يقارنوا بين
الشمس والظلام . لأن هذه المقارنة هي التي تحدد
دور رسالتهم في عالم اليوم .

والكتاب منهم يأخذون على عاتقهم ان يعبروا
عن وعي الشعوب التي استيقظت بالفعالية التاريخية .
وهم يضعون هذا السؤال الرهيب :

ماذا نحمل الى العالم؟ أية كلمة جديدة نقولها؟
الجواب ليس واضحاً دفعة واحدة . ومقطوعة
الشاعر « ميكائيل » من غانا التي عنوانها « الى
أين تذهين يا افريقيا » تعبر عن هذا التشویش
الروحي الذي يصور تشوف الروح الى الحقيقة :

« يا افريقيا . انك حسرت القناع ،

ولكن ، الى أين طريقك ؟

الى الورا ؟

نحو الزمان الذي كانت تدوي فيه قمقمات الطبول ،

والرقصات تحت الظلال .

وحفيف النخيل الذي تقبله الشمس ؟

الى الورا ؟

نحو أيام الخرافات ؟

لا ... ليس هذا هو الغاية .

اذاً ، الى أين ؟ الى الامام .. ؟

فالى الامام اذاً ،

ولكن نحو أي شيء ... ؟

وهكذا تنتهي المقطوعة بنفس السؤال : ولكن

الى أين طريقك يا افريقيا ؟

وما لاشك فيه ، ان اية مقطوعة ليست مهيأة

للجواب على سؤال معقد ، واسع ، ولكن الذي

يهمنا ان الشاعر يريد الجواب الصحيح .

وبالامكان الجواب عليه بعد توضيح السؤال :

ماهي الكلمة الجديدة المفروضة ؟ هل هي غير

الكلمات التي قبلت ، وتقولها بقية الشعوب؟ وأين

تجد مكانها في المجموعة العالمية ؟

من هنا تبدأ مجادلة الشعراء فيما بينهم .

وتستقطب نظراتهم المثالية المختلفة في هذا المآزق .

ان مصير الفرد ، في أيامنا ، ينطلق من كل

ما يجري في هذا العالم المعقد الكبير ، فالأفكار ،

والأهواء ، ومتناقضات هذا العالم يجب ان تغلق

نفسية الافريقي ايضاً كما تغلقنا .

فهذا - سيدار - الشاعر الذي أوتي

ثقافة عالية وهو فيلسوف وعالم اجتماعي هو

علامة المأساة للآلام التي هي من نصيب الافريقيين

منذ القديم حتى الماضي الذي ليس بعيد . ان له

القصاص كفيلسوف

تأليف جون كروكشانك

ترجمة : قلم التحرير

ودي بوفوار نجد أن القصة ملأى بالمتافيزيك ،
وبما يطرأ عليها من تحولات بسبب معالجتها للمسائل
السياسية والفلسفية والحلقية ، وهي مادعاها بالرو
نفسه « الوسائل الممتازة للتعبير عن مأساة
الانسان ، وليس لتوضيح فرديته . »

أما من حيث البناء فان روايات مورييس
بلانكوت وصاموئيل بيكيت وألان روب غرييه
وجان سيرويل ، تفصح عن اهتمام جمالي ، في حين
أن الأسس التقليدية للقصة - وهي العقدة وتحليل
الشخصية ، ووصف المحيط ومغزى القصة - قد
استبدلت بما أسماه المؤلف : « ميل الكاتب

يقرر المؤلف في مقدمته ان القصة الفرنسية في
ربع القرن الماضي قد اتخذت لنفسها وجهتين
رئيسيتين: الوجهة الاولى من حيث مادة القصة
وموضوعها ، ومن حيث التكنيك أي بناء القصة
وأسلوبها . ففي أعمال مالرو وسارتر وكامو

والقيود الجميلة
التي تشد بعضنا ببعض
الاحياء بالاموات
ان خطوط ايدينا
ليست يضاء
ولا سوداء
ولا صفراء

ان خطوط ايدينا تجمع بين باقات احلامنا .
ليست هي الاساطير ، ولا الاوهام ، ولكن
هي الحقيقة الاجتماعية والتاريخية التي ستجدد
ثقافة الشعوب . .

وليس هو التأمل العاطفي في الانزغال . .
ولكن هو النضال الذي يحرص على التقدم .
ولذلك ، كانت قراءة هذه المجموعة تشير
بهجة الشعور بأن في هذه المجموعة يرن ، عالياً
فعالاً صوت الحقيقة التاريخية .

إيماناً خفياً بان الاتحاد مع الارض والطبيعة يجب
ان يحمل الى العالم دماً جديداً ، طرياً غير مسمم
بالبراهين ، ويجب ان ينطق الكلمة الجديدة التي
ستعيد الازدهار الى الحياة .

ان الشاعر يقول للزنجي « اثبت في عزلتك .
وسوف توقظ بذلك اليتامى والمضطهدين لفجر
جديد ، وسوف تنقذ الغرب القلق » .

على أن عاطفة اتحاد الشعوب من اجل حرياتها
وانتصار القيم الانسانية في العالم الحديث تظهر
عند الشاعر - برنارد داربي - في مقطوعته
الشعرية الرائعة التي عنوانها « خطوط ايدينا » :

« ان خطوط ايدينا

هي خطوط الحياة

والخط

والقلب

والحب

لأن ينجز في الرواية ، نفس التحول الثوري الذي طرأ على الرسم الحديث ، وهو الاستعاضة عن الصورة التمثيلية بالخطوط التجريدية .

ومع أن الاتجاهين يلتقيان أحياناً فإن الخلاف جنري بينهما .

وفي الحقيقة التقى سارتر وغرييه في الموضوع كما التقى كامو وبيكيت في الالحاح على البعث ، إلا أن مناقشة التفاصيل توسع شقة الخلاف بين الجهتين . ففي حين أن آثار مالرو وسارتر ودي بوفوار ماتزال تخضع للتقاليد الروائية القديمة الممتعة في (رؤية مآحدث) وفي التشويق وفنونه نجد أن التوار التقنيين يجانبون هذه الطرق . إنهم لا يولون موضوع القصة أي اهتمام . وكما يستحيل علينا أن نتصور بطل مالرو منهمكاً في واجباته الزوجية أو في مهنته ، كذلك يهسر علينا أن نجد بطل غرييه سارداً في أفكاره الحزينة وهي تتداعى بطريقة التحليل النفسي .

أن الكتاب الذين يدعون (الميتافيزيكيين الطبيعيين) قد اعتمدوا بالموضوعات غير الأدبية - وبخاصة السياسة - كي يرفضوا كل المفاهيم البورجوازية التي تهتم بالعقدة والوصف التصويري والتحليل النفسي ، بلانكوت وبيكيت وغرييه وسيرول استأصلوا كل ما يبطئهم بالرواية الأوربية المعاصرة ، وطالبوا الفأريء أن يجثو أمامهم خالي الذهن من أي ظن في أنه سيقبل على ما يشبه (الحرب والسلام) أو (دير بارم) أو (قصة مدينتين) . ومن غرائب الصدف أن (الروائيين الجدد) هم الذين تبنوا حرفياً ملاحظات

سارتر في أن تكنيك القصة يتضمن الميتافيزيك ويكتف اتصال الكاتب بما هو واقعي من خلال أسلوب القص بدلاً من التعليق على معنى عمل مفهوم وهم بهذا المعنى يحولون تكنيكهم إلى فلسفة ، رغم أن غرييه يقول (إن الموضوعات المادية أو وصفها عند الكتاب ، لا تحتوي على أي معنى فلسفي) . وهذا الاختلاف حول معنى العمل ، هو الذي يفصل الروائيين الجدد عن معاصريهم التقليديين .

إن انعدام (وحدة المادة) هو الميزة الرئيسية لكل تلك المدرسة التي يشترك أفرادها في أنهم تركوا لأنفسهم كامل الحرية للتعبير عن وجهة نظرهم الشخصية ، وأطلقوا لرغباتهم العنان في أن تظهر كما تريد . أما الأسرة فإن أعضاء العائلة يتبنون بعضهم بعضاً بدلاً من أن تكون الصلة بينهم بيولوجية عضوية . ولذلك نجد في بعض القصص مجموعة من الأبطال لا تربط بينهم أكثر من معرفة عادية ولا يجهد أي منهم نفسه في توثيق صلاته بالآخرين .

إن المؤلف يحلل في هذا الكتاب الصغير عشرين قصة ورواية ، وإذا كان تحليله يتصف بأنه ينطلق من أسس نقدية واضحة ، كما نرى ، فإن ضيق الحيز يفقد عمله الدقة التي تلزم ناقد أمثله لبيان أسباب الغموض مثلاً عند كامو ، ولوركنز بحثه في قصة واحدة واستشهد بجوانب من بقية القصص لايضاح أفكاره لجأت دراسته واقفة كاملة .

مع القصة السورية

الثوار مروا ببيتنا

قصص لعادل ابو شنب

١٠٠ صفحة من القطع المتوسط

من منشورات وزارة الثقافة
والارشاد القومي في سورية

عرض وتحليل : زكريا تامر

عندما يقدم على الكتابة انسان يتميز باخلاصه لوجوده وفنه وأرضه ، فلا بد ان ثمة صوتاً ملحاً عميقاً يخفزه لقول شيء ما عن حياة البشر ، وسيكتسب هذا القول بشكل عفوي طابعاً مميزاً نابهاً من رؤية الكاتب الخاصة للعالم والناس . وهذه الرؤية هي التعبير الخفي عن الاصاله والموهبة .

وعادل ابو شنب في مجموعته القصصية الثالثة (الثوار مروا ببيتنا) يختار غداً من البشر ، ويصورها بدقة ، ويرسم ملامحها النفسية والفيزيولوجية ومشكلاتها الحياتية دون ان تفقد هذه الشخصيات او الاحداث صلتها بواقعنا أو أن تتحول الى نوع من التساميل المجرد وتصميم ذهني للعالم وبشره . وشخصيات قصص (الثوار

مروا ببيتنا) هي على الدوام دون فرح ، بائسة ، تلسة ، والسبب يرجع الى ان ثمة عدواً ضارباً يطاردها في حياتها اليومية ، ويسلبها امنها وغبطتها ، ويشوه انسانيتها . ويتجلى في كل قصة من قصص (الثوار مروا ببيتنا) وجه من الوجوه الكثيرة التي يملكها هذا العدو .

فمن هو هذا العدو؟ وما هو موقف شخصيات القصص منه ؟ هل تستسلم وتخضع لجبروته وظلمه أم تتمرد وتكافح للخلاص منه ؟ ان العدو في قصة (الثوار مروا ببيتنا) هو جنود غرباء أتوا من بلاد بعيدة ، وغزوا مدينة لم يولدوا فيها ، فحرموا الاطفال من التمتع بمسراتهم الصغيرة ، ومن يد أبيهم الكبيرة وصدرة العريض الطافح بالحنان والقوة . وحرّموا ايضاً المرأة من رجُلها وملأوا عينها دموعاً . وسلبوا ناس المدينة حريتهم وسلامتهم .

وان التغلب على هذا العدو أمر مرتبط ارتباطاً جذرياً بالاختيار بين حياة العبودية وحياة الحرية . لذلك فعلى الخيل أن تصهل صهيلها الجامح ، وعلى رايات المارك القديمة ان ترتفع ، وعلى الرجال ان يغادروا بيوتهم ، وان يحملوا البنادق ليخوضوا حرباً ضارية ضد عدوهم من أجل استعادة حريتهم والحفاظ على انسانيتهم .

والبيئة ذات التقاليد المتحجرة التي تتنافى مع طبيعة الانسان هي العدو في قصة (حشد من

العيون) فبطلة القصة فطمة ، فتاة في مقتبل العمر ،
فرحها الصغير المشع في حياتها اليومية ينسج من
سماعها الاغاني ومن انتظارها لفارس احلامها الذي
لم يأت بعد . وبطل القصة ماجد ، شاب ، حياته
مجدبة ، ينتظر الحب بضراعة ولهفة ، ومتعته
تكن في مشاهدة الافلام السينمائية وفي الحلم بأن
حياته ستبدل في وقت قريب . وماجد وفطمة
لا يعرف أحدهما الآخر ، ويتلاقيان صدفة وجهاً
لوجه في سوق مزدحم بالناس ، فيتبادلان
النظرات ، ويشعر كل منهما لمدة لحظة خاطفة بأن
الربيع قد أوشك ان يمنحه عطياه السخية ،
ولكنهما لا يجرؤان على هدم الجدار الشاهق
اللامرئي المنتصب بينهما . ولو تبادل الشاب والفتاة
الكلام لهما التفاهم بينهما ولبت ورد المحبة في
قلبيهما .. هذه المحبة التي سيعقبها الزواج والبيت
والاطفال . ولكن الشاب والفتاة اللذين هما نتاج
بيئة لها تقاليدها المتينة واخلاقيها وتفكيرها كانا
يحسان بالناس الآخرين الصالحين حولهما احساساً
طاغياً ، جعلهما لا يجسران على القيام بأي فعل من
أجل الحصول على سعادتهما ، والانتقال من عالم الحلم
الى عالم الواقع ، وهزماً أمام القوة الغامضة التي هي مزيج
من الناس ونفسيهما بالذات ، وظلام مجرد حاليين مدحورين
والتفاوت الطبقي هو عدو طاغ عنيد
في قصة (دمشق القمّة . . دمشق السفح)
فالشاب الفقير والفتاة الغنية ، يجمعهما الحب الذي
يتألق خلال زمن قصير مكثباً صفة الأمل القادر على
القضاء على التفاوت الطبقي ، ولكن هذا الأمل
ما يلبث أن ينطفئ ، ويتلاشى نوره لأن التفاوت الطبقي

ليس هو فقط مسكناً من حجر ابيض وشارعاً
عريضاً وملابس فاخرة وطعاماً دسماً وسيارة اغا
هو غط معين من السلوك والتفكير والاخلاق
والعادات والتقاليد . وينتصر العدو ، ويفترق
الحبان لينزل كل منهما في طبقته مجترأ وحشته .
ومن البديهي ان لا يستطيع فرد واحد أو
افراد قلائل الانتصار على هذا العدو فالقضاء عليه
يحتاج الى جيل ثائر تصرخ العاصفة في قلبه وتدفعه
لهدم كل شيء ليبنى من جديد حياة تسجم
مع رغباته ، وليخلق قوماً تتناسب مع عصره .
والفقر ذلك اللس الابدي هو العدو في العديد
من القصص في قصة (الاحطاب) تقبل الاسرة
الفقيرة ان تزوج فتاتها الصبية من رجل هرم غني ،
ثم لاتقبل شيئاً سوى النحيب والشكوى .
وفي قصة (ابتسامة حزينة صغيرة) يموت رب
الاسرة بعد ان كافح طويلاً للحصول على القوت
اليومي . ان القبر في هذه القصة هو آخر رغبة
يطلبه الانسان من العالم ، وسيكون مقبلاً ان
لا يظفر به ويظل جسده الفاقد الحياة دون قبر .
وتتمكن الزوجة من ايجاد المال اللازم عن طريق
الاستدانة ، وتنصر على العدو ، ولكن هذا
الانتصار هو مؤقت لانه مرتبط بتعاطف قد لا يكون
ثابثاً ولا يمكن الركون اليه .
هذا مايحدث أيضاً في قصة (اشياء ليس لها
ثمن) فشخصيات القصة تقضي على عدوها الفقير
حين تتعاطف ولكن نصرها ايضاً هو نصر يكاد
ان لا يكون حقيقياً ، وهو ليس اكثر من تخدير
لحالة بائسة ، ولن يكون نصراً حقيقياً الا اذا
تبدلت النظم الاجتماعية الفاسدة .

الحزن في كل مكان مجموعة قصص قصيرة لياسين رفاعية

منشورات دار الثقافة بدمشق
٢١٢ صفحة على القطع الصغير

بقلم الياس الفاضل

الحزن في كل مكان ، مجموعة قصص للاديب ياسين رفاعية ، تضم اثنتي عشرة قصة قصيرة ، عالج فيها الكاتب مواضيع مختلفة مستمدة من صميم الحياة والمجتمع .

والقارئ لهذه المجموعة لابد له ان يلاحظ انها تتميز بميزتين اساسيتين اولاهما :

— انها ذات نظرة معينة الى الحياة والكون ، نظرة حزنيه ، دامعة ، متألمة .. فهل فادالكاتب ، بملء حريته واختياره سفينته الى هذا الميناء ، ام ان ربحاً غريبة قد ارغمت زورقه على الرسو ههنا ، في اعماق الظلمة الفاتمة ؟!



وتتميز القصص بمجموعها بأن بداياتها تنطلق من لحظة الازمة في حياة شخصياتها . ولحظة الازمة هذه تضيء على القصص مسحة ناعمة من الشاعرية الصادقة التي تنجلي في صور جميلة .

ويخضع اسلوب السرد في القصص لتوتر غير مصطنع وخال من التكلف ، وهو تعبير عن نلاحم صميمي بين الشكل والمضمون . وتخلو القصص من الاستعمال التقليدي للالفاظ ، وقد نجح عادل في ان يمنح الالفاظ روحاً جديدة جعلت من القصص نثراً باهر الجمال .

ان ياسين رفاعية ، من شباب هذا الجيل ، جبل المأسى والفواجع ، جبل الحيرة والارهاق ، الارهاق من البطالة ، من التسكع ، من التشرذم ، الارهاق من الحياة التي هي اشد مرارة من الموت .. وهو الى جانب ذلك ، انسان موهوب مرهف الحس ، كن يد اصابعه ، على امل ان يلتقط بها قطرة ضوء ، يزرعها سراجاً على طريقي ، وطريق الآخرين ، ولكنه كان يسحبها مسحوفة تحت حوافر الفشل والحياة ، أو بمحمدة بصقيع الزبد والفراغ .. وفي فرن ابيه حيث كان يشوى مع الخبز ، رفع راية التعاسة والانكسار ثم جاء فثله في الحب ، فشرّب كل افراحه واشراقاته ، ذلك ان الحب عندنا نحن الشرقيين الذين تفتت بالظنرات ، يساوي وجودنا ، يساوي حياتنا .. نحن في مطلع شبابنا — لما نعانينه من حرمان — نربط مصيرنا بالتي نحب ، فاذا فقدناها تسود الدنيا في عيوننا ، وتمتلئ آفاقنا بالغيوم الداكنة ، فتتكفى على ذواتنا ، على جراحننا وآلامنا ودموعنا .

ومن هنا جاءت هذه النظرية الحزنية الياثسة في قصص ياسين رفاعية « وفي لحظة خاطفة تمثل امامي الموت الرهيب في بشاعة قاسية وتمت لو تعود بدغالية ، فاعود الى الحياة الرائعة اناضل فيها واجاهد ، ولا افكر بالانتحار ابداً ..

وبدأت اتلاشي ، وراحت افاسي تخنفي ، واحسست ان شيئاً ما ، خفيفاً كطيف ينفصل عني ، وشعرت انني اضيع .. اضيع ..

وفي اعتقادي ان الاديب ياسين رفاعية وقد قطع سني الشباب الاولى ، سيتخلى عن هذه ،

النظرة ، ليأخذ نظرة يكون معها قادراً على
املاء حياتنا بالبهجة والمسرات والاشراقات .

والبساطة هي الميزة الثانية البارزة التي تتميز
بها قصص « الحزن في كل مكان » ، ولا نغني
بالبساطة : السطحية والابتذال ، وانما نغني تلك
التي تصنف بالعمق والامتداد والغنى الروحي ،
فحينما نقرأ احدى قصص المجموعة تحس انك أمام
حوادث لا تبهر ولا تسحر ولكن ماتكاد تنتهي
منها ، حتى تشعر انك فضيت وقتاً ضمن دائرة
تغلي بالحياة العامة بالقططات والمشاهد الانسانية .

وفي اعتقادي ان الاديب كلما استطاع ان يعبر
عن تجربته الذاتية ببساطة مشحونة بعمق النظرة
الى الحياة والوجود ، كان ادبه اكثر قدرة
على التأثير والفعل ، وكان اقرب الى البقاء .

وعلى ضوء ما قدمنا ، الى أي مدى يزيد -
الحزن في كل مكان - في نحو قائمتنا القصصية ؟!

لاشك ان المجموعة هي مدمك بارز في عمارة
القصة السورية القصير ، في هذه الفترة التي يجتازها
الادب العربي بعد ركود طويل أفقده كل الخصائص
والمزايا التي تمكنه من الانطلاق خارج الحدود
الحلية . .

ولعل المقدمة التي كتبها الناقد المعروف الاستاذ
رجاء النقاش تدل على مكانة هذه المجموعة في
القصة السورية يقول الاستاذ النقاش « ان هذه
المجموعة القصصية تتميز بعدة ميزات اساسية ،
واول هذه الميزات الروح الشعرية التي تشيع في
المجموعة ، وهي روح نابغة من عمق النظرة

- ١٦١ -

للواقع وعمق الحياة فيه ... فعندما نقرأ هذه
المجموعة نشعر ان صاحبها يرى مجرى الاحداث
الواقعية في الشعور ، ولا يرصد هذه الاحداث
رصداً خارجياً ... ففي قصة « الحزن في كل
مكان » تمضي الاحداث القليلة لتصنع اطاراً عاماً
لتصرفات البطل ، فعندما ماتت سميرة ، هذه التي
تصبح لرقتها وشفافيتها رمزاً للمأساة .. عندما
تموت سميرة .. عندما تقع هذه المأساة يتلفت
البطل حوله فلا يجد الا الحزن وليس في القصة
حدث رئيسي كبير سوى « وفاة سميرة » اما
بقية الاحداث فهي نفسية اكثر منها واقعية ،
انها صياغة شفاف بسيطة لآحزان نفس متألمة
مسجونة في سجن من الظروف الاجتماعية ومن
طبيعة الحياة التي تحمل المأساة . »

وهكذا يعضي رجاء النقاش في تحليل قصص
المجموعة تحليلاً واقعياً .. ولقد استطاع هذا الناقد
ان يقدم دراسة ممتازة للمجموعة ، فيها اخلاص
الناقد للفكر والفن .

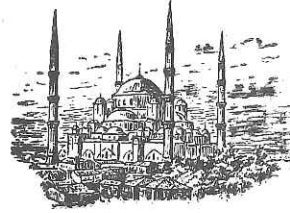
وطبعي ان قصص ياسين رفاعية التي نشرها
بعد صدور « الحزن في كل مكان » قد سجلت
تطوراً كبيراً في اسلوبه المميز الذي يدل على
شخصيته الادبية .

ونحن بصدد الحديث عن « الحزن في كل
مكان » نجد ان قصص هذه المجموعة قد اقتطعت
من صلب الحياة ومن واقع المجتمع ، فقصة الصديد
وارض الديدان سبق ان كتب عنها احد النقاد
في مجلة « الشهر » الفاهرية مايلى « انها تصور
الحياة الآلية البشعة التي نحياها وتكشف عن

الروح المادية المسيطرة على وجودنا ، كل شيء
يشترى بالمال حتى آدمية الانسان ، وتحلل القصة
واقعية الفراغ الذي يغلف حياتنا ، وقد التقطت
القصة زاوية من الحياة العادية التي نعيشها بما فيها
من انفعالات وعواطف يجيش في صدر الانسان
وهذا التحليل للقصة سليم ، وهو يلمس
الروح العامة الشائعة في «الحزن في كل مكان»
وقد التقط الكاتب في مجموعته العديد من

اللوحات الاجتماعية الناجحة واستطاع ان يقدم
لنا عدداً من القصص التي تعد من ابرز قصص
كتابنا الشبان الذين استطاعوا ان يلحقوا بالركب
المتطور للقصة العالمية .

ان مجموعة « الحزن في كل مكان » من غير
شك مجموعة قصصية ناجحة هامة خاصة ولكاتبها
إسلوب خاص استطاع ان يرسم من خلاله مشاكلنا
في أطر شاعرية خلابة .



المراكز الثقافية

العربية

في

سورية

حمص

● قدمت الفرقة التابعة للمركز الثقافي في حمص مسرحية بعنوان « شيطان في بيت » وهي من تأليف مراد السباعي وقد نالت هذه المسرحية الجائزة الاولى لمجلس رعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، وقد حضر المسرحية وزير الثقافة والارشاد القومي الاستاذ رفيق بشور والامين العام الدكتور يوسف شقرا .

● كان مهرجان القصة السورية من أنجح المهرجانات الادبية التي قدمها المركز الثقافي في حمص ، وقد اشادت الصحف السورية بهذا المهرجان واثنت على نشاط الاستاذ عبد المين الملوحي مدير المركز . . وقد اشترك في هذا المهرجان ياسين رفاعية والسيدة ام عصام ووليد مدفعي ، والدكتورة انعام مسالمة ، واسكندر لوقا ، وحضر المهرجان جمهور غفير يربو عدده على الآلاف .

● قدم المركز رواية تمثيلية والفيت بعض القصائد والدراسات وذلك بمناسبة مهرجان «ابي فراس الحمداني » .

دمشق

● اقيمت في المركز امسية قصصية اشترك فيها ياسين رفاعية بقصة عنوانها « الحقد » والسيدة فر كبلاني بقصة عنوانها « دموع وولاي » واسكندر لوقا بقصة عنوانها « بركة الوحل » وقد استهل الندوة بتريف عن القصة السورية قدمتها الأنسة دلال حاتم فرصدت تطور القصة في سورية منذ عشرة اعوام ، ثم اشارت الى مكانة الادباء المشتركين بالندوة من هذه القصة .

● قدم الفنان فاتح المدرس ندوة فنية عن الرسم والنحت .

● قدم البرفورروني هوبغ الكاتب الفرنسي الذي كانت مجلة (المعرفة) اول من عرف به - محاضرة باللغة الفرنسية عنوانها « مدخل الى فن التصوير » وقد رافق المحاضرة عرض صور مختلفة بالفانوس السحري .

● قدم أحمد الجندي محاضرة فكرية بعنوان « الشعر الحديث والعوامل المؤثرة فيه ».

حلب

● « الفروسية في الشعر العربي » عنوان المحاضرة التي قدمها سعاد السمان في مركز منبج .
● اما اسماعيل صدقي فقد قدم محاضرة بعنوان « الادباء ومشكلة المراهقة في مركز منبج ».

اللاذقية

● اقيمت في المركز الثقافي امسية شعرية اشترك فيها الآنسة ليلى كيلاني والشاعر غازي الجندي .

السويداء

● قدم سامي حامد محاضرة في المركز الثقافي بعنوان « في الشعر المهجري » .
● كما القى الدكتور خالد سقا اميني محاضرة بعنوان « فن المحافظة على سنن الشباب » .

درعا

● « مشكلة البترول في الوطن العربي » عنوان المحاضرة التي قدمها فيصل الطعاني في قاعة المركز بدرعا .
● اما الدكتورة انعام مسالة فقد قدمت امسية قصصية قرأت فيها بعض قصصها الجديدة .
● وقدم الدكتور تقولا سمعان محاضرة بعنوان « صحة الطفل واسسها » .

● في المنتدى الاجتماعي قدم الدكتور صادق العظم محاضرة حول المجتمع الامريكي والاحداث الدولية استمع اليها جمهور غفير من المثقفين .

كما قدم الدكتور شكيب الجابري حديثاً بعنوان « الروائي شكيب الجابري »
تقد الدكتور الجابري في هذا الحديث كل انتاجه الادبي .

● في منتدى سكيينة الادبي اقيمت امسية ادبية تحدث فيها نجاة قصاب حسن عن الجمال والتطور الانساني ، كما الفت الآنسة ليلى كيلاني مقتطفات من شعرها العاطفي .. وقد حضر الامسية عدد كبير من الادباء والفنانين والمثقفين .

● وفي جمعية الشبان السريانية اقيمت امسية قصصية شعرية تحت رعاية الدكتور يوسف شقرا امين عام وزارة الثقافة والارشاد القومي اشترك في هذه الندوة الاستاذ اسكندر لوقا في قصة بعنوان « المصارع » وغادة سلهب الحصني في بعض قصائدها عبد الله الشيتي في قصة بعنوان « امرأة من نار » والقي فيما بعد الشاعر كمال فوزي الشرايبي قصائد مختلفة حملت الاسماء التالية : اسم حبيتي ، ميسلون ، غدوبة وروحك ، الى مبدعة ، اغنية الى صبايا بلادي ، تأملات ، وأخيرا القى الدكتور ظافر ابوريشة قصيدة « موت الذئب » وقصيدة « جبل الزيتون »

وفي ختام الامسية هنأ الدكتور يوسف شقرا الادباء المشتركين وشكرته الجمعية لرعايته الامسية وتشجيع نشاطها الثقافي .

ترفع الدراسة الى اللجنة الوزارية في اقرب وقت ممكن .

كتب جديدة

● اهدتنا دار عويدات للتأليف والترجمة والنشر في بيروت مجموعة من منشوراتها الحديثة وهي على التوالي « الاب غوريوبلنزاك — مزيفو النقود لاندرية جيد — من ذكرياتي تأليف عبد العزيز القصاب — فلسفتنا : تأليف محمد باقر الصدر — العقدة السابعة تأليف ثريا ملحس » وسوف نتناول في اعدادنا القادمة بالعرض والتحليل بعض هذه الكتب .

● وفي بغداد صدر للفاص العراقي زهدي الداودي مجموعة قصصية بعنوان « الاعصار » وسيتناول قلم التحرير في عدد قادم من المعرفة المجموعة بدراسة تحليلية .

● صدر للشاعر اللبناني قبلان مكرزل ديوان شعر جديد بعنوان « احبك » عن دار مجلة الغزال للشاعر عدة داووين شعرية ومجموعة قصصية وبحث في نواميس التطور الاجتماعي .

● يعد خضر قنوع موسوعة تاريخية بعنوان « موسوعة العلوم والدراسات العالية ، يبرز فيها دور رجالات سورية مع انجاث واستقصاءات علمية تهدف لخدمة المصلحة الوطنية .

● اصدرت ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي التابعة للجيش العربي السوري الدراسة التاريخية العسكرية الفائزة بالجائزة الاولى لسنة ١٩٦٢ وهي بعنوان « كفاح الشعب العربي السوري - ١٩٠٨ - ١٩٤٨ - لمؤلفها الرائد احسان هندي . وقد

● وفي الندوة الثقافية النسائية استمع جمهور غفير الى سعد صائب الذي قدم محاضرة متمعة بعنوان « شعراء معاصرون من العالم » تحدث فيها عن ثلاثة شعراء معاصرين من الهند وافريقيا والبرتغال . كما قدم عدة قصائد مترجمة لهؤلاء الشعراء .

● احيا النادي العربي بدمشق مهرجاناً خطائياً كبيراً . بمناسبة ذكرى « النكبة » في الاسكندرون وفلسطين ، وقد اقي في هذا المهرجان وزير الاعلام الاستاذ عبد الحليم قدور كلمة قيمة بهذه المناسبة وتحدث محمود الجبان عن النادي العربي وتكلم فؤاد جبارة عن « اسكندرون » اللواء السليب . ثم قدمت السيدة عفيفة شما كلمة عن المرأة العربية ، وختم الشاعر ابوسلمى المهرجان بقصيدة عن فلسطين المغتصبة .

● اجتمعت اللجنة الوزارية المكلفة بدراسة اوضاع المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية والمجلس الاعلى للعلوم والمشكلة من السادة الوزراء رفيق بشور وزير الثقافة والارشاد القومي ورئيس المجلسين ورشاد برمدا وزير التربية والتعليم المهندس صبحي كحالة وزير المواصلات خليل الكلاس وزير المالية ، وقد اقرت مبدأ بقاء المجلسين على ان تشكل لجنة اختصاصية لكل منهما تعمل على وضع مشروع مرسوم تشريعي يعيد النظر في تنظيماتهما وتشكيلاتهما الداخلية بشكل يؤمن الغاية المتوخاة من وجودهما على ان

جاءت هذه الدراسة انيقة في الطباعة والعرض والتبويب . كما انها رصدت بشكل رائع مراحل نضال الشعب العربي في سورية .

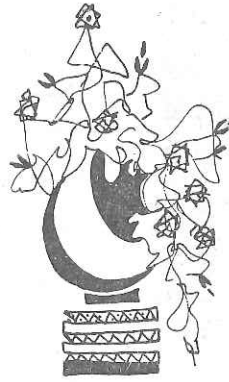
أخبار الفن

● يبدأ مسرح العرائس التابع لوزارة الثقافة والأرشاد القومي في مطلع هذا الشهر جولته على المدارس الابتدائية الرسمية والخاصة

في دمشق ومن المقدر أن يزيد عدد متفرجيه في هذا الموسم عن ١٠٠ ألف طفل .

ويقوم المسرح القومي بتقديم مسرحياته للطلبة والطالبات في المدارس الاعدادية والثانوية في حفلات خاصة تقام بعد الظهر ومن المقدر ان يبلغ متفرجو هذه الحفلات عشرات الالوف .

تفتح (المعرفة) صدرها بكل ترحيب ، المقالات التي يرسلها اصدقاء المؤلفين ، في نقد مؤلفاتهم ، وعرضها ، وتحليلها . ونرجوا الكتاب ان يلاحظوا في كل حال عدم الاطالة ، وتجنب الاطناب في المديح .



معرض الخريف

١٩٦٢

السباق من اجل الابداع



مماولا

فاتح المدرس

سباق للنصر أم سباق للفن ؟

الظاهرة الاولى التي تكشف عن نفسها في معرض الخريف لعام ١٩٦٢ هي الحجارة ، او السباق . فلقد أدرك الفنانون أن الحركة الفنية اخذت سمتها الى اهدائها ، وأن التذوق الفني ارتفع الى مستوى الحكم . وان المسؤولين اعطوا للحركة الفنية كل ما تحتاجه من حرية ودفع وتقدير . واشتد الاتصال بالحركات الفنية العالمية فانطلق البعض يرود العواصم العالمية يقيم المعارض ويتصل بكبار الفنانين ، واندفع البعض الآخر ينهل من المكتبات العالمية فيقرأ او ينقل الى العربية ما يغذي فكره وخياله ويفيد الآخرين . وابتدأت محاولات جديدة للامتياح من الفن العربي القديم ، الفن الذي يملأ متاحفنا وينتشر في كل ركن من

في سوق الهال

المياس زيات



التجريدية من مظاهر الفن الغربي . والناقد امام هذا الواقع لا يستطيع اعتماد اساس ثابت للحكم على العمل الفني ، كما ان للجمهور المتذوق الذي حصل حداً معيناً من الثقافة الفنية ، سيفقد امام وجه جديد للفن قد يصعب عليه ادراك أهميته .

زنوبيا ملكة تدمر

سامي برهان



وطنتا السوري . وشعر الفنان ان مصادر الكشف عن اسرار الفن أصبحت بين يديه ، فانبرى يحاول التجربة وراء التجربة في سبيل ابداع اسلوب خاص به بعيد عن تقليد الطبيعة والواقع ، بعيد عن محاكاة الاساليب الفنية الشائعة ، قريب فقط من نفسه ومن واقعه ومن تراثه .

وكان ثمة سباق من اجل الابداع ، هذا الذي نشهده في معرض الحريف اليوم .

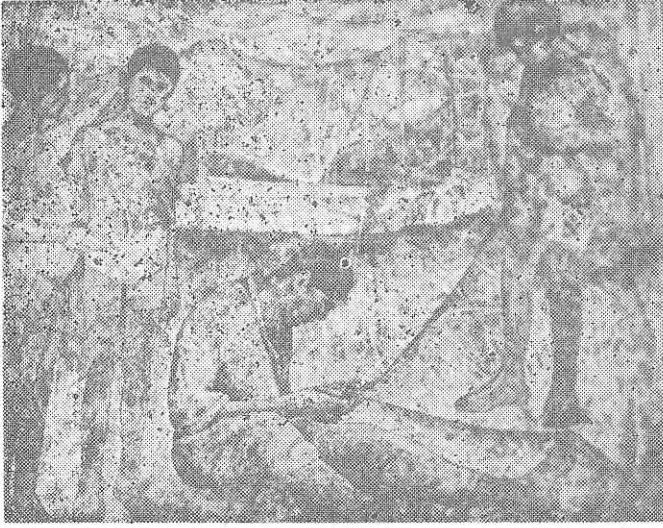
فقدان المقياس

على ان المشكلة أصبحت أكثر تعقيداً . فعندما كان الفنان يتكئ على المدارس الغربية الشائعة ، كان يبرر اسلوبه بما امتلأت به متاحف العالم من اعمال كاندنكي وغوغان وميرو وشاغال .

اما اليوم فقد بدا فناناً وكأنه يستخف بهذه المدارس المعروفة فهو يستخف بالانطباعية ، ويرفض تسميته بالفنان السريالي ولا يعترف بالتجريدية ومع ذلك ، فهو يستعمل ألوان الانطباعيين ويستفيد من أفكار السرياليين ويعتبر

شباك
الصيد

لؤي كيالي



عقدة الفهم

وليست المشكلة في مجرد فقدان المقياس. وانما هي في المحاولات المزيفة التي سيخترعها بعض الفنانين - وقد قال (فنتوري) Vintouri المؤرخ والناقد الفني الشهير ان من مساوئ هذا العصر أنه لا يكشف الزيف الا بعد زمن طويل، وكان من مساوئ العصور السابقة انها لا تكشف الجدارة الا بعد زمن طويل. والحق ان اسباباً كثيرة تدفع الى الرياء في الفن، واسباب كثيرة أيضاً تدفع الى الوهم باهميتها. فالمتذوق العادي او حتى المثقف يعتقد أن العمل الفني الذي امامه يتجاوز حدود ثقافته. ولكي يخفي شعوره بالعجز فهو يدعي الفهم والاعجاب، وهذا يؤدي بالتالي الى شيوع الاعتقاد بجدارتها.

- ١٦٩ -

دور اصحاب الاقلام

ان المشكلة تزداد سوءاً عندما يقف النقاد وسامسة الفن لكي يعلنوا اهمية لوحة أو قيثارة. فلتصور فناناً ناشئاً مثل بوفيه Buffet وقد أخذ يده الناقد Sandberg ساند بيرغ، فكتب عنه ورفع من شأنه. او لنتخيل كيف يرتفع المصور اليهودي شاغال على اكتاف الصحافة والدعاية الصهيونية.

ان مساندة اصحاب الاقلام لاولئك الزيفين هي التي تشكل الجانب الخطر من المشكلة.

في معرض الخريف

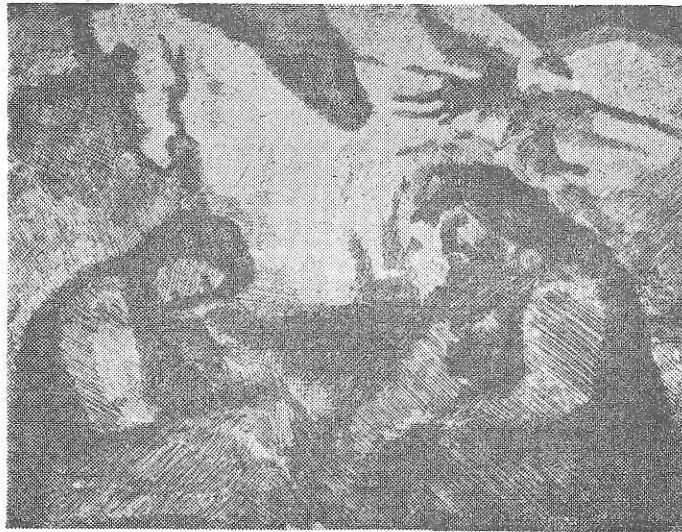
ونحن بعد هذه المقدمة لانحاول الخروج بعيداً عن حدود معرض الخريف. إذ يبدو ان جميع

المشاكل التي عاناها الفنانون في الغرب خلال القرن الحالي امتدت بالضرورة اليها . ومع ذلك قاننا سنحاول استعراض أهم مظاهر هذا المعرض . لقد اتسم هذا المعرض بالسباق كقلنا وبالشعور بالمسؤولية ، والبحث .

اما السباق ، فهو سباق من اجل الابداع او سباق من اجل الانتاج ، أو سباق من اجل ارضاء التيارات المتطرفة ، واخيراً سباق من اجل كسب الجمهور . وليس من حرج ان يتسابق الفنانون ، بل على العكس ففي ذلك شعور بأهمية المرحلة التي يعيشونها ، ولكن الخوف من ان يتم فنانونا بأكملهم ، فيغفلون الكيف ، الخوف أن يتم الفنان بعدد المعارض التي اقامها وبعدد اللوحات التي انتجها ثم ينسى اللوحة ذاتها . على اننا لا ننكر على الفنانين المعارضين شعورهم بمسؤولية العمل الفني ، ونرى ذلك عند الوقوف امام لوحات محمود حماد وفاتح المدرس وإلياس

الزيات ولؤي كيالي . ويتجلى هذا الشعور إما في محاولة الاخلاص للموضوع كما هو الأمر عند لؤي ، واما في محاولة اكتشاف ابعاد جديدة للتصوير كما هو الامر عند حماد أو بمحاولة تكثيف الموضوع عند الزيات او بمحاولة استقطاب عناصر التصوير في لوحات فاتح التجربة .

ولقد حاول الفنانون اجراء (بحوث فنية) اذا جاز التعبير ، فالفنان نصير شوري يحاول الخروج عن الوان الانطباعيين في لوحته (منظر) لكي يستفيد من تدرجات اللون البنفسجي فقط ، فيوزعها في لوحة واحدة توزيعاً رشيقياً يكاد يغطي الحاجة الى باقي الوان موشأته Palette وممدوح قشلان يتابع اسلوبه التكعيبي ولكنه استطاع ان يوفق الى حد بعيد في لوحته (بسط شرقية) حيث استخدم اكثر الألوان تناقضاً بنجاح ومهارة .



الصحرَاء

محمود حماد

حتى ان لا وحبذا لو استمر في هذا الاسلوب
التعبيري . ولقد رحل روبر ملكي الى التجريدية
الصريحة في هذا المعرض ، ونعتقد ان الوان
روبير اصبحت اكثر نضارة وان خطوطه تساعده
كثيراً على ابراز مضمون خاص قد يعبر عن
(قلق) (أو فرح) (أو فكرة مسيطرة) .

الضغط على النحاس .. والحفر

ومن ابرز الاعمال المعروضة اعمال الضغط على
المعدن التي قدمها السيدة جوزفين تاجر ، ونحن
نلفت الاهتمام الى هذا الفن الذي يحظى في البلاد
المتقدمة بالفن بكثير من العناية والتقدير .
ولاول مرة ايضاً تضم المعارض الرسمية اعمالاً



اشاعة

روبير ملكي

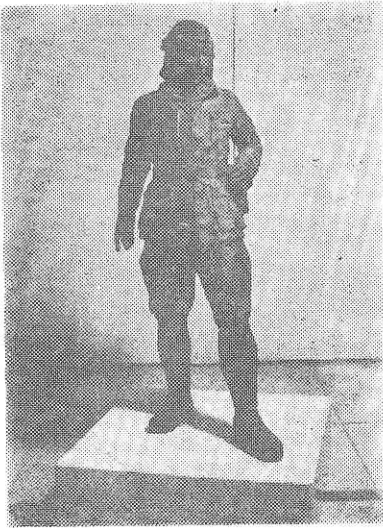
اما الفنان نوبار فهو مازال امينا على اسلوبه
الانطباعي وقد برزت لوحته المسماة (ولدي)
في صدر المعرض . كذلك بقي عبد القادر النائب
ذلك المصور البارع في نقل الوجوه .

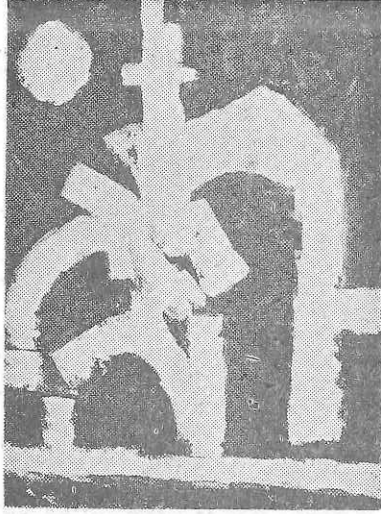
محاولات للتجديد

وفي المعرض محاولات ابداعية جديدة ، منها
محاولات عبد القادر الارناؤوط وعدنان الارناؤوط
للتجريد . ولقد نجح عبد القادر في لوحة (وجوه)
كما نجح عدنان في لوحة (شيوخ) اما سامي
برهان ، فقد قدم لوحتين من اسلوبه الجديد
الذي يعتمد على تقنية خاصة . ولوحة ظل القضبان
لاسماعيل حسني هي من النجح اللوحات التي قدمها

تمثال ابراهيم هنانو

خالد جلال





في الحفر . فلقد قدم هشام زمريق بعض الصور
الحفرية الناجحة كما قدم حماد صوراً في الحفر
الملون .

ومن الفنانين الشباب الناجحين فؤاد ابوكلام
ونذير نبعة وعبد المنان شمه وخالد من ووجه
مدور .

اما الفنانين الذين قدموا عدداً قليلاً من انتاجهم
في هذا المعرض ، فهم زهير صبان وشريف ارقلي
وحزقبال طوروس .

جامع

عبد القادر أرناؤوط

بدوي — ضغط على المعدن

جوزفين تاجر

وفي النحت

وفي النحت عرضت اعمال الفنانين الذين تقدموا
لسابقة اقامة نصب الزعيم ابراهيم هنانو فقد قدم
خالد جلال دراسة كاملة للتمثال ، وقدم مخلص
صابوني دراسة ناثرة لمعركة الحرية . كما قدم وديع
رحمة دراسة ناجحة لهنانو يقود المعركة ، ونجى
وحيد استامبولي في تحقيق الشبه في تمثال الزعيم
ابراهيم هنانو .

هذه دراسة مجملة عن معرض الخريف لعام
١٩٦٢ ونعتقد ان هذا المعرض حقق الى حد
بعيد اهداف وزارة الثقافة والارشاد القومي في
رفع مستوى الفن في سورية .



سورية

في مهرجان السينما العالمي الثاني ببيروت

بقلم صلاح دهني

كانت سورية احدى الدول الثلاث والعشرين التي اشتركت في مهرجان السينما العالمي الثاني في بيروت .. وكان المهرجان الاول قد انعقد في العاصمة اللبنانية في العام الفائت ، واشتركت فيه ثلاث عشرة دولة فقط .

وقد لوحظ تغيب مصر العربية للسنة الثانية على التوالي عن المهرجان العربي ، ولم ير ذلك دون تعليقات كثيرة ، وأحيانا قاسية ، من قبل المسؤولين اللبنانيين والصحافة اللبنانية . ومثل سورية في المهرجان فيلم ثقافي ملون هو «الشاهد الوحيد» ، أرواد « من انتاج وزارة الثقافة ، واشترك البلد المضيف لبنان بفيلم طويل من اخراج اقوى مخرجي البلد الشقيق ، جورج نصر ، هو فيلم « الغريب الصغير» الذي كان كعمل سينمائي رائعا في بعض الاحيان دائما مع الاسف ، ولم يكن يضيره سوى أنه لا يعبر عن لبنان ولا ينشر أريجيه ، حتى انه لا يتكلم لفته ! وأذكر - كرقم اجمالي - ان مجموع الأفلام الطويلة التي عرضت في المهرجان كله بلغ ١٧ كما بلغ مجموع الأفلام القصيرة ٣٠ .

- ١٧٣ -

ولوحظ أن الولايات المتحدة استنكتت عن تقديم أفلام طويلة واكتفت بعرض فيلمين قصيرين من مستوى متوسط . في حين عرضت فرنسا ثلاثة أفلام طويلة وانكلترا اثنين والاتحاد السوفيتي اثنين وكذلك اليابان .. وكان مستوى هذه الأفلام بصورة عامه متوسطا ، كما أن بعضها سبق أن عرض في مهرجانات أجنبية أخرى . على أن ذلك لا يضير المهرجان اللبناني ، فذاك أمر معتاد في المهرجانات التي يصدف ألا يعرض فيها - من أصل عشرات الأفلام - سوى واحد أو اثنين من مستوى استثنائي فعلا .

على أن المستوى المتقدم في الافلام الطويلة قد وجد في الافلام القصيرة ، أو على الاصح في بعضها . أذكر منها على وجه الخصوص الفيلم الهولندي « حديقة الحيوانات » من اخراج « هانسترا » وقد سبق أن شاهدته في مهرجان برلين ، هذا الصيف وكان ثمة فيلم بريطاني يروي أوديسة اثنين من ناقلي الدواب عبر الصحارى الاسترالية « ولفت الانظار الفيلم التشيكي بالرسوم المتحركة « الببلل الثري » ، وأثبتت به تشيكو سلوفاكيا انها ماتزال سيدة البلاد المنتجة لهذا النوع من الافلام . كالتفت الانظار الفيلم السوري « الشاهد الوحيد » ، أرواد « ولعلني أذكر انه ما إن أذيع في صالة المهرجان - الحمراء - عن عرض الفيلم السوري حتى ضجت القاعة بالتصفيق ثم عاد النظارة يصفقون على نحو أشد بعد انتهاء العرض .

وقد حضر من فرنسا أكبر وفد ، فيه

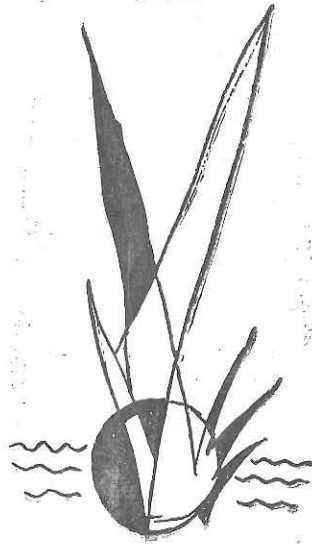
متحركة بين آسيا والعالم العربي . ولبنان لم يكن يسعى الى اكثر من ذلك ، فعصرنا هو عصر الدعاية الذكية ، ولبنان - بتنظيم المهرجان - قد عمل بروح العصر وتفكيره .

وأخذنا نحن كسوريين من الاشتراك في مهرجان السينما ، أننا اثبتنا اسم سورية كدولة بدأت تشارك في حضارة العالم الحديث ، بأساليب العالم الحديث . وأمكن عن طريق الاتصالات الشخصية أن تقدم الى ممثلي الفن السينمائي وممثلي الصحافة المحليين والاجانب فكرة طيبة وصادقة عن تطور بلادنا في جميع الميادين ، وكذلك عن قضاياها السياسية والاجتماعية .

وبهذا كله ، كان اشتراكنا في مهرجان بيروت بناءً ومفيداً لنا ولسمعة بلادنا في آن واحد .

مخرجان وممثلتان وممثل وموفد حكومي ، وجاء على رأس الوفد المؤرخ السينمائي العالمي والناقد الشهير الدكتور جورج سادول (استاذنا في الصوربون وفي معهد الدراسات السينمائية العالمية في باريس) الذي كان النجم الحقيقي للمهرجان . وحضر من بريطانيا أربعة أشخاص ، وحضرت خصيصاً من أمريكا جين مانسفيلد (ومعها بروكات من الشعر المستعار ، كانت تقنع رأسها بواحدة جديدة منها مع كل وجبة طعام) . وكان هناك ممثلون سورية وهنغاريا واليونان والهند وباكستان والاتحاد السوفيتي .

ونزل هؤلاء كلهم ضيوفاً على الحكومة اللبنانية التي انفتحت على المهرجان ٦٠ - ٧٠ ألف ليرة لبنانية . فهل خسر لبنان ؟ كلا فقد اثبت فعلاً أنه مركز اشعاع فكري وفي للعالم العربي ، وأثبت فعلاً طبيعة مركزه الجغرافي ، بأنه عتبة



المبادئ الحديثة في عمران المدن

كما طبقت في فارسوفيا

خلاصة محاضرة الاستاذ
ستاسيلاف جيفولسكي في
المعهد العالي للفنون الجميلة

كانت فارسوفيا قبل الحرب مدينة فقيرة ، كثافة سكانها كبيرة ، وشروط السكن تهبط مع ترايد السكان . وفي ١٩٣٩ كان سعمون في المئة من مساكنها مؤلفة من حجرة او اثنتين ، وكلما كان المسكن صغيراً كانت كثافة سكانه اكبر . وكانت ربع المساكن لاجاري لهاوليس فيها لاماء ولا غاز ولا كهرباء

وحين جاءت الحرب واحتل الألمان فارسوفيا، أخذ المختصون الهلريون في عمران المدن يضعون برنامجاً لتحويلها الى مدينة المانية سكانها مئة الف يتجمعون في الاحياء الجميلة على الضفة اليسرى من نهر الفيسستول، بينما يسكن البولونيون « المتخلون » الأحياء القديمة على الضفة اليمنى .

وفي صيف ١٩٤٤ ، اندلعت ثورة فارسوفيا، ولكنها فشلت بعد تسعة أسابيع من القتال المرير، فعمد الهلريون إلى طرد سكانها البالغين ثمانمئة الف من الضفة اليسرى ، وفي اليوم التالي بدأت فرق خاصة من الجيش تهدم المدينة عن بكرة أبيها . وحررت المدينة في كانون الثاني ١٩٤٥ ، وكانت ٨٧ ٪ من البنايات الواقعة على الضفة اليسرى خربة في حالة لاتصلح معها للسكن ،

بينما النقل معطل ، والجسور مهدمة ، وشبكات المجاري محطة بكليتها ، ولم يكن سكان المدينة يجاوزون ١٦٢ ألف ساكن .

وبدأ السكان يوردون الى فارسوفيا ، والعمران « العفوي » يأخذ مجراه ، فكان على السكان أن يبدأوا باصلاح الجدران والسقوف والنوافذ وتنظيف الطرقات من الردم ، لينقلوا بعد ذلك إلى بناء المساكن الجديدة .

وفي ١٩٤٨ بدأت مرحلة جديدة من البناء المنهجي بقدر ماتسمح موارد البلاد . وسأحاول أن اصف باختصار الملامح الكبرى للمخطط الأساسي في بناء فارسوفيا .

قسمته المدينة الى احياء للسكن ، واهياء صناعية ، ومركز ، وساحات كبرى للتسليه والرياضة ، وجعلت الاحياء على شكل حلقات تدور حول مركز المدينة وتلتقى فيها . وتخالط الحقائق هذه الأحياء وتحيط بها من كل جانب .

وقد بدأ تنفيذ هذا البرنامج أول الأمر كبرنامج طويل المدى ، ثم وجد من الضروري أن يجزأ إلى مجموعة من البرامج قصيرة المدى ضمن المنهاج الاقتصادي العام ، واخيراً عدنا فوضعنا منهاجاً طويل المدى جداً ينفذ حتى ١٩٨٠ .

واليسكم بعض الدراسات التي قنا بها من أجل هذا البرنامج الطويل جداً . إن سكان فارسوفيا سيبلغون في ذلك التاريخ مليونين ونصف المليون ثم يزيدون بعد ذلك .

ولما كان لايمكن لحدود المدينة الحالية أن تستوعب أكثر من مليون ونصف في شروط حسنة ، فقد كان من الضروري تحويل هذا

واذا كان العمرانيون يعارضون في هذه التبعة للظروف الاقتصادية ، فانهم في نفس الوقت يفهمونها ويحاولون التلاؤم معها ، ولذلك فان العمراني والاقتصادي يعملان معاً في اعداد المنهج ، وهي الميزة الكبرى لسياسة العمران البولونية المنهجية .

وبالاضافة الى القضايا الاقتصادية والتقنية ، تدخل عوامل اخرى في وضع البرامج العمرانية ، عوامل اجتماعية . كان اول هذه العوامل عودة أهل فرسوفيا الى مدينتهم بعد أن غادروها ، وكانت العائلات تحاول أن تجد بيوتاً في نفس السعة التي كانت لبيوتها في الماضي لتستأنف حياتها كما كانت على الاقل ، ولكن في نفس الوقت كانت فرسوفيا تصبح كالعواصم الكبرى بلداً نشيطاً تسوده الحركة ويكثر فيه الشباب ، وبالتالي تكثر فيه الحاجة الى المساكن الصغيرة . وهكذا بدأت العائلات تميل الى الاجتماع ثم مالبثت ان مالت الى التوزع الى وحدات أصغر حاجتها الى المساكن غير حاجة العائلات الكبيرة . وهذه الوتيرة في التبدلات الاجتماعية كانت سريعة جداً في فرسوفيا بسبب ظروفها التي ذكرناها ، ولم يكن سهلاً على العمراني أن يأخذها بعين الاعتبار ويستمد منها دروسها . ولذا فالدراسة الدائمة الدؤوب للحاجات الانسانية الحقيقية ولرغبات الناس تصبح ، بالاضافة الى العناصر الأخرى التي سبق ذكرها ، من أسس سياسة العمران البولونية المنهجية .

البرنامج بحيث يستوعب منطقة كاملة من المدن الصغيرة في ضاحية بالعاصمة لتصبح جزءاً منها . ومن الطبيعي أن يكون للمواصلات شأن كبير في هذه المنطقة ، فوضعت دراسات تتعلق بهذا الموضوع ، وبكل ما يتصل بالتوسع من قضايا الماء والمجاري والطاقة ، ثم وضعت دراسات للمساحات المخصصة للتسليه والرياضة .

ويحسن لي أن أسهب بعض الشيء في موضوع بيوت السكن . هذه البيوت تقاسم بناءها البلديات والتعاونيات والمؤسسات الصناعية والأفراد ، ويجدر بنا أن نشير الى أن التعاونيات ثلثها تعاونيات مستأجرين والثلث يضم المالكين الذين يتلقون قروضاً بلدية أو لايتلقون ، أما الأفراد فينبون مساكن فردية لهم فقط ، ولهم في بعض الأحوال حق أخذ القروض .

والعمران من ناحية المظهر يتطور باستمرار ، ولكن تطوره أبطأ مما تفرض الظروف الاقتصادية والتقنية المتبدلة في سرعة كبيرة . فالمواد الأولية لا تتوفر دائماً بصورة كافية ، وتقصان الفولاذ يقلل من امكانية الزيادة في ارتفاع المساكن وفي عدد المساكن العالية ، كما يقلل امكان الاستفادة من الانابيب للتجهيزات الصحية ، ولذا فان الاستفادة القصوى من الارض لا تعود ممكنة ونضطر الى بناء المزيد من الابنية المنخفضة التي تستغرق المساحات الكبيرة وبالتالي فان شكل المدن واتساعها يتسع ، لا الضرورة الفنية والجمالية ، وانما مقدرة البلاد على انتاج المواد الأولية اللازمة للبناء .



وراء القضبان - أدهم اسماعيل

المعرفة - دمشق

لوحة زيتية على القماش ، قياس ٨٥ × ٦٠
اشترك فيها الفنان ادهم اسماعيل في معرض الربيع
لعام ١٩٥٩ وهي من مقتنيات مديرية الفنون
التشكيلية في وزارة الثقافة والارشاد القومي .
يعتمد الفنان ادهم في هذه اللوحة على اسلوبه
الشخصي . وهو اسلوب يقوم على مبادئ الفن
العربي الا انه يمتاز ايضاً بطابع حركي . والصورة
تمثل معتقلين سياسيين يجرسهم جندي الاستعمار
وقد برز الى عين اللوحة وجه النائر الغاضب .

ادهم اسماعيل

ولد ادهم اسماعيل في انطاكية عام
١٩٢٣ ، وعند استيلاء الاتراك على
اللواء ، انتقل الى دمشق مع اخوانه
الذين كرسوا انفسهم للدفاع عن
عروبة الاسكندرون وقد مارس
ادهم التصوير منذ ان كان فتياً ثم عين
مدرساً للتصوير في المدارس الثانوية ،
وفي عام ١٩٥٣ اوفد من قبل وزارة
التربية الى روما لدراسة التصوير
والزخرفة هناك ، وعند عودته عين
مدرساً للفنون وما زال يعمل في هذا
الحقل حتى اليوم .

يعتبر الفنان ادهم من كبار المثقفين
فنياً ، وهو يستعد لاصدار كتاب في
تاريخ الفن .

أردنا ألا نقالي في ابراز مآثره وفي تحديد نشاطه،
فانه يكفينا ان نرجع الى القواميس الكبرى واهمها
لاروس الموسوعي الكبير لكي نقرأ فيه :

« رونية هوينغ مؤرخ في الفن ، فرنسي ،
ولد عام ١٩٠٦ في آراس وابتدأ عمله الوظيفي
محافظاً في متحف اللوفر ثم رقي شيئاً فشيئاً الى ان
اصبح المحافظ الرئيسي لمتحف اللوفر . وفي عام
١٩٥١ بقي محتفظاً بهذا اللقب بصورة فخرية
اذ سمي استاذاً في الكوليج دو فرانس لكي
يدرس هناك مادة علم النفس في الفنون التشكيلية ،
وله الفضل باصلاح طريقة عرض اللوحات في
متحف اللوفر .

أشرف هوينغ على عدد من المجلات الفنية
منها : حب الفن و (كادريج) وغيرها .
وكتب في امهات المجلات الفرنسية وترجم له
عدد من المقالات الى العربية وفي مجلة المعرفة
مقالات نشرها الاستاذ فؤاد الشايب بمجال الحديث
عن رونية هوينغ . وقد أصدر حتى الآن عدداً
من المؤلفات الفنية منها (سيزان) الذي اصدره
عام ١٩٣٦ ، و (الفنانون المعاصرون) الذي
صدر عام ١٩٣٩ . وفي عام ١٩٤٨ أصدر
كتاب الرسم الفرنسي في القرن التاسع عشر .
وفي عام ١٩٥٢ اصدر مفكرة بول غوغان كما
اصدر عام ١٩٥٤ كتاباً عن دوغا . وبعد عام
اصدر كتاباً تحت عنوان « حوار مع المرئي » .
وفي العام الماضي ظهر له كتابه الذي احدث
ضجة كبيرة « الفن والنفس » وقد ضمنه دراساته
الواسعة في بيسيولوجية الفنون التشكيلية وهي

رونيه هوينغ يحاضر في دمشق عن الفن

في مطلع تشرين الثاني ، دعت وزارة الثقافة
والارشاد القومي البروفسور الفرنسي رونية هوينغ
لالقاء محاضرة فنية تحت عنوان « مدخل الى فن
التصوير » ، وقد قدم مدير الفنون التشكيلية
المحاضرة بالكلمة التالية :

الفن يتجاوز الحدود بدون سمة ، هكذا قال
البروفسور رونية هوينغ René Huyghe في سفره
الذي الاخير الذي أشرف على إصداره وهو
كتاب « الفن والانسان » .

ولقد انتقلت الينا افكار البروفسور هوينغ
في الفن وعلم النفس بدون سمة ايضاً ، واخذت
محلها من التقدير والاهتمام ، وها نحن اليوم نلتقي
بالكاتب الشهير وجهاً لوجه لنستفيد - دون أية
وساطة - من أفكاره العميقة في مفهوم الفن
وفي تأريخه .

والمحاضر علم من اعلام الفكر في العالم ، ولقد
اغنى ذهن الانسانى بعدد كبير من المؤلفات الفنية .
وهو عضو في الاكاديمية الفرنسية وفي اكاديميات
عديدة كالاكاديمية السويدية والارجنتينية وغيرها .
كما أنه حاصل على وسام جوقة الشرف . واذا

الموضوعات التي قدمها في الكوليج دوفرانس .
ومنذ عام ١٩٥٨ بدأ هويغ باصدار سفره
الفني العظيم (الفن والانسان) وقد ظهر الجزء
الثالث منه في عام ٩٦١ ، ويقع الكتاب في
الف وثلاثمائة صفحة مع الفين من الصور الدقيقة
واشترك في تأليف الكتاب كبار المختصين في العالم
نذكر منهم على سبيل المثال بازان وكاسو وشيفر
وليونيلو فاتتوري وغاستون ويت .

وقد عرف المحاضر هذا الكتاب بقوله : انه
مؤلف يعرض الفن عل انه تجربة من التجارب
الرفيعة للانسان . وهو يبين كيف ان تطور الفن
يتوضح بتطور الانسانية وكيف تؤثر الابداعات
الفنية بدورها في مصير الانسان .

ثم قدم البروفسور هويغ محاضرته وابتدأ بكلمة
ليوناردو دوفانسي الذي قال : ان الخط هو اول
الفن . وأثبت بشواهد من فن ما قبل التاريخ
وهي صورة ييزون مرسومة على جدران لاسكو
كما استشهد برسوم لفان غوغ وأبان اهمية
الخطوط فيها .

وتطور الفن عندما اراد الفنان نقل الواقع
بابعاده الثلاثة وهي الطول والعرض والعمق .
وبما ان اللوحة لا تملك البعد الثالث ، كان لابد
للفنان من الالهام به . وهكذا اوجد الظل والنور
والمنظور ، ولقد استعان المحاضر لبيان ذلك بعدد
من اللوحات الفنية لميكل انجورامبرانت وغيرهما .
ثم وجد الفنان نفسه مضطرا للتعبير عن الحركة

وهذا بخلاف لطبيعة التصوير ، فكان لابد للمصور
او الرسام من الالهام ايضاً بالحركة .

وقد ابان المحاضر ان الفن يعود ابتداء من
الانطباعية الى التخلي عن الالهام بالبعد الثالث
ثم الى التخلي عن الحركة والاكتفاء فقط بتقديم
علاقات لونية او خطية . بل انه تخلى ايضاً عن
التعبير عن الجمال المؤلف .

ولقد أصبح للجمال اسباب فيزيائية ونفسية ،
اما الفيزيائية فهي تبدو في الاعمال المريحة عضليا
فالخط المنكسر متعب على عكس الخط المنحني
الانسيابي ، لهذا فهو اكثر جمالا من الاول . ثم
ان التصميم الهندسي في تمثال الفارس وفي لوحات
« فوكية » مريح للنفس . كذلك فان اعمال
يكاسو الاولى كلوحة (زوجته) . فهي في
جلستها وسكونها مدعاة الى الراحة النفسية .

وثمة انتقال الى مفاهيم جديدة في الفن ظهرت
منذ مونه ، برزت في التقنية الجديدة وفي اعادة
المدنية التي اصبحت اكثر كثافة واقرب الى
العفوية .

وبعد فان من العسير تلخيص هذه المحاضرة
الدهشة التي قدمها البروفسور درويه هويغ مصحوبة
بعرض الصور الايضاحية بالفانوس السحري ،
فالذاكرة وحدها لانقي ، وأنتا لترجو أن تتلقى
منه كما وعد ملخصاً وافياً تقدمه للقراء في عدد
قادم .

من اخبار الفن

بامكانيات العمل المسرحي والفني على هذا المسرح .

وقد أخذت (نشرة الثقافة) السينائية في وزارة الثقافة والارشاد القومي شريطاً عن هذه التجربة الاولى التي عاش فيها مسرح بصرى ، لأول مرة منذ نحو خمسة عشر قرناً حين اجتمع فيه الالف ليشهدوا برنامجاً فنياً ، بعد أن كان قد صممت وردم حتى قبض له بمجهود المديرية العامة للآثار الذي كشفه واعاده الى الانسانية .

● قامت فرقة التصوير السينمائي التابعة لوزارة الثقافة والارشاد القومي بتصوير مدينة دمشق من الجو ، واستأنفت تصويرها لباقي المدن السورية وذلك تمهيداً لاتاج افلام عن الحياة في سورية .

● سافرت بعثة من الفنون الشعبية الى المحافظات لتسجيل بعض التقاليد والفنون الشعبية .

● اشتركت وزارة الثقافة والارشاد القومي في المهرجان الموسيقي الذي اقيم في بيروت وقد اثار الافلام التي انجزتها الوزارة اعجاب الحاضرين .

● افتتح في المركز الثقافي في حمص معرض فني للرسم الالماني رودولف كرجلر ثم انتقل المعرض الى باقي المحافظات .

● ابتدأت الاستعدادات لانشاء مركز للفنون التطبيقية في دمشق .

● افتتح السيد وزير الثقافة والارشاد القومي معرض الحريف لعام ١٩٦٢ في المتحف الوطني وقد حضر المعرض وزير التربية والتعليم والامين العام لرئاسة الجمهورية والامين العام لوزارة الثقافة والارشاد القومي وجميع رجال السلك السياسي والادباء والفنانين . وقد عرض في المعرض ١٨٠ لوحة وتمثالا لسبعين فناناً وفنانة وقد قسمت المعارضات بين المتحف الوطني والمركز الثقافي . وفي هذا العدد دراسة عن معرض الحريف .

● قامت بعثة من فرق وزارة الثقافة والارشاد القومي (المسرح القومي ، مسرح الفنون الشعبية ، المسرح الغنائي) مؤلفة من سبعين شخصاً باجراء التجربة الاولى في مسرح بصرى الكبير ، وقدمت عليه بحضور ثلاثة آلاف نسمة من اهل بصرى والمنطقة وكبار الموظفين يتقدمهم المحافظ وكبار الضباط ، مشاهد مسرحية وغنائية ورقصات شعبية . وكانت الغاية من هذه التجربة معرفة مقدار اصلاح هذا المسرح من ناحية الصوت في حال وجود اعداد ضخمة من المتفرجين لان الاجسام البشرية تحتص كمية من الصوت . وقد نجحت التجربة نجاحاً مبدئياً وتقرر الاستمرار في اجراء انتجارب لدراسة كل ما يوصل

فنية وتاريخية على غاية من الأهمية وأعلن المدير العام للآثار والمتاحف أن هذا الموسم كان موسماً غنياً للغاية وأن وثائق في منتهى الأهمية تم العثور عليها .

كما تم العثور على جرة كبيرة من الفخار ضمت خنجراً ذهبياً ذا قبضة مزينة بزهرات اللوتس وثلاثية صحن فضية وائاء فخاري في وسطه دبوس من الفضة وآخر من ذهب .

وصرح المدير العام للآثار والمتاحف أن بعثة شيفر كشفت النقاب عن لوحات فخارية وقد فسرت نصوصها وتبين منها أنها تحوي قصائد دينية تمجد الآلهة وأخرى ذات صفة تشاؤمية حول مصير العالم وهي وثائق تلقي ضوءاً على ديانة وآداب سكان أوغاريت القدماء .

ولاشك أن ما عثر عليه هذا العام والأعوام العديدة الماضية من شأنه أن يزيد في ثروة البلاد التاريخية والفنية ويشير بأحرف من نور إلى أن الإنسان السوري إنسان مبدع وفنان بالفطرة منذ الألف الثاني قبل الميلاد إلى اليوم ، فإلى فنائنا الباحثين عن موضوعات جديدة وطرق حديثة في الفن تقدم هذه الباقية من روائع الفن لتكون نبراساً يهتدون بهديه .

صالة الفن الحديث العالمي

معرض الفنان طالب يازجي

أقيم في الشهر المنصرم في صالة الفن الحديث العالمي معرض هام للرسم هو معرض الفنان طالب يازجي والذي عرض فيه سبع عشرة لوحة فنية

ويتضمن المركز فرع للصب بالبرونز ، وفرع للحفر على الحشب ، وفرع للخزف وفرع للفنون اليدوية .

● تم انشاء مركز للفنون التشكيلية في حمص .

● سيفتتح في السادس من الشهر الحالي معرض للتصوير اليوغسلافي في المتحف الوطني .

● ابتداءً مسرح العرائس موسمهم في مسرح أبو خليل القباني ، فقدم مسرحية (علاء الدين والفنانوس السحري) و (المريض) و (البطة الذهبية) و (الخطاب) .

● دعت وزارة الثقافة المهندس البولوني السيد دجيفولسكي لاقاء محاضره في ردهة المتحف الوطني عن فن تنظيم المدن الحديث في بولونيا ، وقد اقيمت المحاضرة باللغة الفرنسية مع الاستعانة باللوحات المعروضة في المتحف بمناسبة معرض فن الانشاء والحارة وتنظيم المدن في بولونيا .

● قبل مسرح الفنون الشعبية في وزارة الثقافة والارشاد القومي الدعوة التي وجهت اليه للاشتراك في المهرجان الالفى لبغداد والكندي الذي تقيمه الجمهورية العراقية ، وسيألف الوفد من ٤٥ عضواً برئاسة الاستاذ كامل القدسي مدير المسرح والموسيقا ويسافر في اوائل كانون الأول ويقدم ثلاث حفلات في العاصمة العراقية .

منطقة اللاذقية - حفريات أوغاريت

انتهت البعثة الأثرية الفرنسية أعمال التنقيب في رأس شمرا أوغاريت بعد أن عثرت على كنوز

صالة الفن الحديث العالمي معرض جماعة - ج -

أقيم في صالة الفن العالمي معرض فني ضم إنتاج
سبعة من الفنانين الأوربيين وسوري واحد هو
الفنان محمود دعدوش والمعرض المذكور يطلق
عليه اسم معرض جماعة - ج - وتمثل أكثر
لوحاته الاتجاه التجريدي .

ومن بين الفنانين المشتركين في هذه التظاهرة
الفنية (مانفريد واشربو) الذي يعتبر زعيم هذه
الجماعة وهو من أكابر الفنانين الايطاليين وأستاذ
في أكاديمية الفنون الجميلة بروما . وفي لوحاته
تجلت التجريدية المطلقة الالوحة وجه التي تبدو
فيها مسحة من الانطباعية أما (أكانينو) فقد
بدلغ في لوحاته ذروة التجريد كلوحة « مربع
أبيض داخل مربع أسود » ذات الخلفية الترابية
والتي تذكرنا بلوحة الفنان ما لوفيتش التي عرضها
في موسكو ١٩١٣ - والتي كانت تمثل مربعاً
أبيض اللون فوق سطح أسود والتي قال عنها
في كتابه لا تعدو أن تكون احساساً بانعدام
الموضوع واتجاهها نحو التجريد .

ومن المساهمين في هذا المعرض أيضاً السيدة
اسام التي امتازت لوحاتها بجمرة الألوان والاغراق
في التعبير عن الحركة التي لم تعرف الاقطاع وهذا
ما يتجلى بصورة خاصة في لوحاتها « الراقصة » .
أما لوحات الفنان سكوت والتي رسمها بالحبر
الصيني والألوان فتتم عن مهارة فائقة في التكوين
والانسجام في الخطوط والألوان بينما نرى الفنان

زيتية وحفر وفي كلا الطريقتين الزيتية والحفر
تجلت قوة الفنان واصالته وقد اتسمت لوحاته بقله
الخطوط التشكيلية التي تكاد تحدد الموضوع لتحل
محل تلك الخطوط مساحات لونية عميقة الدراسة .

وفي لوحاته نوع من الأجواء الحلوة المحيية
كلوحة (عائلة) و (مكالة) التي تشعنا بتلك
الاجواء وبالدراسة العميقة التي خص فيها الفنان
لوحاته اذ أن الدراسة التي تسبق الموضوع تدل
بوضوح على جدية العمل الفني المقدم وشعور
صاحبه بالمسؤولية أمام الجمهور المتذوق .

في موضوعاته التي عالجها أجاد التعبير عن البيئة
القروية البدائية فهو لم يمثل فيها مظاهر الفقر تمثيلاً
بشعاً وانما عمد الى الرمزية فأحسن استخدامها في
هذا المجال فعبّر عن شح الموسم الزراعي بالحيوانات
الهزيلة التي ضمنها بعض لوحاته ولكنه في تعبيره عن
البيئة لم يتناول البؤس فحسب لأنه ليس بالفنان
المتشائم ابداً بدليل ألوانه التي اتصفت بالحيوية وانما
تعداه الى الأفراح الى الأجواء المرحية وقد جاءت
لوحته (ياليل ياعين) بمن فيها من العازفين
والمستمعين الطريين مصداقاً لما أقول وفي هذه اللوحة
وفي غيرها أبدع الفنان الى أبعد الحدود في اظهار
الحركة والحيوية التي تعتبر جزءاً من العالم الذي لم
يعرف الجود والمتأمل بعمق في لوحات الفنان
المعروضة يراه (الفنان) يتجه بخطى وئيدة
وأكيدة نحو الفن التجريدي أنه في خط سيره
بدأ من البداية التي يجب أن يبدأ منها الفنان حتى
اتهى الى المرحلة التي مثلها في معرضه الأخير .
انه الفنان المتطور بنجاح في هذا المجال .

الاخبار العالمية

عن مجلة (حديقة الفنون) الفرنسية

— تقيم جامعة باريز معرضاً فريداً من نوعه في قصر المكتشفات يتضمن بعض اللوحات والمخططات والخرائط المتعلقة بالمكتشفات الحديثة الجغرافية والتقنية والعلمية ، ويشرف على هذا المعرض المعهد الوطني للجغرافيا .

— صدر عن نادي اصحاب المكتبات في فرنسا كتاب بعنوان « كتابات مالفن » Ecrits Sus L'art جمع لأول مرة جميع النصوص التي كتبها بول فاليري في الفن وعلم الجمال ، ويتضمن الكتاب ما يقرب من مائة وثيقة مصورة .
— اقتنى متحف غوغنهايم في نيويورك لوحة « الزها الكبير » للفنان الشهير فيرناند ليجه .

— نال الفنانان الشهران المصور الفرنسي ماناسيه والنحات الابيطالي جيا كويتي الجائزتين العالميتين لينالي البندقيّة لعام ١٩٦٢ . ومن الفنانين الذين لفتوا انتباه الجمهور والنقاد ، الفنانان الايطاليان كابوغروسي ومورلاتي .

— تم اكتشاف لوحات جدار به « فريسك » من العهد الفوطي في الكنيسة السورية في تروفاياش .

عن مجلة Bilbende Kunst الألمانية

— توجت المجلة عدد ايلول الاخير بلوحة ملونة زينت فيها غلافها الخارجي وموضوعها ، « تحرير الجزائر » وهي للفنان كارل ايريش ميلر .
— تضمن العدد لوحة جدارية كبيرة ، مع

يكرت جرى في استعمال الالوان الفاتحة جاعلاً منها لوحات تتسم بالقوة وخاصة اللون الاسود الصافي . وفي حفل الالوان المائية نرى الفنان بيركا هو وهؤلاء جميعاً انضوا تحت لواء المدرسة التجريدية المطلقة وكذلك الفنان محمود دعدوش فهو أحد فنانينا السوريين التجريديين الذين ألفنا انتاجهم منذ سنوات فعرّفنا فيه الجرأة والتجديد وصفوة القول ان المعرض حق بعض النجاحات وان يكن قد لاقى بعض الانتقادات ممن لا يدينون بهذا المذهب من الفن .

روما - معرض الفنان محمود دعدوش

غادر دمشق في الشهر المنصرم في طريقه الى روما الفنان محمود دعدوش وذلك لاقامة معرض هناك وقد بدأت اعداداته لهذا المعرض منذ اشهر ومن المعروف ان انتاج الفنان دعدوش يلقى نجاحات كبيرة في اوروبا الذي تطور تطوراً واسع المدى وعى المذاهب الفنية الحديثة وعياً يخوله قبول الاتجاهات الحديثة على اختلاف مدارسها الفنية .

فالى الفنان دعدوش تقدم اخلص تمنيات الوطن بالنجاح .

اخبار الفن

سنبثدي اعتباراً من هذا العدد بتقديم اخبار الفن من جميع اطراف العالم ، بعد جولة نقوم بها عبر اممات المجلات الفنية العالمية . وسنحاول في الوقت ذاته ابراز النشاط الفني في بلادنا ، في كافة المجالات ، في الفنون التشكيلية ، وفي المسرح وفي الموسيقى وفي الفنون الشعبية ومسرح العرائس .

● وفي سانت جورج غاليري في لندن عرضت لوحات تعبيرية لفنانين يابانيين وكان لهذا المعرض دوي كبير في المحافل الفنية ، للموضوعات المثيرة التي عرضت فيه .

عن مجلة Sale arte الإيطالية

ظهرت في متحف المتروبوليتان قطعة أثرية في النحت النائي ، كانت مفقودة منذ وقت طويل من المنبر الروماني للقديس بولص في سكيرا جيرو وهذا الأثر هو نموذج عن الأسلوب الفلورنسي في القرن الثالث عشر . والمشكلة التي تتحدث عنها الصحف ، هي كيف يمكن استعادة الآثار المسروقة ، فهذه القطعة هي السابعة التي وجدت مؤخراً من أجزاء ذلك المنبر الأثري .

عن مجلة بلاد السوفييت

يقدم المسرح البولشوي الكبير تمثيلاته في داره الكبرى في موسكو ؛ كما يعرضها بشكل منظم على مسرح قصر المؤتمرات الذي انشئ حديثاً في الكرملين .

ومن موضوعات الموسم التي سيقدمها مسرح بولشوي ، الحرب والسلام لبروكوفيف وباليه سبارتا كوس لحاشادوريان وطريق الغابة من وضع جو كوفسكي .

عن صحيفة Arts الفرنسية

- يقام في صالة الفنون الجميلة معرض للفنان كاسيوليس وفي صالة دروان لوحات للفنان بولا
- تستعد الهيئات الفنية في فرنسا للاحتفال

دراسة نظرية للفنان الألماني فرانك غلازر ، الذي زار دمشق منذ عامين وانتج فيها ما يزيد عن ثلاثين لوحة أقام منها معرضاً في الفصالية الألمانية الديمقراطية .

— وفي العدد مقال طويل عن الفنانة اللبنانية عائدة مارديني ، وقد أرفق المقال بلوحات من الحفر على الخشب تحمل الطابع المحلي الصرف .

عن مجلة Sovem Arts الانكليزية

— ابتداء الرديال باليه في مسرح Couvent Cgarden موسمه في ١٠ ت ١٠ . والان يقدم باليه Lo.Fiele mol gardée

— يقدم على مسرح سادلرز ويل في لندن باليه دون كيشوت ، أخرجهما ويتولد بوركونسكي . وقدم الموسيقى لودنغ والديكور فويتيك .

— كان الموسيقار الروسي ديمتري شوستا كوفيتش ضيف الشرف في مهرجان ايدنبورغ . وقدرافقه عدد من كبار العازفين الموسيقيين الروس . — نشرت المجلة مقالا عن لورنس اوليفيه ،

تحت عنوان من دور هملت الى دور مهرج دابان قال الناقد ما كواي ، ان اوليفيه اكتسب حتى الان اكبر شعبية ممكنة وخارج كبار الممثلين .

عن مجلة Studio الانكليزية

يقام في لندن معرض جامع اللوحات الفنان فلاديمير فافورسكي ، في فن الحفر . ويضم لوحات الفنان التي انجزها خلال خمسين عاماً . عرضت في صالة غروز فينور Cros venor .

● في المجلة مقال قيم عن حياة الفنان
الاماني الشهير اوتوديكس وهو فنان تعبري هاد.

عن مجلة Lopologne البولونية

● في العدد الاخير من هذه المجلة ، ناذج
عن احدث اساليب فن الاعلان البولوني

● تتضمن المجلة دراسة عن الفنان البولوني
بوتوروفسكي مع عرض لبعض لوحاته بالالوان ،
كذلك دراسة عن النحات البولوني أليسا شاو
شنيكوف واسلوبها تجريدي محض .

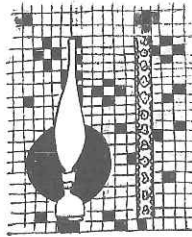
● وتحت عنوان الانشاءات في المستقبل قدمت
المجلة دراسة عن فن العماره الحديثه معتمداً على
صور مختلفة . ومن مجموع هذه الدراسات يتبين
كيف ان الفن في بولونيا يتطور بعيداً عن الجو ،

في العام المقبل بمرور مائة عام على وفاة الفنان
العالمي دولا كروا .

عن مجلة Scolو الألمانية

● افتتحت جمعية غوته الفرنسية ، متحفاً
خاصاً في الاسكا سيسنهايم ، في نفس المنزل الذي
قطنه غوته عندما كان صبيّاً .

● اصدرت منظمة اليونسكو ، اي منظمة
الامم المتحدة التربوية والعلمية والثقافية ، فيلماً
خاصاً بالتلفزيون جمعت فيه وجوهاً مختلفة من
التقاليد الفنية العالمية وعن بلاد الشرق الاوسط
اشارت « نصر الدين خجا » والمسمى عندنا بجحا
شخصية تركية فكهة للتسلية . وذلك الى جانب
الرقص الهندي ، والتمثيل البولوني والتشاتشاتشا
الامريكية .





دعوة إلى المعالجة - حول محاولة

الدكتور الخيمي تحليل الشخصية
السورية - الشعوب الواعية ما
انفكت تحليل شخصيات كياناتها ،
ومقوماتها وتنقذ ذاتها - وماذا يضيرنا
أن نكتشف انفسنا لتعرف إلى
واقعنا - هل مفكرون جديرون
بالمعالجة ؟ ! -

مع تيارات الفكر العالمي

بمنها فؤاد الشايب

يشرعوا علومهم وأقلامهم لمعالجة المسائل التي
يعالجها المجتمع ، ويعاينها ولا يعرف كيف ير
بها ويتعامل معها ، أو تنقصه المعرفة في التصرف
حيالها ، فلا يتصرف الا مرتجلاً ، أو عن هوى ،
أو يتصرف بلباقة من ينقذ نفسه ، ولا يعود إلى

عندما قررت وزارة الثقافة والارشاد القومي ،
اصدار مجلة (المعرفة) كان الهدف الأول
والأمثل الذي وضعته لجنة الادارة والتحرير
نصب العين ، أن يدرس مفكرون قضايانا ، وأن

التطلع وراءه، وحسبه أنه مر بأقل غرم، وادنى
عناء . حتى إذا عادت مضخة ، هذه المسائل ،
وستعود ابداً متطورة بمضاعفاتها ، مقعدة بما تراكم
من رسوباتها ، أصبح المجتمع أكثر عجزاً عن
النصرف حيالها ، وأقل قدرة على الخروج منها .
ولاشك أن المجتمع على الشكل الموصوف
أقل ما يقال فيه أنه مجتمع بدائي .

وكانت الدعوة الموجهة إلى نخبة من المثقفين
والجامعيين ورجال الفكر والأدب والفن ، فيما
جرى معهم من احاديث شخصية ، ومن رسائل
مكتوبة تدعوهم إلى معالجة مواضيع معينة ، ذات
تماس بماضيها ، وحاضرنا ومستقبلنا - كانت
الدعوة صريحة ، في انهاء دعوة الى المعالجة
المعالجة التي لاتحدثنا عن علم النفس مجرداً ، بل عن هذا
العلم في تحليل حياتنا ، ولا عن فلسفة التاريخ
المطلق ، بل عن فلسفة تاريخنا نحن ، كشعب له
تاريخ . ولا عن تجارب التربية كما تعاقبت على
اقلام كبار المعلمين والموجهين في امريكا ، بل عن
تجاربنا نحن خلال الخمسين سنة الأخيرة . ولا عن
الانحرافات الجنسية في بريطانيا وفرنسا مثلاً ، بل
عن مشاكل البيت ، والحياة العائلية في وسطنا
وبلدنا . وماذا يجدي أن تكون اطروحات
دكاترنا الجامعية ، عن الحقوق المدنية الفرنسية ،
او الاشتراكية المقارنة ، أو حقوق الانسان ،
او لتقل أنظمة الضرائب التصاعدية ، أو الاقطاع
الاوربي في القرون الوسطى . . الخ الخ ، مما
عالجه المثقفون ، أو المادونون بالعلم ، وسجل
لهم به فضل العلم ، وتقدم المعرفة . . عندما لا نجد

اثراً او الا اثراً قليلاً ، في حصيلة هذه المعارف
مع انظمتنا ، وحقوقنا ، وواقعنا ، درساً وبحثاً
ومعالجة . وهل تستحق قبائل الاسكيمو مثلاً
أن نعرف عن غرائب حياتها وطرائقها ، أكثر
مما نعرف عن هذه الحياة العجيبة ، في قرية سورية
مطمورة في بطن واد ، أو محجوبة في كهف جبل !
وهل نحفظ نماذج الأحصاء على الطريقة الأمريكية
في حساب كم من العمر يقضي الأمريكي في حلاقة
ذقنه ، اذا عاش ستين عاماً ، وكم رطلاً من معجون
الصابون يتلف في الحلاقة ، وكيف يحذر به
توفيراً للوقت ، والمال ان يخلق ذقنه بشيء غير
الماء والصابون ؟! تقول هل حفرتنا هذه المحاولات
الاحصائية ، التي قد ننظر اليها شذراً ، ونصفها
في الهذيان ! ونحن باكثر ثقتنا الساحقة لا نجيب على
سؤال ، كم عدد سكان سورية الا هكذا :
اربعة ملايين اربعة ونصف ، خمسة تقريباً !!
تقول : هلا حفرتنا تلك الاحصائيات ، إلى أن
نعرف ونقدر خطر المقارنة بين ما اذا كانت نسبة
الوفيات للولادات ، خمسة في الألف او خمسين أو
خمسائة ! وماذا يعني ذلك ؟ !

حملنا الدعوة ، وابذلناها عدداً غير قليل من
الاساتذة ، والزملاء ، وحاولنا أن تكون بحوث
القسم الاجتماعي من هذه المجلة ، وهو القسم الذي
رصد للمعالجة ، بحوثاً في شؤون حياتنا وفي صميم
معضلاتنا ومهمماتنا ، بما اقترحنا على المفكرين من
مواضيع وعناوين ، وبما اجرينا من اتصالات ،
وما بذلنا من وساطات ، وملاحظات وان يكن
من الواضح للمتابع ، أن بعض من دعوا قد لبى

وكتب ، وحاول وابدع ، وكان الصدى ، على النطاق العربي الواسع ، وثناء ، وحداً واعرابعاً التقدير والاعجاب . فمن الواجب ان نذكر ايضاً بأن فريقاً آخر تيب ، وآخر استعمل ، وآخر وعد وسوف وماتل ، وآخر بذل مجهوداً في حدود المجمللة واللطف ، فكان مشكوراً . ومن هذا الفريق التيب ، المستعمل ، المسوف ، المجامل ، كل نخبة المثقفين ، الذين يستوون اليوم في مكان الصدارة من منابرنا ومعاهدنا ووجاهات الرأي في بلادنا .

عند هذا العرض العاجل ، تقبل على موضوع تأليف المعالجات في الفكر العربي اين هو ؟ وما وزنه . وهل وفاه حقه ، المثقفون والجامعيون ، واذا كان التدريس المكروور قد اغرقهم ، فكيف ننشلهم ، وكيف نردم للمجتمع الذي سلمهم قيادته الفكرية . فلم يكونوا له في الجهاز الجامعي سوى اداة تفريخ ، لجمهورات من أجيال المتخرجين الباحثين عن الستر والعافية والوظيفة ، والبالغة المسلوقة النافذة ، ولم يكن الخط البياني الجامعي خلال ربع قرن «ضى» سوى المحذور مستمر من مرتفعات منهل العلم إلى التبلع بفتات الموائد ، وتضييع المواهب ، واهدار الطاقات العالمة .

وفي ذيل هذا العرض ، يطالعنا من صلب الموضوع موضوع آخر ، ان لم نقل مواضيع ، يحمل كل منها مسألة ، ومعضلة ، وعدة اسئلة : اذا كان مجتمعنا الناشئ بحاجة إلى عناصر الثقافة

والفكر ، للادارات ، والرئاسات ، والهيئات ، والنيابات ، والوزارات ، والقيادات السياسية ، فهل يجب أن نخلي منابر العلم من أهلها . وماذا على الدولة ان تفعل ، لترفع من شأن هذه المنابر ، بحيث تصير امامها القيادات والزعامات ، والسياسات ؟! أم لاسبيل إلى هذا ، بحكم الوضع الاجتماعي الذي لاغنى له في مراحل التدرج عن امتصاص العناصر المثقفة ، وهضمها في دوار الحركة اليومية الساحقة ، ليسمن بها ويصح ! ؟ وهل حصل شيء من ذلك فعلاً ؟! كيف وماهي آثاره ونتائجه ؟! اسمن ، ام ورم ، أم هزال وضياح ؟! اليست هذه ، بأسئلة ! ؟

ان أي منشأة علمية ، او محاولة ثقافية جديدة ، في بلادنا ، تشعر عندما تبشر عملاً فكرياً ، ان قد اخلي من حولها ، وأن العناصر التي تنشدها ، لا تسكاد تتوفر الا بالبناء الشديد ، على الرغم من مظاهر توفرها . حتى ان الدولة نفسها عندما تتشاءم وتتمطى في ضجعتها ، وتشعر احياناً بأنها تسكاد تنمحق امام عجالات الزمن السريع ، تقوم الى عمل جدي ، تجمع له نخبة مفكرها ، لاتجد بين يديها ، سوى كل من شغلته هي نفسها عن الثقافة ، والبحث والعلم بمشاكلها ، والهيئاتها ، فتروح تبقي له أن يكون بلسانين واربعة عيون ، وثمانية اقدام ، وستة عشر ذراعاً .

يبدو لي انني اكاد ادخل في معالجة المعضلة . وما رمت لها معالجة حقاً . ان هي الا عملية عرض عابرة ، أردتها ان اذكر المثقفين هنا ، وفي

المدى العربي ، أن رسالة المعرفة ، قد بلغت شأنًا لدى جبهة القراء العرب ، وحاز نهجها الثقافي في تنشيط البحث ، والدراسة ، والترجمة ، علماً ، وادباً وفناً ، نجاحاً ملحوظاً ، لانزال بحاجة ماسة الى تدعيمه وتطويره ، وتوسيعه ، على الأخص - **بذاك النوع من المعالجات التي يتوفر فيها العلم والمعرفة ، على تحليل اوضاعنا ، وشؤوننا ، ومشكلاتنا .** فان يكن مفيداً حقاً أن نلم بقواعد تفجير الذرة ، والسير الفضائي المتعدد المراحل ، أو يكن من المفيد حقاً أن نعرف كيف تعالج الدول المتقدمة ازمة الديمقراطية ، وكيف تتطور الانظمة الاجتماعية السياسية ، وكيف نجحت في بلد ما تجربة الرأسمالية الاشتراكية ، وفي بلد آخر تجربة الاشتراكية غير الرأسمالية ، أو كيف تعالج امريكا الضمان الاجتماعي ، وكيف تردم هولندا البحر ، وكيف تغلب الصين على المرض والفقر والمساحات الواسعة ، والفوضى السياسية .. إلى مامعنى تجربة دوغول في فرنسا ، وما أثر قيام السوق الاوروية المشتركة في الاقتصاد العالمي .. الى آخر ماجد من كشاف في علم الحياة ، والوراثة ، والتطور . نقول ان يكن من المفيد هذا وذاك ، فليس الا من الاكثر فائدة ، وتلك عدتنا من العلوم والمعارف ، وبيننا يقيم المختصون في التاريخ والجغرافية ، وعلم النفس ، والرياضيات ، والترية ، والفلسفة والاقتصاد والحقوق العامة والخاصة - أن نلقي اضواء معارفنا على حياتنا ، ونغرس في حقولنا نظرياتنا ، ونتطلع بطموح شرعي ، الى البحث العلمي والتفسير التاريخي في ضوء كل اكتشاف ، والى التحليل النفسي

والاجتماعي ، والتشريح السياسي والاقتصادي ، لنؤكد بأن تجاربنا انما توفر لها اللقاحات من افكارنا وآرائنا . وحقائقنا وحدها - اننا لسنا جرماً صغيراً .. -

ثم ماذا ؟! ان الروح العلمية التي نريدها لأنفسنا ، ليس من الضروري ان تكون ماثلة في قدرتنا على صنع الصواريخ واطلاق الاقار ، او التنافس مع السوفييت والامريكيين على بلوغ القمر ؟؟ بل هي تمثل احسن مشول في افكارنا الواضحة ، عندما تعي بالمعرفة حقائقنا القائمة ، وحاجاتنا الفارعة .

خلال خمسة أعوام تلي قد يمح العالم بعضه بعضاً بالصواريخ ، والبار الذري ، والحيات النووية ، خلال هذه الاعوام الخمسة ، يجب ان تكون سورية قد قضت قضاء امبرماً على الامية ، وفق منهج مدروس - لانزال الابدية اعظم اختراع قام به الانسان منذ وجد حتى اليوم - والتفكير العلمي في معالجة شؤوننا ، وطرح مشاكلنا ، لانتحصر في عرض سريع ، انواعه وابوابه . وحسب المثقفين واصحاب الدراسات الاختصاصية ، ان يقولوا كيف نبدأ ، لانتالانزال مبتدئين ، وكيف نسير ، والى اين نتجه ، وماذا نفعل وماذا لا نفعل ؟! وسواء نفتحت لهم الآذان ام كان فيها قر ، فليطرحوا خبرهم على وجه المياه ، يجوده بعد ايام ، ولو كانت بعيدة !

احدى المحاولات الجريئة

ان ما يدعونا اليوم ، في هذه الجولة ، الى

والتقصي . فيم هذا الفلق المسيطر على المجتمع السوري !!

انها سمات المجتمع المتحرك، المتنافر القيم . مجتمع يمثل مخاض التطور في ولادته العسيرة ، مجتمع قافلته ضاربة في كل الاتجاهات ، بعضها في القوت العشريين وبعض لانعلم اين في تاريخ الازمان الخوالي ، كل التشابه بينها انها تعيش في محيط جغرافي واحد ، وفي ظرف تاريخي واحد — خلاصة مقطع من البحث — .

وبعد هذه الصورة التي تمثل التنافر الثقافي في المجتمع السوري ، بين ثقافة القرن العشرين التي كسبها الشباب منذ نحو من اربعين عاماً ، وثقافة التقاليد العتيقة الماثلة في الوسط المعزول البعدين التطور — وهي بالحق صورة الوسط العربي بأجمعه ، وليست صورة سورية خاصة — نقول بعد هذه الصورة عن التنافر الثقافي . يلخص الدكتور خيمي ، عوامل شتى من وراء الاضطراب وعدم التوازن ، في المجتمع السوري فيردها الى جوار الصحراء ، وطابع الحزن الذي يلازمها ، والنقوس الحزينة اكثر انفعالية واشد حاسية ، ثم الى طبيعة الشعوب الرابضة حول البحر المتوسط ، وما عرف عنها من انها شعوب متوترة انفعالية في حالي الرضا والغضب . ثم الى تاريخ سورية الحديث وما تخلله من هزات واضطرابات

تجديد الدعوة ، ليس الشكوى من تلكؤ المكلفين فحسب ، بل اقدام البعض منهم ، على المعالجة اقدماً فتح المعرفة لدى الفارئ العربي ، آفاقاً جميلة من الاشراق والرجاء . ان هذا البعض ليس قليلاً عد يده في بلادنا ، مهما اتهمناه بالكسل والتواني ، وقد ساهمت نخبة منه في بحوث المعرفة ، منذ عددها الاول ، وكانت المساهمة قبله الالسن والقلوب والعقول . وان لم يكن من موضوع الجولة ان اكرر عناوين البحوث تلك باسماء اصحابها الأمائل ، فقد رايت ان اقدم اليوم نموذجاً منها في محاولة الطبيب الدكتور مدني الخيمي ، تحليل الشخصية السورية ، يبحثين — العددان السابع والتاسع من المعرفة — كان لهما عند قارئنا العربي ، تقدير واهتمام بالغان .

بحدود اطلاعي ، ان بحث (فرط الحساسية في المجتمع السوري) ، بحث بكر ، والاقدام عليه ، سمة مثقف محلل ، واثق من ثقافته . واذ نعلم ان المعالجة لم تكن للاطراء والمديح ، وتبيان المزاي ، بل هي اقرب الى التشريح والتجريح ، ندرك ان الفوص عموديا في عمق الشخصية السورية ، ليس هدفه القيام بحركة ثقافية رياضية استعراضية ، بل القبض على اشياء ثمينة يخرجها الباحث من القاع . وقد وقع الدكتور مدني على الشخصية السورية متلبسة باوضاعها وعواملها الجغرافية والتاريخية والبشرية ، وهزاتها المتعاقبة خلال نصف القرن الاخير ، وخرج من تحليل المفارقات في الصورة الفكرية للمجتمع السوري الى حصيلة من الحكم على المجتمع تدعو الى التأمل ، والى مزيد من البحث

واضطهادات ، ولد معها مزيجاً من الحساسية وميول
الى التقلب وعدم الثبات .

واذ يكاد يشعر القارئ أن تحليل العوامل
الجغرافية ، والبشرية ، يوشك أن يلفظ حكماً
نهائياً على حتمية اضطراب المجتمع السوري ،
يبادره الباحث الدكتور خيمي بخاتمة المقال منها
الى أن هذه العوامل الطبيعية ، إنما تعالج آثارها
وتشوهاتها بالتربية والثقافة ، وخلق روح
المواطنة لدى الشعب ، لأن حوية
المواطنة ، تؤدي الى اضعاف فوط
الحساسية ، والى إعادة النفوس المتوترة
الى سوائها ، وترمي الأساس المنطقي
لمجتمع ثابت لا ينفجر ، لانه خال من
الضغط والكبت ، ولا يتموج ويتقلب
رأيه العام ، لأنه قد جرد مشكلاته
وعرضها للبحث والنقد في ضوء
الموضوعية ، وانتهى الى حلول لانفاجيء
الناس او تثير انفجالاتهم .

وقد تخلل البحث صور كاريكاتورية ساخرة
للاضطراب السياسي ، والعقائدي في تاريخ الهزات
السورية المتعاقبة ، رسمها الطبيب خيمي ، بمضغ
جراح ماهر ، هي بالواقع من حصيلة ثقافة مثقف
سوري ، يجمع الى براعة المهنة ، سعة الاطلاع ،
واليها معاروفاً ساخرة ، وقلماً ثقيلاً كمبضع
جراح لا ينظر الى الجرح مشفقاً حزيناً ، بل الى

- ١٩١ -

ماوراء من علة خيثة ، يجب ان تشهر على
شفار مبضع حاد .

وبعد فالمعالجة التي قدمها للمعرفة ، الدكتور
مدني الخيمي ، ان تكن مقتضبة مرصوفة عنيت
بمجموع الصورة ، اكثر مما عنيت بتفاصيلها ،
فهي تبسط ، موضوعاً ، يصح ان يناقش بهذه
التفاصيل نفسها وعلى الاخص من حيث العوامل
المؤثرة في تكوين المجتمع السوري . ويبدو لي
أن التوسع في النهج الذي اتبعه الباحث في التحليل
والتشخيص ، يجب أن يسوق حتماً الى التأليف في
سمات الشعوب السامية وصفاتها المشتركة ، والى
صفات أخرى مشتركة ، بين شعوب البحر الايض
المتوسط ، ثم الى العوامل المنبثقة من التاريخ
العربي المشترك ، ثم الى الأوضاع السياسية التي
عانت سورية تجاربها خلال النصف الاول من
هذا القرن . فاذا توفر لهذا الموضوع باحث
او باحثون ، كان له اكثر من مقال في مجلة ،
انه جدير بمؤلف كامل يفتتح في باب المعالجات
العلمية فتحة جديداً ، يأخذ بيدنا ، الى تسقط
الينايع التي تنفجر منها شخصية مجتمعا :
من نحن ؟!

هذا بحث علمي نموذجي ، في ادق المواضع
واجزلها فائدة ، وامتعها يباشره بكل جرأة
وثقة ، نموذج خاص من المثقفين السوريين . انه
ليس كاتباً مؤلفاً ، ولا محترف كتابة . انه طبيب
موزع بين العيادة والتدريس الجامعي الطبي
- الأمراض الداخلية - والمشغل اليومية ،
يعرفه جمهور المثقفين بين العام والعام ، بدوة ،

او محاضرة ، أو مقال في مجلة ، يعالج فيها مختلف الشؤون الطبية ، والاجتماعية ، والسياسية ، فيثقفنا .

لماذا يهدر هذا النموذج الراقي من المثقفين العرب ، بين العيادة ، والتدريس والمشاغل اليومية ، ويفيد منه اي شيء في مجتمعه الابحث والمعالجة؟! ان هذه العالذا التي نطرحها ، تؤلف الى جانب ماعرضنا من قضايا ، قضية ذات بال ، يجب ان غدا اليها قلم المعالجة ايضاً . وهي ليست على كل حال قضية طبيب ، لا يريد ان يكون باحثاً ومؤلفاً ، بل هي تعالج مع تكوين هذا المجتمع الذي يخرج فيه المواطنون عن وظائف مؤهلاتهم خروجاً تلقائياً ، بحكم الشرع الشاذ الذي يحكمه وهو فصل العامل عن عمله ، والعضو عن وظيفته والخط عن استقامته . مامرجع هذا الشرع الشاذ؟! ومن هذا الشارع الظالم؟! اليس هذا سؤال يستدرجنا الى اسئلة !

المثقفون يشرحون مجتمعاتهم

كانت مطالعاتي ، هذا الشهر ، وراء هذه المعالجات في حياة الأمم ، وهي ليست جديدة في التاريخ الفكري لكلامة . وان يكن من تقاليد المعالجات في الماضي تمجيد المثقف لعرق امته ، او لدينها اولامجادها وبطولاتها ، ظالمة أو مظلومة فمن ابرز سماتها اليوم في تيارات الفكر العالمي ، أنها تشريح وتجريح ، وقد ذاتي ولعلمها في حدة هذا النقد ومرارته ، ليست أبعد في التاريخ من منعطف الربع الثاني من هذا القرن ، ولعل الحرب العالمية الأولى كانت اقوى البواعث علي

خلق أدب جديد ، يكاد يقطع صلاته بتقاليد الماضي وبأساليب معالجاته ، ادب مر مالح ، ليست غايته بعد أن يطرب ويعجب ، بل أن يهذب ويجلد ، ويقرع الضائر ، ويصب على الاكتراث حملاً لاهبة .

اذكر أن حملة امريكية قام بها منذ اعوام بعض المفكرين دفاعاً عن الولايات المتحدة ، التي يظلمها ادباؤها ولاسيما مؤلفو الرواية منهم مهيين بزملائهم قائلين اليس في هذه البلاد الجميلة الغنية ، القوية ، المدافعة عن الحرية ، اشياء تستحق عطف الروائي الامريكي . ولماذا تصورونها يا أبناءها بأقمت الصور؟! وبالحق أن أدب القصة الامريكية الجديدة منذ أربعين عاماً ، من سنكلر لويس مؤلف (بايت) الرواية المشهورة الى شتاينيك الذي حاز على جائزة نوبل لهذا العام ، قام مجدها على هذا النوع من الأدب المر ، الذي يتقد الاوضاع الامريكية ، ويبرزاً بواجهة مجدها ، ومظاهر ثروتها ، ويدلق احشاء المجتمع الامريكي امامه ، بكل صورة مفاجئة مذهلة مخزنة . ولقد كان اروج الكتب في الاسواق العالمية خلال العامين الاخيرين ، رواية الامريكي البشع The Ugly - American لمؤلف امريكي وكتاب تشريح بريطانيا The Anatomy Of Britain وهو كتاب بحث ونقد ومعالجة لمؤلف انكليزي .

وعلى هامش النقد الذاتي ، واحتدامه بين الفرقاء المتنازعين على النظريات والآراء ، في المانيا الغربية كنت اقرأ في ملحق التايزر الاسبوعي الادبي عدد ٢٦ تشرين الاول - مقالاً عنوانه (متناقضات)

لكاتب انكليزي ، يلقي رأياً في المشادة الالمانية
حول النقد الذاتي .

ويبدو من المقال الانكليزي ، انه بالرغم من
اقرار الكاتب بمزايا النقد الذاتي ، فانه يأخذ على
الالمان ، نزقهم وتطرفهم في النزاع ، اذ أن احد
الكتاب الالمان يقول في شعبه ، انهم سرعان ما
يتزلفون من اطراف التشاد الفكري الى خصومات
حادة ثم يشير المقال الى تعدد انواع المنشورات
في المانيا التي تتسابق الى تحليل الاوضاع الراهنة على
الصعيد الفكري، والاجتماعي والاقتصادي والسياسي
وأن اكثر المطبوعات رواجاً شعبياً
ما تجمع له كبار المفكرين والجامعيين
في تحليل او تشريح او نقد . ومعظم هذه
المطبوعات يدور حول وجود المانيا ومعناه ، وقيمه ،
ومسيره ومصيره؟! بعضهم يسير في خط الفلسفة التحليلية
للوجود الالمانى ، حتى يبلغ ، نيتشه ، وآخر
يستنجد بهيغل ، وآخر ببونغ والجميع يفتشون
عن المانيا بعد الحرب ، اين تقع في هذا العالم ،
وكيف تنقد نفسها مما يسميه احد الالمان **حيرة**
مفروق الطرق .

ولعل هدف المقال الانكليزي من عرض
انطباعات كاتبه حول النشاط الفكري الجديد في
مجالات النقد الذاتي ، أن الالمانى قوي الشكيمة
معتد برأيه ، متعصب لمذهبه ، بعيد عن روح
التسامح وانصاف الحلول وأن التحقيقات العلمية
التي يقوم بها الالمان انفسهم في الوسط الشعبي ،
تدل على ان الشعب بطبعه لا يقبل منازعة في رأيه
ويود لو يفرضه على الاخرين فرضاً ، ولعله بذلك

- ١٩٣ -

يتعد عن روح الديمقراطية التي تقوم على شيء
من التنازل والهوادة ، **واقامة الجسور**
ثم يورد المقال الانكليزي رأياً لمفكر الماني ، يدعو
فيه الى التسامح والتواصل بتعبير اقامة الجسور
Bridge - Building مع قناعة هذا الالمانى
بأن هذا الاسلوب من التعامل ليس قريباً من
التفكير الالمانى الذي يسوده الاعتقاد عمومًا ،
بأن التسامح والتنازل عن بعض المواقف ، دليل
هوان وضعف ، وان لا شيء يستطيع اقامة
الجسور بين الضفاف المتباعدة اذا كان لا بد منها
سوى ضرورة الوقوف بوجه عدو مداهم. ويبدو
من موقف الانكليزي تجاه النقد الذاتي الالمانى
انه لا يريد لألمانيا مثل هذه الروح المشاكسة
المشدودة بالعصية العنيفة ، التي تخوض المشادة
لفرض ما ، ثم تنسى الغرض نفسه ، لتخوض المشادة
من اجل المشادة نفسها ليس الا .

ومهما يكن من شأن النظر الانكليزي الى
العقيدة الالمانية ، فانه مما لا جدل فيه **أن انشغال**
مفكري العصر بالنقد الذاتي ، مبتدئين
بأنفسهم ، اصبح اليوم صفة من سمات
الأدب العالمي ، ومما لا شك فيه ان هذا
التجرد الثقافي ، من أجل الصدق والانصاف
والحق ، مهما احتدمت المشادات ، لا ينطوي على
غاية اصلاحية شريفة ، فحسب ، بل انه يكتسب
على المستوى العالمي ، سمواً انسانياً يخرج بالفكر
عن اطاره المحدود ، إلى اربعة آفاق الدنيا . وان
اقبال الجماهير على مثل هذا الأدب المتجرد الذي

تكمن قوته في واقعيته ، لافي اساطيره وخرافاته
وعجائب خيالاته ، ليؤكد لنا حاجة اي مجتمع الى
ان يرى نفسه مفتوحاً على مغاليقه ، تحت كشف
الانوار الحادة ،

قول هذا ، ونحن عندما ندعو الى مثل هذا
النشاط الفكري ، القائم على قاعدة من **العلم
والمعرفة ، والذوق السليم** في تحليل
اوضاعنا ، وعرض مشكلاتنا ، لانتكر حساسية
الوسط الذي نعيش فيه ازاء اي عملية قاسية من
عمليات النقد الذاتي وتقدر كل التقدير سرعة عطب
الثقة بالنفس عندما تلامسها بلا تحفظ وسأوس
التشكك ، على ان الطمأنينة المدبوخة بالغرور ،
او المصوبة بالجهل ، ليست من علامات الصحة
في أمة تسبل عليها العافية ترهلاً قميئاً ، واجتراراً
هنيئاً .

وخلافاً لما قد يتوهم البعض ، فان العديد من
شؤون حياتنا ، ليس مقفلاً عليه في صناديق
المحظورات والمنوعات . فقد اباح لنا طموحنا
الشيء الكثير مما كان يحرمه علينا ، منذ عشرة
اعوام ، او عشرين عاماً ، او خمسين ، لأننا بحكم
تطورنا وحاجتنا الى التطور تحت طائلة الاندساس
والانقراض ، اصبحنا نواجه مشاكل الوجود
او عدم الوجود ، وجهاً لوجه وعيناً لعين ، بنفس
الموقف الخطر ، الذي نجابه به اسرائيل ، أو أشد
بل ان التحدي الذي ترسله أمامنا معضلات
الصمود والصعود ، لم يعد مقنعاً ، وانه في كثير
من الأحيان ليصاونا بكل قسوة واتهام ، كأن

قدخلت الساحة من فرسان النزال ، ولا بد لنا
من ان نقبل التحدي ، او نهزم إلى راحة
السلام الابدي .

أما مثقفونا ، فليس قليلاً عديدهم ، والذين
عملوا بالقلم منهم ، لنشر الثقافة الحديثة ، في شتى
فروع المعارف ، لايجهلهم الوسط العربي . وقد
كان عطاؤهم النشري دائماً ، لقل كثيراً من طاقاتهم
ومواهبهم ، لأن مجالات النشر لم تكن لتستوعبها
حقاً ، ولأن المؤلف منهم كان يشعر أنه غير ملائ
جمهوره حيث يجب التلاقي ولأن انصرافهم الى
مهمهم الوظيفية العادية ، تحت مختلف اجواء الفتن
والأس ، والملل ، ونشيدان مستوى من العيش
لا بد منه لحياة مثقف ، كل ذلك كان وراء ظهور
النشاط الفكري النشري ، واستمرار عوم
الفاهات على صفحة الحركة الفكرية ،
**حتى يمكن القول بلا غلو ، أن أثر
الفكر في حدث الحياة العامة ، يكاد
يكون مجهولياً !** واذ يشعر المثقف
بعدم وجوده النافه على سطح هذا الركود ،
وتتهب به النخوة إلى ضربة قدم فوق الارض ،
فلا سبيل له ، كما هو معلوم ، الا ان يعاقر السياسة
في حاناتها العامة ، صرفاً وممزوجة ، خلا
وخرأ مماً .

ويشعر المثقفون أنهم يجب ان يخرجوا من
زمرة الرداء ، الى صفوف القيادة ، ويتفقدون
بالعرق ، وهم مستهلكون في العراضات والاعراس
والمآتم ، بلا أجر ، او بأي أجر ... ويتنادون
في كل ناد ، متسائلين اليس لنا رأي ؟!

واين يعطى الرأي ؟! ان العراضات بعنجهياتها

والجاهلية ، لا تحب ان يدخل هذا الافندي المضحك
في زمرتها : الرأي . والرأي ، لم يستطع أن يخترع
له العالم ، مكاناً بعد افضل من كتاب . ومهما
أفتنى المخترعون في عرض الرأي منظوراً ومسموعاً ،
فلن يجد الاختراع اداة لنشر الرأي وترسيخ قوة
الكلمة افعل من كتاب . وطالما ان الكتاب لا يعزه
أهله ، فسيبقون ابدأ في زمرة الرداء ، وقد
يركبون صهوات القيادة قادة في كل ساحة
وميدان ، أما في جبهة الرأي ، فلا قيادة إلا به
وحده : الكتاب .

وكانت هذه المجلة ، في ارادة الوزارة التي
انشأتها ، محاولة كتاب . وهي اذ تقبل على عددها
الثاني عشر ، مكملة عامها الاول ، يشعر عاملها
أن قد بلغت بعض الشأن ، وابلغت بعض الرسالة ،

وحققت بعض الرجاء في طريق المحاولة .
وقد اراد المشرفون عليها ان يسجلوا
خطوة جديدة في المحاولة باصدار الجزء
الثاني عشر من كتاب المجلة نموذجياً
بممتازاً ، يحمل آثار اصحاب الاقلام ،
في بحوث المعالجة ، وان يكون موضوع
هذه الجولة تجديد الدعوة ، وتأكيداً
للعزم ، وتحديداً لموعد الانطلاق ،
وتذكيراً وتبشيراً . وحسبنا من كل
الجزء ، ان يكون لنا بعض العذر .
والى اللقاء ..



فهرس علم

- | | | |
|-----|--|--|
| ٦ | للعالم السوفياتي فيدروف
للعالم الاميري: ه براون
مطالعة للدكتور عبد الكريم اليافي | هل ضاقت الارض بسكانها ؟
رأيان علميان |
| ٢٦ | الدكتور عادل العوا
دمشق | الفلاسفة اعداء الفلسفة |
| ٣٣ | ترجمة اديب اللجمي | حضارتنا هل هي انتحار
للكاتب الفرنسي بيير غاسكار |
| ٤٣ | ظافر القاسمي
دمشق | الصدافة والصديق
لاي حيان التوحيدي |
| ٥٣ | تعريب الدكتور ابراهيم الكيلاني | الثقافة بين التحول والضياع
لجان دي سالييس |
| ٧٤ | للكاتب المسرحي : شارل شاروا
تعريب سعيد القضماني | خمسون دقيقة انتظار
مسرحية ذات فصل واحد |
| ١١٠ | للدكتور شامي الدروبي | الفن معرفة |
| ١٢٤ | نجاة قصاب حسن | الموسيقى العربية
وأصدقاؤها الحقيقيون |

١٣٤	عرض وتحليل : اديب اللاحمي	كتاب الشهر « ليل الاستعمار » فرحات عباس
١٤٣	عرض وتحليل : الدكتور زكي المحاسني دمشق	شعراء نجد المعاصرون
١٤٦	عرض وتحليل : عبدالرحمن بدر الدين دمشق	من وحي الف ليلة وليلة
١٥٠	عرض قلم التحرير	كفاح الشعب العربي السوري
١٥٣	عرض وتحليل : خليل الهنداوي	مجموعة لشعراء افريقيا
١٥٦	ترجمة قلم التحرير	القصص كفيلسوف تأليف جون كروكشانك
١٥٨	عرض وتحليل : زكريا تامر	الثوار مروا بيتنا قصص لعادل ابوشنب
١٦٠	عرض وتحليل : الياس الفاضل	الحزن في كل مكان قصص لياسين رفاعية
١٦٣		من اخبار الادب والفن
١٦٧		معرض الخريف
١٧٣	صلاح ذهني دمشق	سورية في مهرجان السينما العالمي
١٧٥	ستانسيلاف جيفولسكي قارصوفيا	المباييء الحديثة في عمران المدن

١٧٧ ادم اسماعيل

لوحة العدد

١٧٨

رونيه هوينغ يحاضر في دمشق عن الفن

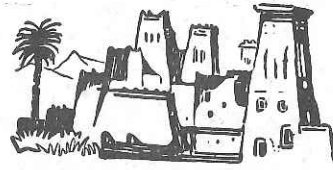
١٨٠

من اخبار الفن
سورية ، العالم

١٨٦

فؤاد الاشايب

جولة الشهر



توزيع شركة فرج الله وروماني ونظام

